د . عبد القادر القط

# الفـــــــراشة

دراسه

« الفراشة » هى المجموعة القصصية الثانية للكاتبة العراقية ميسلون هادى ، بعد مجموعتها الأولى « الشخص الثالث » . وتضم المجموعة الأولى قصصا كتبت بين عامى ١٩٧٩ و ١٩٨٥ ، أمّا هذه المجموعة فتضم قصصا كتب بعضها عام ١٩٨٥ ، وبعضها فى العام التالى . وهكذا يبدو تداخل زمنى وثيق بين قصص المجموعتين كان لابدّ معه من بعض التداخل فى طبيعة التجربة وصورتها الفنية ، وإن بدت المجموعة الثانية أكثر وعيا بالتجربة وأنضج فناً فى التعبير عنها .

وكنت قد كتبت عن المجموعة الأولى مقالاً حاولت فى بعض مواضعه أن أقدّم « مفتاحا » لطبيعة الموقف والشخصية عند الكاتبة فقلت : « فى كل قصة لحظة نفسية واحدة تنبثق من حدث صغير يبدو أحياناً تافها فى عيون الآخرين ، لكنه يثير فى نفس الشخصية كثيرا من الهواجس والخواطر ، تمضى الكاتبة فى عرضها وتحليلها بأناة يتيحها خلوّ القصة من شخصيات وأحداث أخرى قد تصرف الكاتبة عن متابعة شخصيتها الأولى . والحق أن بعض ما فى القصة من شخصيات ـ إلى جانب الشخصية الأولى ـ لا يعدو أن يكون مجرّد « إثارة » لهواجس تلك الشخصية ، وبعث للحظة النفسية التى تعيشها فى عزلتها إلى حين ، حتى ترتدّ مرة أخرى إلى الطمأنينة أحيانا ، أو إلى حالتها السابقة قبل تلك اللحظة فى بعض الأحيان . . »

والحق أن هذا « المفتاح » ما يزال صالحا للولوج إلى عالم الكاتبة والوصول إلى دخائل شخصياتها وإدراك سمات فنها القصصى ، فما زالت « الهواجس » محور اللحظة النفسية التى تقتنصها الكاتبة من حياة شخصياتها ، وما زالت اللحظة النفسية وقتا قصيرا عابرا خاليا من الأحداث الواقعية ينبع من إحساس بالعزلة أو رغبة فى التواصل أو توقع لما يمكن أن ينفى عن الحياة رتابتها وما تثيره من سأم .

وتتسم شخصيات القصص المتميزة فى هذه المجموعة الثانية بأنها تعيش فى عالم يتأرجح بين الحلم والواقع ، أو بين الوهم والحقيقة . وحين ينقضى الحلم أو ينحسر ضباب الوهم ، يظلّ الواقع يبدو كأنه امتداد لهما ، كما يخيّل للنائم إذ يفيق وهو ما زال بين النوم واليقظة . . . وكما يتشبث المفيق بأطراف حلم أعجله الصحو عن أن يتمّ،تتشبث الشخصيات بلحظات الحلم أو الوهم آملةً أن يمتدّ أو يعود أو يتحقّق ، يدفعها أن ما رأته لم يكن حلم نوم بل حلم يقظة.فأحلام اليقظة أفصح تعبيرا عن أمنيات النفس وأوضح وعياً بها ، وهى ـ إذا لم تصل إلى حدّ الشطط والأوهام البعيدة ـ تعصم الشخصية من القنوط وتقدّم إليها شيئا من التأسّى الموقوت ، وتفتح أمامها بابا إلى الأمل وإن كان السبيل إليه محض حيرة وانتظار ، فالشخصيات لا تبدو

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

متمردة أو ثائرة على واقعها ، بل تبدو مستسلمة فى أسى رقيق أصلح ما يكون للحلم والوهم وما يتبعهما من اختلاط وانتظار .

والتعبير عن شعور النفس بالواقع على هذا النحو ينأى بالقصة عن الخوض فى تفصيلاته والتصريح بدلالاته ، ويخلع عليها ضرباً من الغموض الشفيف والرمزيّة الموحية ، ويقتضى فى الوقت نفسه أسلوباً « شعريًّا » قادرا على تصوير تلك الأحاسيس الوجدانية المجّردة التى تشبه إلى حدٍّ كبير طبيعة التجربة فى الشعر . . . ومن خلال الحلم والرمز والشعر يقوى إحساس القارىء بمأساة الواقع ، بما تصوّره الكاتبة من لمسات رقيقة لهواجس الشخصية وحيرتها بين الواقع والحلم .

وقصة « الذى عاد » حلم يقظة مجّسم لأخت ، غاب أخوها ثلاث سنين فى ميدان القتال ، وان على البيت خلالها صمت كئيب ثقيل تتردّد فيه أصوات العمل اليومّى الرتيب فى البيت لكنها لا تقطعه أو تبدّده ، بل تزيد الإحساس به عمقا ووحشة ، إذ هى أصوات « أشياء » وقد فقدت ما يكون للأشياء من دفء ونبض حين تكون متصلة بالمشاعر والصلات الإنسانية الحميمة ، وليست مجرد حركة آلية خاوية : « كان الماء ينهمر من الحنفية ، والأخت الكبيرة واقفة تنقل عينها بين يديها والحائط الذى أمامها وترهف السمع إلى أصوات المنزل الأخرى قبل أن يبتلعها صوت الماء الساقط فى الحوض ويجرفها معه فى جريانه المستمر . . » . وفجأة تصيح أختها الصغيرة وهى تطلّ من النافذة ها قد وصل ! وتهرع إلى أمّها وأبيها بالبشرى . . ويسود البيت وأهله الأربعة ــ صمت عميق لكنه فى هذه المرة صمت حافل بالترقب النابض ما يلبث أن يتفجر بما فيه من حياة ليعود إلى البيت أنسه وبهجته : « راحوا ينصتون بخشوع إلى الصوت القادم من بعيد وهو يقترب ليمزّق صمت اللحظة ، وصمت ثلاث سنوات من الانتظار والترقّب . هم يعرفون هذا الصوت جيدا ويعرفون وقع صداه . . وها هو ذا قادم ليعلن أن الأشياء تعود إلى سابق عهدها . . وتدبّ الحركة فى أعمق ذرّات السكون . . » ويعبّر الأب والأم والأختان عن فرحتهم باللقاء ــ كل على طريقته ، ويستعيدون ذكرى أشياء صغيرة حبيبة من ما ضيهم القريب .

ولأن القصة ـ كما قد يدرك القارىء من خاتمتها ــ حلم يقظة جسّمة الشوق والترقب وسأم الانتظار حتى بدا كأنه واقع حىّ ، لا تخرج الكاتبة بلحظة اللقاء عن إطار الحلم إلى وقائع الحياة ، فلا حديث عن تجربة العائد فى ميدان القتال ولا عمّا قد جرى فى غيبته من أحداث ، بل يمتدّ الحلم ليلمس فى رفق أطراف الحياة الحميمة فى نطاق البيت ، تلك التى من شأنها وطبيعتها الرومانسية أن تلائم شفافية حلم اليقظة وقدرته على أن يجمع بين الخيال والواقع . . . تقود الأخت الصغيرة أخاها إلى حديقة البيت وتحدّثه عن عصافيرها « التى مات بعضها وتوالد بعضها » . وينظر الأخ إلى أشجار الحديقة فتعود إليه ذكريات السنين التى قضى معظمها فى ظلالها . وتحرص الكاتبة على أن يظل الحدث فى إطار البيت فلا ترى الأخت الكبيرة رأى العين وهى فى المطبخ ، جيرانهم وقد وفدوا للتهنئة ، بل تسمع من بعيد صوت انفتاح الباب الخارجى وصوت الأب وهو يرحّب بقدومهم ، وتختلط الأصوات المتهللة وضحكات الأصدقاء مع هدير الماء الجارى من الصنبور .

وبين هذين الصوتين المختلطين الذى يمثّل أحدهما صدى الحلم ويمثّل الثانى رتابة الواقع ، تغيم معالم الحلم ثم تتبدّد وما زالت الأخت الكبرى واقفة فى مكانها ــ كما كانت فى أوّل القصة قبل أن تغيب للحظات فى عالم من الحلم أو الوهم السعيد . . . ولا تفصح الكاتبة عن أنّ ما رأته الفتاة كان مجرد حلم يقظة بل تحتفظ لنهاية القصة بشفافيتها الموحية بتلك الحقيقة : « . . . أغلقت الصنبور وراحت تتصنّت للضجة المنسابة عبر جدران المنزل وأبوابه ونوافذه . كان صوت أختها شجيًا وهامسا ، وابتعدت الأصوات الأخرى شيئا فشيئا وهى تحاول عبثا التقاطها بكل ما تملك من قوة السمع . . . ولكن الأصوات كانت تتسرّب من بين أصابع سمعها إلى جوف العدم بأسرع مما تستطيع الإمساك بها حتى اختفت وابتلعها السكون . ورفعت رأسها إلى أعلى فى محاولة أخيرة لسبر هذا الصمت المفاجىء الذى حلّ بالمكان فلم تسمع غير صوت الأغنية المتأسية يدخل اليها من باب المطبخ وعبر نافذته نفضت يديها من الماء ثم مضت إلى باب غرفة المعيشة . . كان أبوها جالساً يتصفّح جريدته ، وأختها واقفة قرب النافذة تترنّم بالأغنية الحزنية . وانعكست فى عينيها صورة أمّها الجاثية على المصلّى وازاءها يقف أخوها بملابسه العسكرية . . مبتسما حانيا داخل إطار الصورة المعلقة على الحائط . . منذ ثلاث سنوات . »

وبانقضاء الحلم يعود الصمت والترقب والانتظار ، كما يحدث فى أغلب قصص المجموعة .

وشبيه باختلاط الوهم والحقيقة فى هذه القصة ، ما يجرى فى قصة « العين السحرية » إذ تبقى فتاة جامعية وحيدة فى بيت أخيها بعد أن خرج أخوها وزوجته لبعض شأنهما . ويدق جرس الباب فلا تفتح الباب قبل أن تنظر خلال العين السحرية ــ كما أوصاها أخوها ــ لترى من بالخارج وتنظر فترى شابا يرتدى حلّة عسكرية وينظر حوله وكأنه يتشاغل عمّن سيتطلع إليه عبر العين السحرية . وتفتح الباب وتدعوه إلى

الدخول حين تعلم أنه صديق قديم لأخيها . ويدور بينهما حوار متقطّع عن ذكرياته مع أخيها ، ثم ينصرف إذ يحين موعد قطاره ، وقد ترك لأخيها رسالة قصيرة على ورقة صغيرة . . ويعود الأخ فتنبئه أخته بزيارة صديقه القديم « ماجد » لكنه ينكر هذا الاسم ولا يذكر أن له صديقا بتلك الصفات . وتتذكر الفتاة الرسالة الصغيرة وتبحث عنها فلا تجدها .

وكما هيأت الكاتبة فى « الذى عاد » الجوّ المغلق المعزول بين جدران البيت لكى ينبثق توهّم الحقيقة من خلال الصمت ، أو الصوت الرتيب أو السأم الذى يضع الشخصية فى حال بين اليقظة والمنام ، تضع شخصيتها هنا فى مثل ذلك الجو ، فالفتاة تعيش لحظة من الوحدة المقرونة بالملل وهى تستعدّ لأداء امتحانها فى الغد بالجامعة فتفتح الكتاب ولا تتجاوز الصفحة التى وضعت بها مؤشرّ القراءة : «لم أقرأ سطراً واحدا على أية حال . أنا هكذا دائما تتعذّر علىّ المراجعة ليلة الامتحان مهما أجبرت نفسى عليها» . . وفى مثل تلك اللحظات ــ عند بعض الشخصيات ذات الكيان النفسىّ الخاص ــ تطفو الرّغاب المكبوتة فى صور ضبابية لا يكاد المرء يدرك أهى رؤ يا عابرة أثناء غفوة قصيرة أم حلم يقظة ألحّ فى الخيال إلى حدّ التجسد ، أم بعض حقيقة أضاف إليها التخيّل ألواناً من التوهم . وسواء أكان ما رأت الفتاة رؤ يا أو حلم يقظة أو حقيقة اختلطت بالوهم ، فإن الكاتبة تسلك منهجا فنيا موفّقا يبدو صادرا عن وعى كامل بما تصنع ، فالحلم يتمّ دائما بين جدران مغلقة إلا من نافذة أو شرفة تطلّ من خلالها الشخصية على عالم الواقع دون أن تخرج إليه أو تمتزج به ، لكيلا يكون هناك مجال للصحوة التامة التى تستعصى على الامتزاج بالحلم أو الوهم . وقد تختار الكاتبة من بين معالم تلك الرؤ ية الخارجية المنفصلة بعض ملامح من الواقع يمكن أن تكون باباً يلج منه الحلم إلى مخيّلة شخصياتها : «رنّ جرس الباب بصوت متقطع ملأ فضاء الشقة برجع موسيقى جميل فتركت النافذة ومن خلفها حركة الشارع والسابلة وطيورا كنت أرقبها تحطّ وتحلّق فى الفضاء الواسع . . .» وقد يوحى اختيار الطيور التى تحط وتحلق فى الفضاء الواسع بحركة نفسية مماثلة عند الشخصية فى تأرجح عالمها بين طَرَقَىْ الكبت والانطلاق ، أو باستعداد نفسى للتحليق فى عالم الخيال أو الوهم كما يحلّق الطير فى السماء .

وحين يسوق الحلم بعض عناصر الواقع الخارجى إلى الجدران المغلقة التى تعيش بينها الشخصية ، متجسّدة فى زائر غريب ــ كما فى هذه القصة ــ أو جار جديد ــ كما فى قصة «رائحة الشتاء» التى نعرض لها بعد ــ لا تتضح معالم الشخصية مهما يبلغ من تجسّدها المادى ، إلاّ بمقدار ما تعبّر عن تلك الرغاب المكبوتة التى تتسم برومانسية حالمة لا يشوبها الاشتهاء ، بل تبدو فى صورة تطلّع ــ على استحياء ــ إلى حبّ يحقق الطمأنينة والتواصل الروحى ؛ فالشاب فى هاتين القصتين لا يوصف إلاّ بأنه «وسيم جدا» ، و «الوسامة» صفة عامة لا تدل على تميز خاص يدعو إلى الاشتهاء . وهو حين يتجسّد أمام الشخصية فى موقف أو حركة أو حديث يوحى وجوده بأنه تعبير عن مشاعر عميقة عاشت طويلا فى ضمير الشخصية وكأنها شهدت ذلك الموقف أو تلك الحركة أو سمعت ذلك الحديث من قبل : «كنت قريبة منه ، رأسى يكاد يمسّ كتفه ، وهو بابسٌ يظللنى كشجرة طيبة . . رائحة ملابسه تملأ صدرى وصوته الواطىء ينصبّ كالهمس فى أذنى . . وأحسست فى تلك اللحظة كما لو أنه موجود معى منذ الأزل وسيبقى كذلك حتى الأبد . . . ومضى وهو يعتذر عن المضايقة ويترك لأخى تحيّاته ، ولى ملمس يده ورائحة ملابسه والكلمات التى بدت كما لو أنها قد قيلت منذ زمن طويل ولكنى أنا التى لم أسمعها إلا قبل لحظات لأستعيدها بينى وبين نفسى فى كل لحظة . . » .

وتنتهى القصة كما تنتهى قصص الكاتبة المماثلة بالتساؤ ل والانتظار . . ووقفت إزاء النافذة ورحت أتطلع عبر زجاجها إلى رجال يرتدون الملابس العسكرية ويسرعون باتجاه المحطة القريبة . . قد أراه مرة أخرى يعبر معهم قادماً من المحطة أو واقفا وحده بجوار حقيبة سفر صغيرة ينظر إلى اليسار متشاغلاً بنظرته تلك عمّن سيتطلع إليه عبر عين الباب السحرية » .

أكان حقيقة ما رأته الفتاة وما روته لأخيها أم كان وهماً طاف بها فى لحظة اختلاط ذهنى أو غفوة عابرة فى وحدتها الموحشة بالمنزل ، بعثته مشاهد الشباب من الجنود العائدين أو الراحلين ؟ ذلك ما لا تفصح عنه القصة وما تدعه لخيال القارىء ، لكن القارىء حين يلمّ بسائر قصص المجموعة يدرك أن شخصياتها تقف دائما فى منطقة «الأعراف» بين الوهم والحقيقة ، مهما يكن باعث اختلاط أحدهما بالآخر .

وفى «رائحة الشتاء» صورة أخرى لصمت الوحدة والوحشة يبدّده ــ إلى حين ــ مثير خارجى يبعث فى نفس الشخصية ألواناً من أحلام اليقظة الهادئة الرومانسية ، حتى إذا اختفى المثير عاد الصمت ، لكن فى إطار من التساؤ ل والانتظار :

معلّمة فى الثلاثين تعيش وحدها بعد أن ماتت أمها ثم مات أبوها وتزوجت أخواتها ولم يبق لها من أنس إلاّ زيارات قصيرة من أخواتها وأبنائهن وأزواجهن ، يعود إحساسها بالوحشة بعد انقضائها أشدّ مما كان . وهى تقصّ أطرافا من حياتها الماضية

والحاضرة وتجربة عاطفية من جانب واحد أشبه ما تكون ـ أيضا ـ بأحلام اليقظة . والقصة ـ فى موضوعها ـ غير جديدة ، فكثيراً ما صوّر القصاصون والروائيون خواطر العانس وشعورها بالنقص والوحدة وتطلّعها إلى ما تنعم به قريناتها ممن تزوجن وأنجبن . لكن الجديد فيها أن الشخصية ـ وهى تروى بنفسها جوانب من حياتها ومشاعرها ـ تبدو كسائر شخصيات الكاتبة ـ هادئة مستسلمة كأنها تعيش فى خَدَر حلم طويل وكأنما تروى قصة فتاة أخرى غير نفسها ، أو كأنما هى «تحلل» نفسها بنفسها . وهى حين تقص أطرافا من حياتها الرتيبة مع أبيها المريض فى أخريات أيامه ، وتشير إلى أخواتها اللاتى تزوجن وأنجبن ويزرنها من حين إلى آخر تاركاتٍ إيّاها لوحدتها بعد انقضاء الزيارة ، لا يبدو فى حديثها شىء من الرثاء للنفس أو الأسف على ما فاتها أو التمرّد على حياتها الرتيبة الكئيبة ، بل ترصد فى حيدة بادية مظاهر الوحشة والملل من خلال رصدها حركتها فى البيت وهى تتناول طعامها فى سأم ، أو تتلهّى بخيوط النسيج أو القراءة فى كتاب أو النظر من النافذة إلى جارتها القريبة ، ومن خلال المقابلة السريعة بين مشاهد من دفء الماضى وبرودة الحاضر قبل أن يعيد إليه الدفء شعاع من حلم يقظة طارىء ، فى صورة جارٍ جديد شاب يغدو إلى عمله فى الطيران فيغيب أياما يعود بعدها لتصل عودته ما انقطع من نسيج حلمها الرومانسى .

ولمّا كان الجار مجرّد «مثير» لخواطر الفتاة وهواجسها فإنه يبدو فى الصورة غير محدد الملامح ، تراه من بعيد حين تأتى سيارة المطار لتأخذه فيخرج مرتديا بذلته الرسمية ، نظيفا وسيما تكاد تتشمم عطره وهى خلف النافذة . والشخصية لا تقترب من فتاها ولا تخرج من إطار جدرانها المغلقة إلاّ من خلال نظرة من النافذة ، ولا تكاد تعرف عن ملامحه إلا أنه «وسيم جداً» ، وهى تراه فى أشيائه الصغيرة التى تنبىء بحضوره أو غيبته أكثر مما تراه فى ذاته : « . . . فتحت النافذة فتحركت الستارة . . جاءتنى أصوات الشارع وكأنها قادمة من عالم ليس له وجود . . ثم حولت نظرى إلى الأمام فكانت ملابسه منشورة على حبل الغسيل ، وقفص العصافير معلقا على مسمار الحائط ، وأرض الحديقة مسقيّة لتوّها بالماء . . فقلت لنفسى : هو موجود إذن . . . تأتى سيارة المطار لتأخذه فيخرج مرتدياً بذلته الزرقاء الرسمية . . . تختفى من الحديقة أشياؤه ، قفص العصافير وملابسه التى ينشرها على الحبل أو نظارته الشمسية ، وتجفّ الحشائش ويبيّض لونها قليلاً . . ويمضى يوم أو يومان من الغياب فتغيب سقسقة العصافير ووشوشة الحديقة وأغنيات فى المذياع . . » .

والفتاة لا تبذل أى جهد للتعرف إلى جارها ، ولا يخطر فى بالها شىء من ذلك ، فهى قانعة بأحلام يقظتها التى تؤرجحها بين ماضيها الكئيب وحاضرها الملىء بالخيالات الحلوة الساذجة إذ تلقى صاحبها فى عالم الأحلام وتدير بينه وبين نفسها حوارا تمتزج فيه العاطفة الرقيقة بالدعابة الجميلة . وأحلامها معه تدور دائماً حول ما يعيد إليها الثقة بنفسها وجمالها وشخصيتها ويحلّ عنها عقدة النقص التى طالما شعرت بها منذ أن كانت تلميذة فى المدرسة : «منذ كنت فى المدرسة وأنا أوّل من تفلت من الصف إلى خارج المدرسة بعد انطلاق جرس الدرس الأخير وكأنما لأهرب من ذلك الاحتفال الفج الذى تمارسه البنات قبل خروجهن إلى عالم الذكور ، إذ تتلاقف أيديهن الأمشاط والمرايا والأقراط ودبابيس الشعر . . وأسمع وأنا على السلّم ضحكاتهن ونداءهن علىّ فأهبط على عجل ، تلاحقنى ضفيرتى وشريطها الأبيض . . أصغر أخواتى وأصغر من فى المنزل ، لم أقدر أبداً أن أكبر بنفس السهولة التى تكبر بها الأخريات . وعندما قصصت ضفيرتى ووضعت الزينة على وجهى كنّ هنّ فى بيوت الرجال زوجات وأمهات ، وأنا عند عتبة الثلاثين ، لا أدرى وقد اتسعت المسافة بينى وبينهن ، كيف السطريق إلى عالمهنّ الساحر الغريب . . » .

وهكذا يبدو لقاء الفتاة بجارها الشاب فى عالم الأحلام قريب الدلالة على ما أحسّته الفتاة فى «العين السحرية» وكأنه تجسيد لرغبة خبيئة قديمة راضت الفتاة نفسها ـ منذ أن كانت تلميذة بالمدرسة ـ بأن تئدها فلا تنفض عنها التراب إلاّ فى رؤى النوم أو أحلام اليقظة . وكما وضعت فتاة «العين السحرية» إحساسها بأن الزائر الغريب كان كأنه موجود معها منذ أمد بعيد ، وأن كلماته التى سمعتها منه قد «قيلت منذ أمد طويل» تعبّر الفتاة هنا عن الإحساس نفسه « . . أنسى فأمدّ يدى لأدفع من تحته صفيرتى أثناء النوم ، ثم أتذكر أنها ما زالت فى كيس من النايلون محفوظ فى الخزانة الصغيرة قرب السرير . وعندما يهب الهواء ويعبث بشعرى الناعم القصير أحس كأن أصابع خفية هى التى تتخلّل شعرى ، لا أدرى أهى لجارى أم لأحد آخر ، إذ تضيع ملامح صاحبها فى ظلام الغرفة وتختلط لتصبح كل الرجال الذين رأيتهم فى حياتى . . »

وكما تبدأ الأحلام ـ فى الأغلب ـ بلا منطق أو سبب واضح ، وتنتهى فجأة لتسلم صاحبها إلى حلم جديد ، كان دخول الجار الشاب عالم الفتاة العانس وخروجه منه بعد أن عبّر ضميرها الباطن من خلاله عن رغابها المكبوتة « . . لا أدرى بالضبط متى انتبهت إلى وجوده ، أو منذ متى بالضبط حل هذا الجار الأعزب فى هذا البيت . . حتى صادفته ذات يوم يخرج

حاملاً حقيبته الصغيرة وسيارة المطار الخضراء واقفة تنتظره » . . هكذا . . كانت بداية إحساسها بدخوله إلى عالمها المغلق ، وهكذا كان خروجه منه : « أنهض من الفراش والدوار يلازمنى ، وأقف إزاء النافذة أنظر إلى الحديقة الغارقة فى العتمة والسكون . . يلقى مصباح الشارع بعضا من نوره على الحديقة المظلمة فيتسلل ذلك النور بشكل موحش وكئيب بين فرجات الأغصان والأشجار . . وأتشمم عطره مختلطا مع رائحة النسيم البارد . . وتشتد فى الجو رائحة الشتاء » . وتنتهى القصة كمثيلاتها بالتساؤل والانتظار : « . . وأقول لنفسى : أين ذهب ؟ وفى أية بقعة من العالم هو الآن ؟ » .

وينقلب الوضع فى « كانت هناك امرأة » ليصبح الرجل هو الحالم المنتظر ، وتصبح المرأة موضوع الحلم والانتظار ؛ فالراوى موظف نقل حديثا إلى إحدى الإدارات ، وحين جلس إلى مكتبه الجديد ونظر فى أدراجه أدرك — من بعض ما فيها — أن موظفة كانت تشغل هذه الوظيفة وتجلس إلى هذا المكتب قبل أن ينقل هو إليه : « مددت يدى إلى الدرج الأوسط للمكتب . أخرجت الظرف الأسمر الصغير ثم استرقت النظر إلى محتوياته : المشط الصغير ، الدبوس الأزرق ، الزر الأبيض ، قنينة العطر الفارغة . . والفصّ اللا زوردى . . فصّ مستطيل أزرق يوهم أولّ الأمر أنه من اللازورد الطبيعى ، لكن خفة وزنه ونعومة ملمسه سرعان ما دلّتنى على أنه تقليد متقن للحجر الكريم . . كان شيئا صغيرا فى غاية الجمال ، لم يكن أكبر من حبّة اللوز ولا أثقل منها . . لكن زرقته الموشاة بعروق سوداء صغيرة كانت تضفى عليه رونقا خاصا ومتميزا وقلت لنفسى : يبدو أنها ذات ذوق رفيع ! »

وكما أطلقت رتابة تدفق الماء من الصنبور فى « الذى عاد » والوحدة والملل ومشهد الجنود الراحلين والعائدين فى « العين السحرية » والجار العابر الجديد فى « رائحة الشتاء » العنان لخيال الشخصية لتعيش لحظات بين الحلم أو الوهم ، والحقيقة ، تبعث تلك الأشياء الصغيرة فى خيال الموظف الجديد ما يبدو أقل الأمر ، أنه شىء من الفضول ، لكنه ما يلبث أن يستبّد به ويلحّ على فكره كلما أراد أن ينصرف عن التفكير فى حقيقة تلك الفتاة وكما تستسلم الشخصيات فى القصص السابقة للحظات الحلم أو الوهم ، ولا تكاد تخرج عن دائرته إلا بمقدار لا يدفعها إلى اليقظة ، يجلو للموظف هنا ألاّ يلج الباب المفتوح إلى الصحوة والحقيقة ، فنراه يسأل — على استحياء وتردّد طويل — زميله فى العمل عن الموظفة السابقة فلا يظفر منه إلاّ بإجابات مبهمة ، ثم يسأل موظفا آخر فيجيب إجابات مقتضبة مماثلة ويشير عليه أن يسأل الذاتية « شؤون العاملين » . وكان — لو سأل هناك يستطيع أن يجد صالّته فيعرف الحقيقة ، لولا أنه حريص — دون أن يدرى — على أن يعيش فى منطقة « الأعراف » بين الحلم والحقيقة ، مُسلماً نفسه إلى متعة الانتظار والترقب وسبحات الخيال : « — تأكد من « الذاتية » على أية حال . . . ولكنى لم أجرؤ على ذلك ، على الإطلاق . وكنت بين الحين والآخر أفتح الدرج وأخرج الظرف الأسمر وأتطلع إلى محتوياته . . وأصبح ذلك الظرف يلازمنى مثل الكثير من الأشياء التى لا نستطيع نفيها بالرغم من أنها لا تلزمنا فى شىء وأوصدت دون الموضوع بابى أيضا ولم أعد أسأل عنه احداً . . لكننى كلما رأيت فتاة تدخل إلى الغرفة ظننت أنها ستأتى لتحيينى بصوت رقيق وتقول لى : أنا سعاد »

وقد عمدت الكاتبة إلى تقديم ما ييّسر للشخصية أن تنساق إلى عالم الحلم حين لا تجد سبيلا إلى الحقيقة أو حين لا تريد أن تجد سبيلا إليها ، فجعلت من سألهم الموظف الجديد عن حقيقة الفتاة ميّالين للصمت عازفين عن الإفضاء بما يعرفونه عزفاً يصل إلى حدّ التوجّس : « . . وأخرجت الفص ذات يوم وقلّبته بين اصابعى ورسمت على وجهى تعبيرا هو خليط من الحيرة والإعجاب . وقبل أن أفتح فمى بالسؤال نهض هو وحمل كومة الأوراق التى أمامه ومضى إلى غرفة الطابعة تاركاً لى الخجل والندم . . . وإذا كان محمود قد أوصد بابه دونى واكتفى ، فإن « سمير » موظف العلاقات قد أوصد كل الأبواب . . » . وحين تتهيأ كل الظروف المثيرة للحلم المغرية بالتشبث به ، يصبح الانعتاق منه إلى الحقيقة الميسورة داعيا إلى الخوف لا « يجرؤ » الموظف أن يحاوله : « — تأكد من الذاتية على أية حال ! . . لكنى لم « أجرؤ » على ذلك . . »

وهكذا يسلم الموظف نفسه إلى عالم الحلم والترقب والانتظار — بعد أن هيأت له الكاتبة — كما هيأت لسائر شخصياتها — كل الظروف المواتية : « . . لكننى كلما رأيت فتاة تدخل إلى الغرفة ظننت أنها ستأتى لتحيينى بصوت رقيق وتقول لى : أنا سعاد ! فتدير رأسى ورأس محمود وتفتح أمامى كل الأبواب التى أوصدت دونى . . وتملأ الجوّ برائحة القرنفل ! »

وفى «طلب إجازة» حلم لزّبه بيت عاملة ، موزعة بين عملها فى الوظيفة ، وعملها فى البيت ، وواجبها نحو زوجها وأولادها ، حتى فقدت الأشياء لديها بحكم الإلف والتكرار والضرورة نضارتها الأولى وخلت من كل معنى وجدانى أو روحى ، وغدت مجرد مظاهر آلية حسية لحياة المرأة اليومية . وحلمها لا يتجاوز كثيرا حدود الواقع لكنه يطمح إلى أن يردّ إلى الواقع بعض نضارته ، ويعيد إلى الشعور الحسّى الخالص بالأشياء بعض ما كان يلازمه فى البداية من طرافة ومتعة . . إنها

# إختيار الحرية ومسئولية الالتزام عند عبد الرحمن منيف

عبد البديع عبد الله

على الإنسان أن يتحمل تبعة الموقف الذى اختاره ، ويكون على استعداد لبذل أقصى تضحية وأقساها فى سبيل الوفاء به ، هذا ما نخرج به بعد قراءة رواية «شرق المتوسط» للروائى السعودى «عبد الرحمن منيف» أحد كتاب الرواية الذين برزوا على سطحها حديثا على الرغم من مرور أكثر من عشر سنوات على صدور أول أعماله وأهمها «شرق المتوسط» ، ثم «النهايات» و «عالم بلا خرائط» .

ودعوة عبد الرحمن منيف تقوم على الأسس نفسها التى قام عليها الالتزام عند الوجوديين ؛ إذ يرى «سارتر» أن العمل الأدبى الملتزم يجب أن يكون هدفه إحداث التغيير ، ولا يمكنه ذلك إلا إذا كان هناك قصد إلى إحداثه بوسائل ، منها حيويته ، وارتباطه بالعصر وملابساته ، وتوجيه الوعى فيه وجهة إنسانية غير مشروطة . ولعل هذه الغاية تكون أقرب إلى التحقق فى هذه الرواية ، ففى إحدى الرسائل التى بعث بها «رجب اسماعيل» إلى أخته «أنيسة» يطرح تصوره لكتابة رواية تكون جديدة فى كل شىء ، أن يكتبها أكثر من واحد ، وفيها أكثر من مستوى ، وتتحدث عن أمور هامة ، والأفضل مزعجة ، وألا يكون لها زمن ، ويبرر رغبته فى كتابة رواية بهذه الطريقة بأن الانسان لا يمكنه أن يكتب شيئا ، فعذاب الكلمة أصعب من أن يتحمله إنسان بمفرده «ولذلك فكرت بتلك الطريقة المجنونة أن يتكلم عدد من الناس فى وقت واحد وبأصوات مختلفة ، وبعد أن يتكلموا دون أى رابطة ، دون نظام ، ليكن ما قالوه رواية أم هذياناً . . لا يهم» . فالبطل يريد أن يصنع واقعا جديدا ، وكل فرد فيه عليه أن يصنع جزءا من هذا الواقع لأن الرفض إذا كان على مستوى الفرد فهو تمرد أما على مستوى الجماعة فإنه ثورة . وهذا ما فعله عبد الرحمن منيف تقريبا ، لأنه لم يفعل ما كان يحلم به قبل الكتابة ، لكنه فعل أكثر ما أراد أن يكتبه . وتدور أحداث الرواية فى ذهن البطل وأخته بالتبادل ، والحدث الخارجى ليس إلا حافزا ومثيرا للشعور عند البطل ، والزمن لا يسير فى خط تقليدى ، بل يتداخل الماضى والحاضر فى ذهن البطل .

* * *

وقد استخدم الكاتب تكنيك الرسائل المتبادلة بين رجب اسماعيل وأخته أنيسة ليكشف كل منهما ما يجهله الآخر لنخلص فى النهاية بالمعرفة الكاملة عن معاناة هاتين الشخصيتين .

والمكان الذى اختاره الكاتب ليس مكانا ثابتا بل سفينة تتحرك من الشاطىء الشرقى للمتوسط إلى الشاطىء الغربى ترسو فى مارسيليا بفرنسا . والسفينة دلالة على عدم الاستقرار وهو ما يمكن أن توصف به نفسية البطل . كما أنها توحى بالرحلة أو السفر ، وهذا بالفعل ما حدث ، فالرواية تدور فى الوقت الذى استغرقته السفينة فى رحلتها من شرق المتوسط إلى غربه ثم العودة . وفى هذه الرحلة القصيرة خرج البطل من السجن هاربا ، ثم عاد إليه مختارا بعد أن تزود على الشاطىء الغربى بأغلى نصيحة قدمها إليه طبيبه المعالج عن ضرورة الصمود فى وجه المتاعب مهما اشتدت قسوتها . كانت النصيحة

أهم من العلاج ، لأن رجب عثر على نفسه بعد كلمات طبيبه المعالج فقرر العودة إلى أرض وطنه ودخول السجن مختارا . والسفينة تسمى «أشيلوس» أو أخيل البطل المغوار فى حرب طروادة . فهل هى مصادفة أم عن قصد هذا الاختيار ؟ . أخيل قائد الميرميدون منقذ الهيلانيين من الطرواديين بقوة سيفه ودروعه والرعب الذى ينزله فى الأعداء مرآه بين جنوده الميرميدون . وأشيلوس سفينة تحمل على ظهرها فيما تحمل رجلا معذبا يفر من مكان ما شرق المتوسط حيث السجن والتعذيب إلى غرب المتوسط ، حيث الحرية وحقوق الإنسان المكفولة بنصوص الدستور . لقد ناصر أخيل المعتدى عليه ضد المعتدى ، أما السفينة فكما حملت المظلوم إلى شاطىء الحرية أعادته مرة أخرى إلى سجنه بعد أن مكنته من تسليح نفسه بإرادة لا تفتر هى كراهية الأعداء والحقد عليهم . هذا هو الزاد الذى تزود به من ملجئه إلى سجنه أو الدلالة الرمزية لأسم السفينة .

وهناك فعل أو مثير يحرك مجموعة من الأحاسيس المهينة تضغط على كبرياء البطل وتعذبه وتجعله يرى نفسه خائنا لا لزملائه المسجونين السياسيين معه فى السجن الكائن بمكان ما شرق المتوسط على الأرض الممتدة إلى أعماق الصحراء من شاطىء البحر فحسب ، بل كذلك لأمه التى تقبلت أن يكون ابنها سجينا سياسيا ولم تتقبل قط أن يكون خائنا فيعترف ويفشى أسرار زملائه . والفعل المثير هو توقيعه على تعهد بأن يكف عن مزاولة أى نشاط سياسى : «أرجو أن تسمحوا لى بالموافقة على السفر للعلاج فى الخارج بناء على توصية الطبيب ، لأن مسئولية موتى فى السجن تقع عليكم ، وأتعهد أن أتوقف عن أى نشاط سياسى» . وهو يعد نفسه بهذا التوقيع خائنا بعد أن كان بطلا . وينتابه الإحساس الشديد بالذنب وتأنيب الضمير والندم . والمعروف أن الندم لا وجود له عند الوجودى إذا كان التزامه قائما على اختيار حر . أما البطل فى هذا الموقف فقد أحس بالندم لأنه لم يلتزم بالاختيار . ولهذا يدفعه إحساسه تلقائيا إلى تقليب مواقفه بالتذكر تارة لإقناع نفسه بأنه قام بهذا الفعل إنقاذا لنفسه المعذبة وجسمه المريض ، وتارة ليأسه من جدوى السجن مهما طالت مدته .

ومع أنه كان يحسب كل شىء منذ البداية بكل دقة ، ويقوم بإجراء «بروفات» يطابق فيها بين ما حدث لزملائه الذين سبقوه إلى التوقيع ، وما يمكن أن يحدث له ، لم يستطع أن يحسب شعوره الداخلى لأن مقاييس المشاعر ليست مادية . وكل شىء له مبرر إلا الخيانة . لقد انضم إلى التنظيم السرى بإرادته ، وأوضح له زميله فى التنظيم احتمالات الخطر والسجن فأصر على المضى فى الطريق إلى آخره ، ولكنه سقط وهذا مبرر عذابه . «قال هادى : يجب أن تعرفوا منذ البداية أن الطريق طويل وصعب ، من يجد نفسه غير قادر فليقل الآن ، لن نلوم أحدا إذا تخلى الآن . أما بعد التوقيف والسجن فأى اعتراف ، أى انهيار سوف يجعل من المعترف والمنهار خائنا» . وقد حاول أن يقنع نفسه بأن التوقيع كان المخرج الوحيد له من العذاب ، فالسجن لم يكن سجنا عاديا بل مكان تعذيب مستمر فى قبو تحت الأرض فيه كل إمكانات التعذيب والإيلام بالضرب أو الشد أو النفخ أو الإغراق فى الماء ، وأقلها الإهانة والسب الشخصى .

ولم يكن هناك أمل يلوح بالفرج . كانت المؤسسات أقوى من المقاومة ، فالصمود فى وجه السجان يحطمه احتفال رجال السجن بزميل لهم وقع تعهدا وخرج إلى الحرية . وهو احتفال فيه الإهانة والتحطيم المعنوى والتعذيب النفسى . سقط «نجيب» زميلهم فبدأ احتفال إدارة السجن بتعذيبهم بأخباره من منتصف الليل إلى السادسة صباحا . والصمود بمؤازرة العالم الخارجى حطمته التحولات فأمه ماتت ، وحبيبته التى كانت مصدر قوته تزوجت . والحياة الخارجية أو عالم خارج السجن لا يلوح فيه أمل التغيير «العالم الخارجى مازال يدور على نفس المحور والثور لم يتعب لكى يغير وضع الأرض وينقلها من قرن إلى قرن» والصمود الذى كان يدعمه زملاؤه قد انهار «باسل جن . خالد فقد عينيه . محسن أصيب بالشلل . نعمان انتحر . أنور تزوج قبل شهرين وترك السياسة نهائيا . نجيب يواصل دراسته» .

جميع هذه الظروف التى يمكن أن يبرر به رجب إسماعيل توقيعه لم تكن كافية ليشعر بالرضى عن نفسه . لقد أحس أن هناك من خدعه وأضعف مقاومته كى يوقع ويخرج ، وبعد أن خرج أدرك أن خروجه من السجن لا معنى له فبلده كله سجن ، وثمن خروجه باهظ ومستحيل هو أن يكتب تقارير عن نشاط الطلاب فى الخارج مقابل السماح له بالسفر للعلاج وعند عودته يجد الوظيفة بانتظاره . لن يستطيع رجب أن يفى بما أرادوا . كان توقيعه ضعفا ، وهو فى نظر زملائه خيانة ، ولكن المطلوب منه أن يقوم بخيانة حقيقية ويتحول إلى جاسوس للسلطة التى أهانته وسجنته وأضاعت صحته وخمس سنين من عمره . هو لن يقبل ، كما أن المناورة لن تجدى ، ولذلك كان يتحتم عليه أن يتخذ قرارا آخر ، أخطر من قرار التوقيع على التعهد ، هو قرار العودة إلى السجن من جديد وبين هذين القرارين كانت معاناة رجب .

وتتكون الرواية من ستة فصول ، خمسة أساسية وفصل ختامى صغير . الفصل الأول والثالث والخامس نرى فيها القصة من منظور رجب . والفصل الثانى والرابع والسادس نراها من منظور أنيسة أخت رجب . ولذلك تتداخل الأحداث بين الفصول ، ويتكرر أحيانا ذكر بعض المواقف بطريقة مختلفة كما يراها الراوى سواء كان رجب أو أنيسة . ويتخلل الفصول خطابات متبادلة بين رجب وأنيسة تكشف جوانب أخرى تحتاج إلى توضيح . وهذا النوع من القصص يحتاج إلى ذكاء شديد من شخصيات الرواية بحيث تكون قادرة على التعبير عما يدور فى العالم الخارجى أو داخل ذواتها واستكناه الحالة الشعورية التى تعانيها . وقد كان رجب كفؤًا لهذه المهمة من الناحية العقلية ، فهو منذ طفولته غير عادى ، كما أنه مثقف كثير القراءة ، شديد الاستيعاب ، يتطور بسرعة ويصل إلى الحقيقة بسرعة وقد حاول أن يجعل من أخته الكبرى إنسانة أفضل بالقراءة ، لكنها لم تكن مستعدة للثقافة ولم تكن لديها المؤهلات الذهنية التى تمكنها من تحليل مواقفها ومواقف رجب ، واتخاذ القرارات والتمهيد لتنفيذها ورسم الخطط بدقة . كانت (أنيسة) تقوم بأفعال أكبر منها ، فهى لم تتهيأ للدور الذى قامت به مع رجب وهو التخطيط الذى يجعله يوقع لإدارة السجن ويخرج ، أو الحكم على أفعاله بالصحة أو الخطأ . كانت تصف نفسها بالبلادة فكيف تقوم بأفعال وتتخذ مواقف تحتاج إلى ذكاء وثقافة وثقة ؟ «أنيسة . . هذه الرواية رائعة ويجب أن تقرئيها ! . . . ويمضى اليوم الأول ولا أقرأ إلا صفحة أو صفحتين . . . حتى إذا رأنى كسولة ملولة اقترح على أن نقرأ بعض الفصول بصوت عال ، ولكن لم تجد محاولاته كلها : لهذا لم يكن كلامها عن رجب مقنعا «كنت أعتبر موقف رجب خاطئا منذ البداية إذ ما فائدة العمل الذى يقوم به ؟» . فالذى يملك حق الحكم يجب أن يكون صاحب رأى ، ولم تؤهل الرواية أنيسة لتكون صاحبة رأى . ولم يكن مقنعا كذلك قولها «وقررت أن أخترق مقاومته» . إنها ستخترق مقاومته بعمل فى غاية الذكاء ، هو أن تنقل إليه باستمرار أخبار زملائه فى التنظيم بطريقة توحى باليأس ، وهى مهمة كبيرة على أنيسة . ولهذا لم يكن هذا الموقف الإيجابى القائم على الفكر والمنطق مقنعا من جانب أنيسة «كان من الواجب أن أحارب رجب على جبهتين اثنتين . جبهة هدى وجبهة أمى . . . . . هكذا كنت أفترض وأنا أقود رجب إلى المقبرة . . . ظننت فى الليلة الأخيرة أن بكاءه كان تطهيرا أخيرا لروحه لأن أى انسان يموت لا ينتهى بنظر الذين يحبونه إلا إذا غسلوه بالدموع . الدموع هى ذرات التراب الأخيرة التى تجلل الميت وتقول إنه انتهى» . إن هذه العبارات التى تحمل اعتزاز قائلها برأيه ، والجمل الأقرب إلى الحكم والفلسفة تحتاج إلى شخص آخر غير أنيسة ليرددها . إنها تحتاج إلى شخصية مثقفة صاحبة رأى ، ولم تكن أنيسة باعترافها كذلك . أقصى ما وصلت إليه فى بيت أمها قبل الزواج أن تساعدها فى حياكة الثياب للناس كوسيلة للارتزاق فكيف اكتسبت هذه الصفات الشديدة الذكاء ؟ هذا لا تبرير له فى سلوك أنيسة .

استطاع الكاتب أن يظهر الأم بشكل غير نمطى ، وأن يبرز جوانب تميزها وبطولتها دون نزوع إلى الخطابة ، وأن يجعل منها مثالا حيا لا نموذجا جامدا . ولعل الأم هى أعظم الشخصيات فى هذه الرواية ، وقد عظمت حتى فاقت شخصية البطل ذاته ولعل عظمتها تتجلى فى جوانب ضعفها بقدر ما تتجلى فى جوانب قوتها . ورسم كفاحها سواء بعد هجر ابنها الأكبر (أسعد) البيت «لو كنت أصب نقودى فى بالوعة لامتلأت» ، أو عندما مارست المهنة التى تجيدها وهى حياكة الملابس ، أو بعد سجن ابنها ، لم تيأس ، ولم تحطمها الأزمات . بل كانت دائمة الفعل والتغيير إلى الأفضل ، فبعد أن هجر «أسعد» الابن الأكبر بيت أمه ، بدأت تعد «رجب» ليكون رجل البيت . وإذا كان المال قد انقطع بخروج أسعد ، فقد جلبته بجهدها وعرقها وسهرها . وإذا كان الابن قد سجن فستظل تطرق كل الأبواب لتعرف مصيره ، فإذا عرفت أنه حى ، سعت من جديد لتصل إليه وتقدم له الطعام ونصائحها بالصمود . هى تتوسل لكى تصل إلى ابنها ، لكنها لا تتوسل للإفراج عنه مهانا ، ولا تنكر عليه دوره رغم أنها لا تدعى العلم ، كل ما تعرفه أنه يقوم بعمل كبير لصالح الناس .

وقد عرفنا الأم من خلال رواية (رجب) ، ثم من خلال تعليقات(أنيسة) على رواية رجب . وفى الرواية ثلاث نساء . الأم والأخت أنيسة والحبيبة هدى . وقد خسرت هدى مبادئها بعد أول اختيار وكشف الواقع تناقضها بين جملتين فاهت بهما فى الرواية «إذا أرغموني على أن أتزوج غير رجب ، فلن يفرح بى رجل ، سأقتل نفسى» وقولها «أنا مرغمة على الموافقة يا رجب ولكن سأحتفظ بالذكرى إلى الأبد» وحتى الذكرى لم يعد لها مكان فى حياتها بعد أن تزوجت وأنجبت وأصبحت نجمة مجتمع «أصبحت هدى سمينة وتحضر حفلات الاستقبال وهى التى فكرت فى الهروب لئلا تتزوج غير رجب» . أما أنيسة أخته وقد سبق التعرف عليها . الأم . نراها بعين رجب . وبعين أنيسة ، ومن خلال حوار متبادل بينهما . توضح أنيسة صورة الأم التى لا يدركها رجب لصغر سنه فهى تخيط الثياب وأولادها نيام بعد أن تنتهى من أعمال البيت الشاقة «كانت تقوم بأعمال لا يقوم بها الرجال . كانت تبنى سور البيت إذا تهدم ، تكسر الحطب ، تنقله إلى الداخل ، كانت تزرع بعض الخضروات

وتعتنى بالدجاج ، فإذا انتهت التفتت إلى ثيابنا . . ثم تتحول إلى ثياب الجيران تسهر الليل لكى تنتهى منها بسرعة لم تكن تشكو ولم تسمع منها كلمة شتيمة» هى امرأة جلدة صبور وصاحبة تصميم وتدرك بحدسها ما قد يعجز عقلها عن استيعابه . فبعد أن عرفت أن ابنها (رجب) يقوم بدور سرى وأنه يخفى أوراقه بعيدا عن العيون ، وأنه يسعى لتغيير خطير لصالح الأغلبية المكدودة ، وقفت إلى جانبه وساعدته . يعطيها أوراقه فتخفيها «يطلب منها أن توصل بعض أوراقه لأصدقائه . أو ترشد رجلا يأتى إلى بيتنا ولم نره من قبل إلى بيت صديق» وبعد أن قبض رجال الشرطة على ابنها لم تستسلم كانت تدور فى مراكز البوليس تسأل عن ابنها من الفجر إلى الغروب كل يوم لمدة أربعة أشهر ، وكان الجواب الوحيد الذى تسمعه الإنكار «ليس عندنا أحد بهذا الاسم» فلجأت إلى أساليبها الخاصة ، ونجحت فى استدرار شفقة أحد رجال الشرطة بالسجن ووعدها بالسؤال عن ابنها . ومن الثامنة صباحا إلى الرابعة عصرا وهى تنتظر حتى جاءت البشرى «رجب عايش . رجب حى» . فكانت خطوتها التالية أن تصل إليه بالطعام والتثبت من ثباته على مبدئه . وعندما وصلت إليه واطمأنت إلى أنه حى ومحكوم عليه بالسجن احدى عشرة سنة بدأت تزوده بزادين من عندها الطعام والصبر يقول رجب عن أمه : «كانت كلمات أمى حازمة مثل حبل الحرير . أحذر يا رجب الجبن ينتهى أما الذل فلا ينتهى . لا تقل شيئا عن أصدقائك . أحذر أتسمعنى ؟» .

ومع ذلك كان للأم معاناتها التى لا يشعر بها ابنها لأنه لا يعرفها . عذاب الدوران كالنحلة من البيت إلى السجن من أول النهار إلى آخره علهم يسمحون لها بالزيارة . وعذاب الإهانة التى تتلقاها يوميا من جيرانها بعد أن تغير حالها وكثر خروجها من بيتها إلى الشوارع من الصباح إلى الليل ووصموها بالجنون «أم أسعد جنت» وعذاب مواجهتها لابنتها التى بدأت تخجل من أحوال أمها وتنصحها بالتريث والقعود فى البيت ويكفى أن تخرج يوم الزيارة وحده . الأبنة لم تفهم أمها ، ويبدو أنها تقبلت سجن أخيها كقدر لا منجاة منه ،لكن الأم تقطع إرادة ابنتها بعبارة قاطعة : «سأظل بهذا الشكل مهما قال الناس وإذا لم يعجبك ارحلى أنت وزوجك» ، بل إنها كانت تمارس سيادتها على بيتها وتفرض على الآخرين احترام مشاعرها برغم كل معاناتها الداخلية . وقد وبخت أنيسة لأنها وجدتها تضحك وأخوها فى السجن فلم تغفر لها وكالت لها من الإهانة الكثير «لم يبق إلا أن تحنى رجليك . مات رجب وعليك الآن أن تفرحى وترقصى» . كانت الأم تعيش خارج ذاتها ، كانت تعيش لأولادها حتى كبروا ، وتعيش لرجب حتى يفك أسره ، ومع ذلك كانت تتعذب من أمور صغيرة كذلك الحادث الذى وقع لها عند محاولتها التوسل لأحد الجنود لتزور ابنها فيلمس صدرها بيده ، وإذا بها تخرج عن كل حدود الاحتمال وتلعن الشرطى والذين وضعوه فى هذا المكان .

فى حوار بين أنيسة ورجب تكشف أنيسة لأخيها كيف ماتت أمه ، فقد ذهبت مع مجموعة نساء من أمهات المساجين لمقابلة وزير الداخلية ، ورفض مقابلتهن ، واعتدت الشرطة عليهن بالضرب والتوقيف والإهانة ، ثم أعادها إلى بيتها وهى على وشك الموت ، وبعد عشرة أيام ماتت . كانت دعوتها الوحيدة لأبنها السجين أن يزداد صموده «اللهم قو رجب ، واعم عنه عيون الظلام» .

لقد اكتشف رجب أنه لم يكن يتعذب وحده ، فإذا كانت معاناته تتمثل فى أنه سجين ومهان فقد تعذبت أمه وهى خارج السجن ، وتعذبت أخته ، وتعذب حامد زوجها . بل إن الرواية حملت إلينا عذاب الكثيرين على الشاطىء الغربى للمتوسط وفى فرنسا إبان الاحتلال النازى ، فالدكتور فالى . . طبيبه المعالج يقص له ذكرياته عن أيام الكفاح بعد أن يعرف سبب مرضه وسجنه السياسى ولكنه يؤكد له نفس المعنى الذى سبق أن أكدته أمه «أقدّر الصعوبات التى واجهتها . لكن أعتبرك رجلا والرجال لا يسقطون» ثم يقدم له مع العلاج أهم نصيحة من مناضل قديم إلى مناضل جديد : «أريدك أن تكون حاقدا وأنت تحارب . الحقد هو أحسن المعلمين ، يجب أن تحول أحزانك إلى أحقاد ، وبهذه الطريقة وحدها يمكن أن تنتصر أما إذا استسلمت للحزن فسوف تهزم وتنتهى ، سوف تهزم كإنسان ، وتنتهى كقضية» إنها الإرادة ، فهل كان رجب يفتقر إلى الإرادة عندما وقع ؟ فى آخر اعتراف يدلى به رجب لطبيبه الدكتور فالى يتحدث عن سجنه والعذاب الذى لا يحتمل واعتلال صحته ، ولكنه ينظر إلى الرجل فيجد الوجه القاسى والعينين الهادئتين ويستنتج أن الدكتور فالى وأصحابه صمدوا . . . وانتصروا ولم يبق عليه إلا أن يصمد حتى ينتصر على النظام بالثورة أو على نفسه بالموت . وقد أعطى عدوه له الفرصة ليصحح خطأه عندما هددوا (حامد) زوج أخته بالسجن نيابة عنه إن لم ينفذ رجب الاتفاق ويرسل خطابات تجسسه على زملائه ، أو يعود إلى سجنه فيقرر العودة بشجاعة ليواجه مصيره بعد أن صور له الدكتور (فالى) بشاعة ما فعل ليخرج من السجن ــ عن غير قصد ــ «كيف تستطيع مصافحة اليد التى لوثت دماءك ؟ كيف تستطيع أن تبتسم للوجه الذى كان يتلذذ وهو يسحب خصيتيك» . كانت أمه على حق ، وكان الدكتور فالى على حق . لذلك يطلب المغفرة من الأم لا من

السجان «اغفرى لى . . هل يمكن ليديك أن تستقبلا رجلا سقط ويحاول من جديد حتى بعد سقوطه أن يتطهر» .

والحق أن التغيير لم يحدث لرجب وحده . فقد تغير (حامد) بعد سفر (رجب) ورأى بشاعة من كانوا يسجنون الأبرياء . وعرف أنه مهدد بالسجن . بالإمكان تلفيق أى تهمة والزج به فى السجن . وقد حققوا معه أكثر من مرة ، وأخيرا وضعوه فى السجن ، وتقبل (حامد) بهدوء مثير البعد عن زوجه وأولاده فى غيابة السجن . ورفض من (أنيسة) زوجته أن تكتب إلى أخيها حامد ليعود ويسجن بدلا منه .

وتغير الأطفال نتيجة ما حدث لأبيهم وخالهم ، لقد جعلت الأزمة الصغير عادل ينطق بالحكمة فى رسالته لخاله رجب «إنه لم يسمع بقائد انتصر بالكلمة . السيف وحده هو الذى يحقق النصر» فإذا كان الجميع قد تغيروا فلا شك أن الفضل يرجع إلى صمود الأم وصدق عزيمتها التى صححت ، حتى بعد موتها مسار أبنائها ، وإلى استدراك من كاد يسقط فى لحظة ضعف عابرة بفضل نصيحة مناضل قديم إلى مناضل حديث . . التماسك حتى لا يقع الانهيار . حتى يتحقق الحلم الذى بدأه البطل مختارا عندما قرر أن يجعل من نفسه واحدا من صانعيه عندما اعتنقه عن قناعة .

القاهرة : د. عبد البديع عبد الله

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عمر نجم

دراسه

# مدخل إلى دراسة خصائص الدراما فى شعر فؤاد حداد

● منذ عامين ، وفى أول نوفمبر ١٩٨٥ ، رحل رائد شعر العامية المصرية فؤاد حداد ، ليلحق بـ « نجيب سرور وصلاح عبد الصبور وأمل دنقل ومعين بسيسو » وغيرهم من شعرائنا الذين تسللوا من بين أيدينا شاعراً تلو الشاعر .

ولما كان التكريم الحقيقى لهؤلاء الراحلين ، هو أن ندرس ابداعهم . كانت هذه الدراسة المتواضعة لقصيدتين من قصائد فؤاد حداد . والدافع إلى هذه الدراسة ، هو أن شعر العامية المصرية بعامة ، وشعر فؤاد حداد بخاصة ، لم يلق بعد اهتماماً من النقاد والدارسين ، يعكس مدى ارتباطه الوثيق بالقضية الإجتماعية فى مصر ، عبر مراحل التغيير الذى أصاب بنية المجتمع .

ولعله ضرب من ضروب الخيال ، أن نحصر الأمثلة ، التى تبرهن على العلاقة التى ربطت بين المصريين وبين شعر العامية ، إلا أن هناك إشارة تاريخية ، نسوقها فى مثالين ، لندرك قوة هذه العلاقة ، ونعرف ما تتميز به وشائجها من صلابة .

المثال الأول : يجىء فى الفترة الزمنية ، التى أعقبت هزيمة الثورة العرابية ، وذلك عندما أخفى المصريون شاعر الثورة العرابية عبد الله النديم ، طوال عدة سنوات فى قراهم ، على الرغم من العقوبة التى كانت تنتظر مَنْ مكّنوا له الإختفاء ، والمكافأة المالية التى رُصدت ، لمن يُدلى بمعلومات عنه ، أو يرشد عن مكان اختفائه .

المثال الثانى : وهو القصيدة ، التى أبدعها الشاعر محمود بيرم التونسى ، ورددها خلفه المصريون ، معبراً بها عن سخطهم على ملك فاسد ، غير مبالٍ بما قد يجلبه عليه نشر هذه القصيدة ، من عواقب وخيمة ، تعرض لها بعدئذ ، تمثلت فى نفيه بعيداً عن الوطن ، وهى القصيدة التى يقول مطلعها :

ولما عدمنا بمصر الملوك
جايبوك الإنجليز يافؤاد قمدوك
تمثل على العرش دور الملوك
وفين يلقوا مجوم نظيرك ودون

ولقد اخترت ديوانى « المسحراتى »[1] و « الأراجوز »[2] من بين دواوين فؤاد حداد ، لتوافر عدد من الخصائص الدرامية بهما ، أبسط هذه الخصائص ـ بداهة ـ أن الشاعر فيهما ، تخفى عبر شخصيتين شعبيتين « المسحراتى والأراجوز » تمتد جذورهما فى تاريخ الشعب المصرى منذ زمن سحيق ، وتحملان كثيراً من الدلالات ، استطاع الشاعر من خلالها توظيف الموروث الشعبى ، فى خلق شكل فنى قادر على أن ينهض بما يريد الشاعر توصيله للناس فى حاضرهم ، كل هذا بعمق ، وإن بدا الظاهر مسطحاً ، و « التفكير الدرامى هو ذلك اللون من التفكير الذى لا يسير فى اتجاه واحد »[3] .

بين الشعر والدراما :

المتأمل لهذين الديوانين « المسحراتى » و « الأراجوز » لابد أن يستلفت نظره ، عدد من الخصائص الدرامية التى تمتلىء بها

قصائدهما ، والخصائص الدرامية ، أمرها ليس بجديد ، أو مستحدث على الأدب ، بشتى صنوفه « لأن كل الأنواع الأدبية تصبو إلى الوصول إلى مستوى التعبير الدرامى »[4] . وإذا كانت هذه هى الحال ، فالشعر بعامه ـ فصحى كان أم عامية ، والحديث منه بخاصة ـ يعد من أكثر الأنواع الأدبية اقتراباً من الدراما ، بعد أن « أصبح الشعر الحديث يلتقى مع المسرح الحديث فى كل ثنية ، على اختلاف الوسيلة اللغوية »[5] .

بيد أن المساحة المتاحة ، لا تسمح بأكثر من أن ندرس قصيدة واحدة من كل ديوان من الديوانين المذكورين .

**أولاً ـ ديوان « المسحراتى » :**

**يقول فؤاد حداد فى قصيدة « الاستيمارة »[6] :**

اصحى يا نايم — والفجر قايم
وحد الدايم — اصحى يانايم
وقول نويت — وحد الرزاق
بكره إن حييت — رمضان كريم
الشهر صايم

•

مسحراتى — قال نيجى باكر
منقراتى — وتروح لذكرى
ع الطبله ايدى — قال روح لشاكر
ريشه فى دوايق — والا لشكرى
اسمع ياسيدى — شكرى فى اجازه
اسمع حكايتى — راحت لبهجت
مع استيماره — لاحظ ماذا
راكبه الحماره — ولا سألها
أول ما راحت — اشُر نقلها
راحت لحسنى — راحت لهانى
قالت ياحوستى — خليُك مكانى
هو أنت فاطر — هانى الطاطورى
قال كنت فاكر — قال فيما يبدو
مش حانسى تانى — حتروح لعبده
خليك مكانى — لازم ضرورى
الاستيماره — ضرورى لازم
راكبه الحماره — راحت لحازم
راحت لفكرى — بِنه لتيفه
شاغلاه لطيفه
منّه لمكتب
راجل مؤدب
بيدله بُنى
قال لى أظنى
فى تانى أوده
عند الموظف
أبو بدله سودا
بدله رصاصى
قال لا مؤاخذه
مش اختصاصى
ياسيدى لاظوغلى خلص لى شغلى
فى تانى طرقه
على شمالى
لبدله زرقا
شرحت حالى
قال ثانيه واحده
والاستيماره
من يومها قاعده
راكبه الحماره
لو كنت راكب
ما كنتش اوصل
ولا أودى واجب
ولا أحصل
وأطلع بلاشى
أحسن لى أفضل
على مهلى ماشى
المشى طاب لى
والدق على طبلى
ناس كانوا قبلى
قالوا فى الأمثال :
« الرجل تدب مطرح ما تحب »

• • •

وأنا صنعتى مسحراتى فى البلد جوال
حبّيت ودبّيت كما العاشق ليالى طوال
وكل شبر وحتّه من بلدى
حته من كبدى
حته من موال :
أنا صايم الشهر طول الشهر ودا فاطر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وأنا ماشى فى الشغل قلبى سخن ودا فاتر
ما يتنقل شبر إلا بحبر ودفاتر

• • •

أصحى يانايم
وحد الرزاق

. . . . .

• • •

وحتى نتمكن من الدخول إلى عالم هذا الديوان ــ والقصيدة جزء من هذا العالم ــ وكى ندرك أسلوب التعامل معه ، ينبغى ألا نخلط بين شيئين ، وإن جمعهما اسمٌ واحد . الأول : هو « المسحراتى » الذى ألفناه ، ينادى على النائمين ، كى يستيقظوا ويتناولوا وجبة السحور ، تأهباً للصوم فى شهر رمضان ، والثانى : هو « مسحراتى » فؤاد حداد .

لو كان الاثنان شيئاً واحداً ، لما استحق « مسحراتى » فؤاد حداد أن يتعلق به الناس ، وما كان دافعاً إلى مجرد القراءة لا الدراسة ، إن اختلافاً جذرياً يفصل بينهما ، فى نفس الوقت الذى يرتبطان فيه . الرابط بينهما هو الشكل الناتج عن انحدارهما معاً من الموروث الشعبى ، كذلك الاسم ، والوظيفة التى تبدو للوهلة الأولى واحدة . أما الاختلاف الجذرى بينهما ، فكثيرة عوامله .

الغاية عند « المسحراتى » الذى ألفناه ، غاية جامدة ، لم تتبدل ، ولم تتغير منذ آلاف السنين ، وهى إيقاظ النائمين من نوم الجسد ــ كغريزة إنسانية ــ ليتناولوا وجبةً تعينهم على أن يتحملوا مشقة صوم يوم طويل ، لكن الغاية عند « مسحراتى » فؤاد حداد ، هى غاية فاعلة ومتحفزة ، هى غاية شاعر ، يؤمن برسالة ، ويحرص على وصولها إلى النائمين روحاً ، آملاً أن تصيب لديهم ــ إن استيقظوا ــ أملاً ، وتحقق هدفاً ، يدفع المجتمع بأكمله إلى طريق التقدم .

و« المسحراتى » الذى ألفناه ، ليس مبدعاً أو خلاّقاً ، وسيلته مثل غايته جامدة أيضاً ، بناؤها عدد من تواشيح دينية ، لا يملك إلا أن يرددها كما حفظها عن آبائه وأجداده ، حرفاً بغير أن يضيف إليها حرفاً جديداً أو معنى آخر ، أما « مسحراتى » فؤاد حداد فوسيلته حية نابضة ، لأنها تتجسد فى كائن حى ، هو الشعر ، وبناؤها يتطور من يوم إلى آخر ، فى حياة تزخر بالحركة ، وتفيض بالحيوية .

و « المسحراتى » الذى ألفناه ، هو إنسان بعينه ، أما « مسحراتى » فؤاد حداد ، فنماذج إنسانية متعددة ، تمثل شرائح متعددة ، بما تعبر عنه هذه الشرائح من رؤى وآفاق .

وإذا أتينا إلى القصيدة السابقة ، نراها « حدوته » تحكى عن واحد من عامة الناس ، ساقته قدماه إلى أحد دواوين عمل حكومى ، كى ينهى إجراءات روتينية ، تستلزم التوقيع على « استمارة » تتعلق بأمر حياتى خاص به ، وهذا التوقيع لا ينتهى إلا بالمرور على طابور طويل من الموظفين .

إذن ، فـ « الحدوته » عادية لا جديد بها ، لكن الجديد هو أن يتناول « مسحراتى » فؤاد حداد هذا الموضوع المتكرر ، فيخلق منه لوحة درامية ، يكشف فيها عن فساد هذه الإجراءات ، وفيما يلى رصد للخصائص الدرامية فى قصيدة « الاستيماره » :

أول ما نلمح فى هذه اللوحة من الخصائص الدرامية الصراع بين شخصيتين محوريتين ، يبدأ بسرد من راوٍ . الراوى : هو المواطن البسيط « صاحب الاستمارة » ، الذى يبدأ سرده بـ « اسمع حكايتى/مع استيماره/راكبه الحماره » ، ويتدخل أثناء الصراع معلقاً على الأحداث بـ « خليك مكانى » و « يا سيدى لاظوغلى خلص لى شغلى » ، وينتهى من سرد اللوحة بـ « الاستيماره/من يومها قاعده/راكبه الحماره » ، حتى يصل إلى « أحسن لى افضل/على مهل ماشى » .

والشخصية المحورية الأولى : هى « الاستيماره » ذاتها . أما الشخصية المحورية الثانية : فهى مجموعة من شخصيات ثانوية ، تتحد لتكون الشخصية المحورية الثانية « مجموعة الموظفين » . و« ذكر الاصطراع معناه اثبات خصيصة أولى من خصائص الدراما »[٧] . وإذا كان ذكر الاصطراع ــ أو الصراع ــ يعنى إثبات خصيصة أولى من خصائص الدراما ، فإن الحدث الذى يقوم على هذا الصراع ، لابد أن يكون حدثاً درامياً .

والحدث الدرامى فى هذه اللوحة ، هو الرحلة الدائرية المفرغة ، التى تقوم بها الشخصية المحورية الأولى « الاستيماره » ، أثناء صراعها مع الشخصية المحورية الثانية « مجموعة الموظفين » . ويأتى تنامى هذا الحدث داخلياً ، من تقابل بين فعلين ، أحدهما : فعل إيجابى ، تحاول أن تؤديه الشخصية المحورية الأولى ، وثانيهما : فعل سلبى ، وهو بمثابة رد فعل للفعل الأول ، وتنهض به الشخصية المحورية الثانية .

ثم يجىء الحوار كخصيصة درامية ، ويجرى بين الشخصيتين المحوريتين :

الشخصية المحورية الأولى « الاستيماره » قالت :
ياحوستى/هو أنت فاطر ؟

الشخصية المحورية الثانية « موظف واحد هنا » قال : كنت فاكر/مش حاسس تانى .

وإلى جانب أن الحوار فى هذه اللوحة ، حوار كاريكاتورى ، لأنه يدور بين جماد « الاستيماره » كشخصية محورية أولى ، وبين إنسان « مجموعة الموظفين » كشخصية محورية ثانية ، يكشف الحوار عن مفارقة ، تعد خصيصة درامية ، تتضح حينما تقود « الاستيماره » صاحبها « الراوى » فى دهاليز العمل الحكومى ، عبر رحلتها الدائرية المفرغة ، و« عند المفارقة يلتقى المسرح بالشعر »[٨] .

وتأتى الحركة كخصيصة درامية فى هذه اللوحة ، منبعثة من الرحلة الدائرية المفرغة ، التى تنتقل خلالها « الاستيماره » من موظف إلى آخر ، وهى حركة لاهثة ، تكشف لنا عن سرعتها الجمل الشعرية القصيرة المتلاحقة ، التى تشبه الجمل التلغرافية .

ويؤدى اللون وظيفة تشى دراماً بكآبة المكان ، الذى يدور على أرضه الصراع ، وذلك من التقابل غير المتكافىء عددياً ، بين اللون الأبيض ـ استنتاجاً ـ الذى تظهر به الشخصية المحورية الأولى « الاستيماره » ، وبين الألوان الداكنة « بدله بنى ـ بدله سودا ـ بدله رصاصى ـ بدله زرقا » التى تظهر بها الشخصية المحورية الثانية « مجموعة الموظفين » .

* * *

ثانياً ـ ديوان « الأراجوز » :

يقول فؤاد حداد فى قصيدة « والد الأراجوز »[٩]

ـ ١ ـ

أنا عندى ياولاد الحلال حدوته
أنا والدى هو اللى عاشها . ولاحد
قبلى نقشها فى حجر ولا مخطوط

ـ ٢ ـ

كان والدى بالطبع زيى أراجوز
ولكن حزايني وانا كنت واد
قطقوط
الخالق الناطق دماغى دماغه
الخالق الناطق كما الشمّوط
كان صوته ، الله يرحمه ، صفّاره
وجسمه رايح جاى زى الفاره وعظمه
يانجارين بيلقّ فى الزعبوط

ـ ٣ ـ

وفى يوم من الأيام . خلىّ بالك
معاى : هنا العُقده ، ندهه الملك
وكان ملك أعظم من العمدة وعيّنه
مضحك ولىّ العهده وقال له
« يا ألعب من القرموط
تضحّك الولد أعلىّ مراتبك ، تبكّى
الولد أقطع رقبتك . . افهم
كلامى وامشى بالمظبوط »

ـ ٤ ـ

والدى ، الله يمسّيه بالخير ، ما كانش
ناقصه . . طُلع سلاح أبيضانى
وقطع رقبته بنفسه . . راح
الولد فى البكا ، وأنا والدى مات
مبسوط

ـ ٥ ـ

أنا والدى مات مبسوط لأنه عكس
أمر الملك أيام ما كان الملك ملك
ومصروف الأمل مضغوط
ومن ساعتها ، وأنا عندى جيوب
أنفيه وعينى كما الحنفيه والدمع
منى وفىّ بحر ماله شطوط

والقصيدة السابقة دراما ملحمية ، نرصد خصائصها الدرامية على النحو الآتى :

منذ البداية ، يظهر الراوى ليخبرنا أن لديه رواية « أنا عندى ياولاد الحلال حدوته » ويستمر فى روايته عبر كل مقطع شعرى « كان والدى بالطبع زيى » و « كان صوته الله يرحمه » ثم « وفى يوم من الأيام » و « والدى الله يمسّيه بالخير » وهكذا حتى يصل بنا إلى المقطع الأخير « أنا والدى مات مبسوط » .

والمقاطع الشعرية التى تتكون منها القصيدة ، هى وحدات درامية متصلة ، كل وحدة منها تفضى إلى الوحدة التالية لها مباشرة ، فالوحدة الدرامية الأولى ، التى تبدأ بـ « أنا عندى ياولاد حدوته » وتنتهى بـ « فى حجر ولا مخطوط » تعد تمهيداً من الراوى للمتفرجين ، يمهد فيها لرواية بطلها هو والده ، والوحدة الدرامية الثانية « كان والدى بالطبع زيى . . » يرسم

فيها الراوى شخصية والده « والد الأراجوز » ويحدد ملامحها وعملها بالطبع زى . . » يرسم فيها الراوى شخصية والده « والد الأراجوز » ويحدد ملامحها وعملها وتكوينها النفسى ، فعمله « أراجوز » وملامحه « الخالق الناطق دماغى دماغه/ الخالق الناطق كما الشموّط » وتكوينه النفسى « حزاينى » ، وهناك مفارقة ناتجة بين تكوينه النفسى « حزاينى » وعمله « أراجوز » فالتقابل بينهما ، يدخل ضمن بنية الشخصية .

وفى هذه الوحدة ، تحديد لكيفية ممارسة « الأراجوز » لعمله وحرفته ، فصوته ، جهورى « صفاره . ويعمل فى نشاط ودأب « جسمه رايح جاى زى الفاره » ولهذا فجسده نحيف و « عظمه يانجارين/بيلق فى الزعبوط » .

والوحدة الدرامية الثالثة « وفى يوم من الأيام . . » يبدأ فيها الراوى الحدث الدرامى ، ونتدرك من خلالها سر حزن « الأراجوز » الذى عرفناه فى الوحدة الثانية ، وذلك بعد أن أجبره « عينه » الملك على أن يعمل مضحكاً لـ « ولى العهده » مهدداً إياه بالموت « اقطع رقبتك » إن أبكى « ولى العهده » .

والوحدة الدرامية الرابعة « والدى الله يسّيه بالخير . . . » يكشف فيها الراوى عن عصيان « والد الأراجوز » وثورته على الملك ، وذلك عندما يدفع حياته ثمناً لتمرده على الأمر الملكى « وأنا والدى مات مبسوط » .

ولأنها دراما ملحمية لا تأخذ بالقواعد الأرسطية « بداية ـ حبكة ـ ذروة . . . » يستمر الراوى فى روايته ، حتى بعد انتحار البطل ، حيث تجىء اللوحة الدرامية الخامسة ، لتكشف أن الرواية مازالت مستمرة وأن فصولها باقية ، حيث أن « الحدوتة » لا تقتصر على إنسان بعينه فى زمان ومكان بعينهما ، بل تصور الإنسان عامة ، منذ العهد البدائى الأول « ولاحد قبل نقشها/فى حجر ولا مخطوط » ، وهى بهذا ترسم صورة صادقة لمعاناة الإنسان وما يتعرض له من قهر منذ أن وجد .

وتستند هذه الدراما إلى الجدل والمناقشة ، وتتعرض للحالة مباشرة دونما لجوء إلى الايحاء ، من خلال مخاطبة عقل المتفرج لا وجدانه كى تثير لديه الرغبة فى الفعل . « أنا عندى ياولاد الحلال » و « خلى بالك معاىّ » ، ولأن الراوى حريص على مخاطبة عقل المتفرج ، يأتى بأمثلة بسيطة إلى العقل ، تناسب وعى المتفرج « ملك أعظم من العمده » ، لهذا تسهل مهمته .

أما الحدث الدرامى ، فيجىء من تسلسل الوحدات الدرامية ، وهو حدث دائرى ، تتضح دائريته من خلال استخدام قافية واحدة ، تنتهى بها كل وحدة درامية ، أو ينتهى بها كل جزء داخلها « مخطوط ـ قطقوط ـ شموّط ـ زعبوط ـ قرموط ـ مظبوط ـ مبسوط ـ مضغوط ـ شطوط » .

●

وبعد ، فهذه الدراسة لم تكن تطمح فى أكثر من أن تكرّم رائداً من روّاد شعر العامية الراحل فؤاد حداد ، ومما يدعو إلى الأسف حقاً ، أن المكتبة العربية تكاد تكون خالية من الدراسات فى هذا المجال ، باستثناء عدد قليل لا يسمن ولا يغنى من جوع ، وهو أمر ـ كما أسلفنا ـ لا يتناسب مع ما لشعر العامية من تأثير فى المجتمع .

القاهرة : عمر نجم

---

الهوامش :

( ١ ) فؤاد حداد : المسحراتى ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٨ .

( ٢ ) فؤاد حداد : الأراجوز ، دار سينا للنشر ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، يوليو ١٩٨٧ .

( ٣ ) د. عز الدين إسماعيل : الشعر العربى المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٩٦٦ ، ص ٢٧٩ .

( ٤ ) د. عز الدين اسماعيل : المرجع السابق ، ص ٢٧٨ .

( ٥ ) د. محمد عناني : الغربان ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٧ ، ص ١١ .

( ٦ ) فؤاد حداد : مرجع سبق ذكره ، ص ٤٣ .

( ٧ ) د. محمد عناني : المرجع السابق ، ص ١٠ .

( ٨ ) د. محمد عناني : المرجع السابق ، ص ٧ .

( ٩ ) فؤاد حداد : مرجع سبق ذكره ، ص ٢٢ .

(١٠) ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ أرقام من عندنا لم تأتِ فى القصيدة ، وذلك للاستفادة منها فى التحليل .

# النخيل

بدر توفيق

بين النخيل والنخيل يولد النخيلْ
ويستتبُّ رافعاً أعناقه فى تربة الوطنْ
مرتكزَ القامة مطلق العددْ

الجند فى الجبهة كالنخيل فى التربة
لهم قطوفٌ ولهم فى باطن الأرض مَدَدْ
لهم رؤوسٌ مشرعاتٌ فى السماءْ
وبين أيديهم حصادٌ لا يدانيه أحدْ :
الصدر حِصْنُ الأرضْ
العين فى الليل البهيم نورها
وعندما يهلُّ فى أديمها الصباحْ
يكون هذا القلب شمسها الذهبْ
وكلما فى حضنها ثوى شهيدْ
تماسكت تربتها واستحكم الوتدْ
اشتدَّ حبل الدمِّ بين الرأس والعَضُدْ
وأصبحت قماشة الجسدْ
فيئاً لطفلها وشيخها
أمومةً تضافرت عقلاً إلى كبدْ

الأرض زوجة وطفلْ
الأرض أم وأب وابن وجَدْ

أهلٌ وجيرانٌ وأصدقاءْ
لهؤلاء يَجْمُلُ الفداءْ
حيث يزول الدمع والعناء والغضبْ
فيصبح الفراق موعدا بين النخيلْ
ومولدا بين النخيلْ

أيها النخلْ : نحن نسكن فيك ونولد فيكَ
ونخرج منك ونأتى اليكَ
ولا نستظل بظلٍ سواكْ
العراجين تنبت فيك وتطرح أثمارها
وجريدك مأمن كل الطيور التى تبتنى عشها
هل هناك مكان تُفرخ فيه يدانيك فى رفعتكْ
أو يدانيك فى جِذرك المتمدد فى باطن الأرضِ
حتى المياه العميقة لا يقتضينا مشقة سقياكْ
لكأنك ترفع عنا عبء السقايةْ
وكأنك ترفع عنا عبء اللقاح الذى تحمله الرياح إليكَ
وأنت تهيمُ وأنت تميلُ كأنك أغنية للخصوبةِ
حين تؤدى هذا الرقص ، وهذا العناق الوسيمْ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ها هو النخل يصهل بين حقول الوطنْ
بين أحيائه وفيافيهِ ، بين منازله واندلاع الزمنْ
ها هو النخل يسهر فوق حدود الوطنْ
وهو يرسم وجه الوطنْ
تنطفى النار تحت مواقع أقدامهِ
وتفرّ الشياطين مذعورة من صلابتهِ
وتماسكه فى الليالى السودِ
وفى المطر الأسود المتدافع بين الجنودْ

القاهرة : بدر توفيق

# فاتحتان للعُبيْدِي المقتول وَفاتحة لكم

محمد سليمان

« العُبيدى مواطن تونسى كان يعمل ويقيم فى مدينة نيس استعدتْ عليه ملامحُه العربيةُ ستة شبان من المتعصبين الفرنسيين الذين قتلوه ركلاً وضرباً بالأحذية فى حديقةٍ عامة »

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لماذا عبرتَ البحرْ
هل نيسُ أدنى إلى الربِّ من تونسْ ؟
أم الوطنُ كان أقلَّ من لقمةٍ
وأضيقَ من ثقب إبره
لم تكن كلباً لتَلْتفِتَ الكلابُ إليكَ
ولا نملةً لتسعى إليك النمالُ
لا جِذْاةً
ولا قُبَرةً
ولا سمكه . . .
كنت عربياً
فكان ركلُك صَلاةً
وقتلُك تقرُّباً
لماذا عبرتَ البحرْ . . ؟

•

الشّبانُ السّتةُ من نيسْ
ضحكوا . .
حين انكفأ المنفيُّ على صرختهِ
مالوا . .
حين التفَّ عليه الوجعُ
وركلوا . . ركلوا
حتى ضحكتْ فى عينيه الدهشة
سالتْ رِعشتُهُ فوق الحَجَرِ ،
وحين انقذفتْ قُبَرةٌ فى البرد اندفعوا . . .
مالوا بمعاطفهم
وقفوا بين البرد وبين الرّيشِ ،
التفّوا . . .
صاروا عُشا .
. . . . . .
. . . . . .
الشّبان السّتةُ
صرخوا

حين انْجَدَلَتْ أسئلةُ الشرطيِّ ،
فصارت قيداً
هتفوا : داعبناهُ بأطراف الأحذيةِ ،
تقاذفناهُ
لهونا معهُ . . . . مات
لماذا نُسأل عن لا شيء
عربيٌّ مقتولٌ ما قيمتُهُ . . ؟

* * *

ومن كوخٍ إلى كوخٍ يجُرُّ فضاءَهُ
ينحازُ حين ينام للوطن المفارقِ ،
يعتلى أبراجَهُ . . .
فيرى المحيط يعانق البحرين
والأشجارَ تلهو في قميص الله ،
والحَجَرَ القديمَ تلُفّه الأمواجُ ،
تترك فوقه سُحُباً من الألوانِ ،
والآباءَ يبتسمونَ
ثم يكِزُّ حين تُدشْدشُ الثيرانُ بابَ الكوخِ ،
ينهمر الظلامُ عليه ،
ـ ما اسمك ؟
ليس لى اسمٌ
أنا فى الدارِ . .
هذا الرملُ عاصِمتى
أحِبّ الله والأطفالَ والعُشبَ الذى يطفو على الأحجارِ ،
هل سُرِقَتْ من الصحراء وحشتُها . . ؟
أم اختنقتْ طبولُ البحرِ
ها أنتم ترون أصابعى مُبْتَلةً بالشوقِ
لم أسرقْ
ولم أقتلْ
ولم أختر عمودَ الفقرِ
أيامى على الأسفلتِ فى الأحراش والورَش الصغيرةِ ،
فى برارى البحر . . هل جرّبتَ بُخْلَ البحر . . ؟
ظِلّى دائماً تحتى
فهل ضايقتُ غيمتكم . . صدَدْتُ الريح ، ؟
ـ تقعد مُتخماً بالقُبح . . عُرياناً كمعصِيَةٍ
وتزحف رايةً للجوع
رائحة تصدّ الطيرَ
ثم تحاصر السلطانَ حين تنامُ بالضّحكِ المباغِتِ
بالنّحيب . . .
وهلْوَساتِ الحلم ،
هل أغْوتكَ رحمتُهُ . ؟
أم امتَشَقْتَكَ أغربةُ النعاسِ ـ ،
على الرصيف رأى قراصِنةً وصيّادينَ ،
طيراً حول مركبةٍ
وأطرافاً على الأسْفَلْتِ
فانخلعتْ أصابعُهُ
هوى من عينه ضوءٌ
وغابَ . رأى البلادَ تضيقُ ثم تضيقُ ،
تنهش نفسها . . .
والبحرَ يفتح كُوّةً للبوحِ
فاستهوتهُ دحْرجَة ومالَ رأى المآذن مثل أوتادٍ ،
تغوصُ . . تغوصُ
والصحراءَ تلهث قُرب سِيف البحرِ ،
والحوتَ المصفّحَ يسْتردّ الوعىَ ،
يكتب آيةً للدفنِ ،
من قتل العُبيدى . . ؟
لم . . يمت فى نيس
لم يقتله شُبّانُ الحديقةِ
مات فى تونس
فى بيروت
فى مكة
فوق النيلِ
أنتم قاتلوهُ . . . رأيتُكم
تستأصلون بلادَهُ من مقلتيه ،
وتسرقون دمَهْ
ورأيتكم تستدرجون الله كى يُعطيَكُمْ سيفاً . .
وتأشيرةَ دفنٍ
فاستجاب الله للمكرِ . . ابتلاكم بفضول الزيتِ
والكبريتِ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أعْماكُم فأحرقتم أصابعَكم
لماذا نَسْتُرُ العاهاتِ فى المدن الغربية ؟
يهتف واحدٌ . . عربٌ
فتُلْجئنا الكلابُ إلى جحور الخوفِ ،
هل عَرَبٌ تساوى لعنةً
أم أنها تصف الفسادَ
تشير للجَد الذى ينحلُّ
من قتلَ العُبيدى ؟

لم . . يمت فى نيس
لم تقتلْهُ أحذيةُ الصغارِ
رأيتُهُ يمشى هناك على رصيف الوردِ
لا يضحكُ
لا يهْتَزّ
مَيْتاً كان . . . يستدرج من يدفنهُ
أيها السادةُ أنتم قَتَلَهْ .

القاهرة : محمد سليمان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

# أوسمة الفقراء

أحمد سويلم

[ فقراء لا . . والله
نحن ربابة للسارين
نواحُها غنى بهم !! ]

محمود حسن إسماعيل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـ بل شعراءُ فقراءُ . . والله
نتغنى بالداء . . ونغنى فى الآه
ونسافر فى داخلنا . . ونضل كثيراً
نبنى . . نهدم أكواخاً . . وتوابيت . .
وأرحاماً . . وجباه . .
نحن الشعراء . . الآذانُ الأعينُ . . والأفواه

●

ـ ياحادينا . .
هل تسألُ عن قافلةٍ كانت تسرى بالحب
أم أنك تسألُ عن نخلتك الشمّاءِ
لكم أسقطناها رُطَباً فى أيدينا . .
ثم تقافزنا . . نحضنها عبر مدقّات الحقلِ
فتساقطُ منا . . ترسُم درباً من ثمرٍ
فيلاحقُنا الحارسُ فى يده سكينٌ . . وبقايا سعف . !

ـ كنا مثل القمح سنابلَ نضحكُ . . نضحكُ
لا يهزمنا الخوف . !
فماذا أصبحنا ؟
شعراءُ . . فقراءُ . . والله . .
ـ نتأمل بالشعر ونحكى قصتنا للّيل
لكنّ نجوم الليل تراوغنا . . لا تسمعنا
ـ نغرس زهراً فى طرقات العشق
فتولدُ فى الفجر الأزهار . .
وتذبل فى الفجر الأزهار . .
ـ نطلب نبع الأرض الصافى يروى ظمأ القلب
لكنّ الأرض . .
تشرب ما ينبع من ماء
وما يهمى من أمطار . .
ـ أصبحنا شعراءٌ . . فقراء . .
لم نشْكُ إلى أحدٍ وجعَ الفقر . . وجدبَ الشعر

ألجمنا أنفسنا لا نَقْبلَ نُصحَ العالِمِ بالأمر . . .
ـ قالوا : كيف جهلتم أسرارَ اللعبة ؟!
يمكنكم فى ليلة سمرٍ أن تُمسُوا بين الناس
سراةَ الشعراء
( فالبحرُ العاتى ينبعُ من أقدام السادة
وسفنيةُ نوح تعبره ـ لا تخطئ أبدا ـ
والشمسُ خيوطُ الخير على أرض الخصب
ـ لا شىءَ هنا مذمومٌ أو يوحى بالجدب ـ ! )
تلك هى اللعبةُ ـ كاملةً ـ ياشعراء !
قلنا : لسنا نُتقنُ هذى اللعبة . .
فالكِلمْةُ سيفٌ إن يُكسر يوماً
سقط الفارس وانفرط الشعر . .
قالوا : فلسفةٌ يعوزُها البرهان !
ما أعجبكم ! . فقراء
وموائدُنا تدعوكم كلَّ أوان
ما أجهلكم ! . شعراء . .
ولياليا مفعمةُ الألوان
نِعمٌ وارفةٌ . . وفنونٌ . . وجنان . .
قالوا ـ فيما قالوا ـ
( العالم سيركٌ للألعابِ النارية
من يحرزْ سبقاً . . يصعدْ للأدوار العُلْويه )
لكنا ـ ياشاعرنا ـ مثلَك ـ ألجمنا أنفسنا
لم نتدرب فى الحلبة
كادت تقتلنا الأفيالُ . . وتأكلُنا الدّببه
فخسرنا اللعبه .
وتعانقنا فى وهج الشمسِ وتحت ظلال اللغة الصعبة
ـ مثلَك . . مازلنا فقراء
نمتلك الكلمة . . لا تسقط
والوجه الممتشقَ على سارية . . لا يسقط
وشراعاً فوق الموج الهادر
لا يسقط . .
( تلك براءتُنا فى ساعات الشدّة ) !

القاهرة : أحمد سويلم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

# القصيدة البدوية

محمد عبدالوهاب السعيد

أُسَمِّيكِ مَيّ
وأَرْكزُ إسْمَكِ فى البيدِ خَيْمةَ عِشْقٍ . .
تَحُجُّ إليها الطيورُ ،
وآتيكِ نِضْواً تَحُبُّ النّجيبةُ نَحْتِي ،
وَأَطْوى إليكِ الْمَفَازاتِ طَيّ
أُسَمِّيكِ مَيّ
وأُعْطِيكِ وَجْهاً بحجْمِ الْفؤَادِ ،
وَعَيْنَيْنِ مِنْ حَيْرةِ النَّفْسِ ( عصفورَتَيْنِ تَدِفَّانِ لاَ مُسْتَقَرّ ) ،
وشعْراً منَ الْغَيْمِ حَيْثُ يُرَاكُمُ فى مُقْلَتَيّ
أُسَمِّيكِ مَيّ
وأُعْطِيكِ منّي بلاداً من الشِّعْرِ . .
يامن يُزَنِّرُكِ الرَّفْضُ حَتَّى لَتَأْبَيْنَ بَعْثِيكِ لِلْمُطلقِ الْعَبْقرِيّ
أُسَمِّيكِ مَيّ
وأَبْدَأُ مِنْكِ انْعِتَاقَ الْخَيولِ على موجَةٍ خلْفَ شَعْرِكِ تَلْهَثُ
حتىَّ تُقِيمَ قِيامَةَ هَذى الْبِلادِ الْقبُورِ . .
وَيَنْشَقُّ عَنْ حُلْمِكِ الرَّمْلُ ( هذا الْمَمَدُّ كَالْحُزْنِ فَوْقَ النُّفوسِ )
وَإمَّا تَعِبْتِ تَعالَيْ . . أُرِيحُكِ فى سَاعِدَيّ

فَيَا خَبَأَةً أحرزتها الحياةُ خُذيني مِنيَ اليكِ إليَّ
وَخَلِّ المسافة تكتظُّ ما بيننا بالنوارس . .
بالأصدقاءِ . . بوجهِ الحبيبةِ . . بالسُّنبلاتِ
وَهَيَّا أسائِلُ وَجْهَكِ عَنْ حزنِهِ الأبدِيّ
لِمَاذَا ؟!
لماذا تُشعْشِعُك الشَّمْسُ ذَرّاً يُقَبِّلُ كُلَّ كُلِّ الوُجُوهِ . .
وَتَنْخطِفينَ إذا الليلُ حطَّ سَحاباً قَصِيّ ؟!
زجاجيَّةٌ في عُيُونكِ هذى المَصابيحُ . .
مِنديلُ أُمِّكِ « تلكَ الأسيرة خَلْف السَّحابِ » . .
وَعَيْنَا حَبِيبِكِ . . حَتَّى القُلُوبُ !!
فَمِنْ أَيْنَ يَنْفَجِرُ النَّهرُ فَوْقَ شفَاهِكِ بَعْثاً وَرِيّ ؟
لأنكِ مَا كُنْتِ فِيَّ وَلاَفِتَةُ الدَّمُ تَكْتُبُ إقْرَارَنَا . .
أَنْ نَظَلَّ أَرَانِبَ تلكَ الذِّئَابِ الضَّحوكَةِ . .
هَيَّا لأصرخَ فيكِ . . وَتَبْكِينَ فِيَّ
وَهَيَّا أُحَاجِيكِ فَاللَّيْلُ يَمْتَدُّ . .
وَالْبَرْدُ يَشْتَدُّ . . وَالصَّمتُ عِنْدِي صَلاةٌ وَغَيّ !
ـ أُحَاجِيكِ مَاذَا يُعَلِّقُنِي سَعْفَةٌ فِي رُؤُوسِ النَّخِيلِ . .
إذَا مَا تَوَهَّجَ فِي الأُفْقِ صَوْتُ الْيَمَامَةِ ؟!
ومَاذا يُقَطِّرُنِي في البحارِ « التي لاَشُطُوطَ لَهَا غير قلبي »
نَدَىً أوْ غمامَةْ ؟!
ومَاذَا يُشَرِّدُنِي فِي الْعيونِ « اللَّواتِي خَبَأْنَ مِنَ السُّرُكَتْزاً »
شَجَىً وَابْتِسَامَةْ ؟
ـ هُوَ النَّهْرُ يبدأ مِنْ نبضَتَيْنْ
فَوَاحِدَةٌ قد تَهُزُّكَ حيناً . .
وَأُخْرَى تَهُزُّكَ فِي كُلِّ أَيْنْ
وَآهٍ إذَا اتَّحَدَ اللَّحْنُ حَتَّى . .
تَمُوسَقَ فِي اصْبَعَيْنْ !
فَقَدْ تَتَنَفَّسُ مِنْ مُقْلَتَيْنْ !!
وَيُخْتَصَرُ الكَوْنُ فِي قَبْضَتَيْنْ !!

أسمّيك مىّ
وَأُسْرِجُ مِنْكِ الطَّرِيقَ إلىّ حَيْثُ تَسْكُنُنِي الطِّفْلَةُ الْقَرَوِيَّةُ . .
ذَاتُ الْجَدِيلةِ ، وَالدُّمْيةِ الطِّين . .
أَشْتَمُّ فيكِ بُكُورَ الصَّبِيَّاتِ يُكَنُسْنَ شَارِعَنَا
مِنْ بَقَايَا الظَّلامِ ــ النُّعاسِ . .
وَيَفْتَحْنَ نَافِذَةً لِلصَّباحِ الْجَدِيدْ
وَأُبْحِرُ فِى مَوْجَةٍ مِنْ أَسَى مُقْلَتَيْكِ . .
إلى شَهَقَاتِ المَصَابِيحِ وَهْى تَنُزُّ بِمُنْتَصَفِ اللَّيْلِ . .
فَوْقَ رُؤُوسِ المُعَزِّينَ . .
وَالْقَرْيَةُ الْمُسْتَكِينَةُ مَائِدَةُ الْحُزْنِ . .
وَحَدِى أُحِسُّ بِأَوْجَاعِ صَفْصَافَةٍ فِى الْمَقَابِرِ . .
وَالْمَوْتُ يَكْوِى الجَنَازَاتِ كَىّ !!
أسمّيكِ هِنْدَاً . . وَدَعْدَاً . . وَلُبْنَى . . وَمَىّ
وَأَسْأَلُ عَنْكِ جَمِيعَ الْقَبَائِلِ حَيّاً فَحَىّ
وَحِينَ يُحَاصِرُنِى اللَّيْلُ وَحْدِى أَعُودُ
وَمَا غَيْرُ إسْمِكِ فِى رَاحَتَىّ !!

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المنصورة : محمد عبد الوهاب السعيد

شعر

# الموت اليومى على أرائك المساء

عبد العظيم ناجى

( ١ ) : أرجوحةُ الدمع :

نموتُ حين نلتقى على أرائكِ المساءِ موتنا الليلىّ
نبدأُ ــ حين نلتقى على أرائك المساءِ ــ عَدُّنا التنازُلىّ
ننفضُ فى ألفاظنا ... إيقاع إيماءاتنا ...
شيئاً من الدمع القديم ، من بكائنا الذى لم نبكه من قبل ...
هذا البكاءُ الشاحبُ الوجه الذى يزورنا إذ نغلقُ النوافذ الصَّفْراء ... نلتوى على أصابعه ...
جدائلاً طويله ...
يهزنا بكاؤ نا كهزّة البُندول ... نستحيلُ فى اهتزازنا أوانياً مستطرقه
وحينما نغفو على ملاسة احتضارنا
نمدُّ حَوْلَ جسمه الشمعىّ ...
أجنحةً دافئةً ، نلفُّه فى قُمُطِ الرضاع ، نستعيدُ فى يدْيه
تمائم الطفوله ...
الناعمُ مثل غِرْقىء[1] البيض ... الخَجولُ كالإيماءة الخجوله
حين يهزُّنا البكاء ...
نهبط سلّماً يقودنا إلى حيثُ نرى وجوهنا فى أُصُص الزُّجاج
ملتفّةً كالحلزون ... رخوةً كأنها الخثارةُ النحيله
نهبط سلما يقودنا إلى حيث نعيش لحظة الموت الجميل ، والنقاهة
وعندما نكسر حائط الزجاج ... حائط الجصّ الرقيق ...
تبهرنا الأشياء

نُعاين الأشياءَ فى بداءة الخَلْق . . . نعيش لحْظَةَ البدَاهه
حين يهزنا البكاء . . .
يموتُ خطونا المُصوَّحُ الرَّنين فى أقدامنا
تذبلُ فى تطوُّح البُندول خُضْرةُ السَّاعاتِ والدَّقائق
تموتُ فى كؤوسنا هزهزةُ المَلاعق . . .
نُبصر فى أعْيُنِنا المنداحة الأحْداقِ فى قَوالِب الزُّجاج
أجسامنا البيضاءَ كالبُلُّور
أجسامنا الشفَّافةَ الذَّرات كالأثير
نبحثُ فى ألفاظنا عن لفظةٍ لا تلمسُ اللَّهاةَ والشَّفه
فاللفظُ حين يلمسُ الشَّفه
يُصبح غِرْقِئاً ممزّقاً . . .
نبحث فى تاريخنا عن لفظةٍ تكون كارتعاشة النَّقير فى النَّواه
كالبؤرة التى تدور حولها الدائرةُ الكبيرة
تكون فوق اللوحة الميتة الألوان
كالبقعة المثيره . . .

( ٢ ) الإيمانُ الرَّمادىّ :

كنتُ طفلاً شاحباً . . . بل كنتُ إحساساً خجولاً كالمساء
أعشقُ الأشياء عشْقَ الفكرة العَذْراء للعقل الذى يُبدعها . .
أعشقُ الأشياء عشْقَ البذرة العذراء للكفِّ التى تزرعها . . .
أعشقُ الأشياء عشْقَ الصَّدَفِ المنْسوجِ فى ثوْبِ البحار
للجنين اللؤلؤىّ . . .
وأُحبُّ الليلَ والشعر . . . غناء القمر المرتحلِ . . . الأشْجارَ والأصداف . . .
أحلام اللَّيالى الشَّبِقَه . . .
وأُحبّ التُّرْهات
وأُحِب القبّرات
زَهْرةَ البابُونج الصَّفراء . . . صوتَ البجع النَّاحلَ . . . عَينَ الحَلَزُون الدَّبِقَه[٢] . . .
كنتُ طفلاً . . . غير أنى كنتُ إحساساً بدائياً خجولاً . . .
كنتُ طفلاً . . . غير أنى كنتُ إيماناً رماديّاً نحيلاً . . .
كنتُ طفلاً . . . غير أنى فجأةً صرتُ نَبيّاً ميّتاً . . .
فجأةً . . . صرتُ إلهاً ميّتاً . . .

( ٣ ) زهرةُ الاشتهاء :

الحياةُ . . . السقوطُ الخَطِر . . .

الكتيبةُ والفرسُ الميتُ المُقْلتَينْ
انتكاسُ الصُّور . . .
الحياةُ : التراجعُ . . . زحفُ الخطوط إلى النُّقْطة الأُمّ . . . زحْفُ الحروف إلى
اللفظة الأُمّ . . . موتُ الجنون الجميل . . .
انتحارُ المعانى الكبيرة فى مِثْبر(٣) الكلمات
انتحارُ المعانى الخطيرة فى شفة الأَحْرُفِ الإمّعاتِ
الحياة : التوقُّعُ . . . إرهاصةُ النَّرْد فى لوحة الفرَح الجاحظِ العين . . .
والدهشةُ الحاسمه . . .
التمدُّدُ فى الزَّمن المزدوج . . .
الحياةُ . . ترُى كيف مرّ على ذلك العالم الأبجدىّ . . . على ذلك الأَرْخَبيل
الخرافىّ . . . كيف تمزّق عند المضيق الحرج . . .
فرسى المَيتُ المقلتين ؟ ترى كيف ؟ تلك هى النقطةُ البدءُ والنقطةُ الخاتمه . . .
فى المساء الحزين . . .
حين يأتى الخريفُ ويسقط كالطَّلِّ صوتُ الجنون
حين ينهمر الموتُ مثل الرَّذاذ على أسطح العالم الخَزَفيّه
حين تسقط من شَجَر الأخيون . . .
زهرةُ الاشتهاء الخرافىّ أذكر وجهى القديم فأبكى
أتذكرُ وجهى الجديدَ فأذكر لوْنَ الجرافيت والتوتياء
أتذكر وجهى الجديد فأذكرُ لون الهواء

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الاسكندرية : عبد العظيم ناجى

---

**هوامش**

(١) الغرقىء : قشرة البيضة الداخلية الرقيقة .
(٢) الدبقة : اللزجة .
(٣) المثبر : الإبرة الكبيرة

# فاطمة

محمد صالح

كان شاعِرْ . .
يرسمُ البحرَ على أوراقه البيضَ ،
ويطويها بواخِرْ !
عبرته الطّلقة الأولى .
فما انْفَكّ يوالى شَيْخَهُ ،
واشْترى تِبْناً ، وعَبّا جِلْدَهُ
. . يجلس فى المقهى ،
ويُصْغى لجميل الشّعْر !

كان ، يافاجِعَةَ الشّعر ، دمٌ . .
يطلب صاحِبهُ
. . الذى أدْبرَ ،
واسْتعْبر من موعظة الشّيخِ . .
بأن الأمر لله ،
ولَيْستْ تزِنُ الدّنيا سوى خَرْدلَةٍ . .
من غبْطة الرّوحِ
وقد قَدّر قادرْ

عبَرتْهُ طلْقةٌ أخرى :
جثا فى حِجْر مولاهُ ؛
أتى فى ذِلّة العَبْدِ ،
بكى من فَرَق الوَجْدِ . .
عسى يَغْفِر غافِرْ .

كان ــ يافاطمة ــ ارْتاح إلى زوْجٍ ،
وأطفالٍ ،
ولا يَحتملُ الأمرُ .
فوالى بَطْنهُ ،
واشْترى طِيناً ، وغَمّا عيْنهُ :
يعمل فى المنفى ،
ويعنو لأمير النّفطْ !

أنت ــ يافاطمة ــ الآن له زوجٌ ،
وكُحْل العين من شيخ المناسِرْ !
سَنةٌ تمضى ،
وهذى سنةٌ أخرى ،
ثلاثٌ
. . . . . .
. . . . . .
إنه البحْر الذى يطوى المسافرْ !

غَرْبِلى ـ فاطمة ـ الآن خلاءَ الرَّبْعِ ،
دُورى فى ملاء البيتْ . .
حاسِرةَ الرأسِ ،
وغُضّى للحرائِرْ !

واذْكرى الحلم الذى أغوى ،
وخامَرْ .

فاطم استهدِى النّجيماتِ :
أيقتاتُ عِيالٌ بأبٍ ينزف فى المبغى ؟
ولا يورثُ غير القهر !
إنّما البيت أبٌ . .
يأكل من مِلْح يدٍ ليست تتاجرْ .
باغتته الطّلقة القاتلة الآن ،
وفى القلب دمٌ .
لا تغْسلى ـ يافاطم ـ الثّوب ،
بل اسْتهدى الدم الشّاعر ، واسْترضيه .
يافاطم ، واسْتَرْضى سواد العين . .
لا يُهدِر فى المقهى دماً . .
يطلب صاحِبَهُ .
لا ،
ولا يُهدر ثارات عيالٍ خُضْر .

وانْفخى فى ناره النّار ،
وذودى عنهُ .
واسْتَغْوى الذى يتركه فينا من الحِقْدِ . .
رشاش الطّلقِ .
صُرّيه ،
ضُمّيه إلى جَبّانة القلب ؛
فقد ينفع ذاكر !

وأهيلى حفْنةً ناعِمةً . .
من طينة الأرض على الجرحِ ؛
كذا يَبْرأُ ـ يا فاطمة ـ الجرحُ ،
وترتاحُ الضّمائِرْ .

واغْسِلى عن عينكِ الكُحْلَ ،
اصْنعى من دمه خُبزَ أبٍ . .
يجلس فى المقهى ؛
فلا يرسم فى أوراقه البحرَ ،
ولا فاتِحةَ الشّعْرِ ،
ولا الطّاغوتْ
. . تلك ـ يافاطم ـ أسماءٌ
ولا تُغنى الظّواهر !

واعْبُرى ـ فاطمة ـ البَحرَ ،
اعْبرى فوق زجاج الماءِ .
ليست هذه اللّجّة إلا من قوارِيرَ ،
ومن كيْد الدّفاتِرْ !

إنّما « الشّاطر » . .
من يَسْتأْلِفُ الخوفَ ،
ومن يَبْتدِرُ الموتَ ،
ولا يُعبأ للّصّ المقامِرْ !
إنما « الشّاطر » يافاطمةَ الشطّارِ . .
من يقْتُلُ عابِرْ .

القاهرة : محمد محمد إبراهيم صالح

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

شعر

# ويموت الصّدى

## فولاذ عبد الله الأنور

أيها المتنقّلُ تحتَ امتدادِ السماءِ ذهاباً إياباً
حاملاً فى الحقائبِ حزناً ، وأغنيةً ، وكتاباً
حاملاً وطناً ، واغتراباً
أيها التيزكىُ المسافرُ فوق الجسورِ الطويله
حاملاً بين جنبيكَ قلباً ، تمورُ البراكينُ فيهِ ،
يدمدمُ بالثورةِ المستحيله
تاركاً من ورائِكَ حزنَ القرى يتوارَى ،
وتلوى طريقَكَ للأفقِ ،

تصعَدُ بين الحقولِ وبين البلادِ الذليلة
ضاغطاً بجميعِ قُواكَ المحرِّكَ ،
تجرى بك العجلاتُ مجلجلةً ،
حيث يهرُبُ من تحتها الصمتُ ،
يُفلتُ من خلفِها الجسرُ ،

حيث تهلُّ عليكَ البيوتُ التى استسلمتْ للرقادِ ،
تهلُّ عليكَ الوجوهُ الهزيله
ثم تلوى طريقَكَ للأفقِ ، تجرى بكَ العجلاتُ ،
تهلُّ عليكَ القبورُ التى لا تقومُ ،
يهلُّ عليكَ النخيلُ الذى يتصاعَدُ جَدْباً أمام الديارِ ،
وليس يُصَفِّقُ تمراً على الأرضِ ،
إلاّ إذا مَرّ من حوله التاجُ والطيلسانُ ،

ـ ( ياساقِيَّ الخمرَ فى كؤوسِكما ؟ )
( أَمْ فى كؤوسِكما همٌّ وتسهيدُ ؟ )
أمِرْجَلٌ أنا ؟ مالى لا تُهدِّئنى
( هذى المدامُ ولا هذى الأغاريدُ ؟ )
( إذا أردتُ كَمَيْتَ اللونِ صافيةً )
نشرتُها وصفاءُ الأرضِ موءودُ )
ثم ترفَعُ كأسَكَ فى صحّةِ الأمسياتِ البخيلة
وتعدِّلُ كلَّ الذى لَقَّنوكَ من الشعرِ فى سنواتِ الطفوله :

وتضغطُ ، تجرى بك العجلاتُ مجلجلةً ،
يتوالَى عليكَ النخيلُ ، البيوتُ ، الحقولُ ،
القبورُ ، الوجوهُ ،
وتضغطُ ، تضغطُ ، تضغطُ ،
لا تتوقَّفُ إلا أمامَ النوادى الخليله .
هابطاً تَصْفِقُ البابَ خلفَكَ ،
بهرجةُ الضوءِ ، قهقهةُ النُّزلاءِ أمامَكَ ،
ماذا ستفعلُ ؟ ، حزنُ البلادِ البعيدةِ يغمرُ عينيكَ ،
تدخلُ ، يلمحكَ الخدمُ الساهرونَ ،
يهبُّونَ مبتسمينَ ، يقومُ السقاةُ يحيّونَ ،
تعبُرُ بينهمو لمكانِكَ فى الركنِ ،
حيثُ تريحُ الجفونَ العليله :

جرعةً جرعةً تشربُ الكأسَ ،
يزحفُ نحوَكَ موجُ الأغاريدِ ،
تلمح حولَكَ تلك الوجوهَ التى تترنحُ فوق موائِدِها ،
وَهْى تغرقُ فى القاعةِ المستطيلة .

جرعةً جرعةً يستطيلُ المدى بين عينيكَ ،
ترنو . . تحدِّقُ فى الموجِ ، فى صوتِ مطربةِ الحفلِ ،
فى أوجهِ الهائمينَ بها ، يستطيلُ المدى وتحدِّقُ ،
شيئاً فشيئاً تغيبُ الأغاريدُ عنكَ ،

ويعلو عليها هتافٌ حبيسٌ ،
تغيمُ الوجوهُ حواليكَ ،
يطفو عليها غبارُ الهتافِ الذى يتعالى ،
هتافُ الوجوهِ الذليلة
جرعةً جرعةً ، تصبحُ الكأسُ قنبلةً ،
ويكونُ المحالُ لها هدَفاً ، والهوى موعداً ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والسعادةُ محبوبةً تتهادى مُتوِّجةً بالسنابلِ ،
رافلةً فى ثيابِ الخميلة .
ويكونُ لقاءُ ، كَما لَمْ يكنْ قبلَ ذلكَ ،
تحت امتدادِ السماءِ الجميله
جرعةً جرعةً ، ويعودُ المدى ويضيقُ ،
تعودُ الأغاريدُ زاحفةً ،
وتعودُ الوجوهُ التى تترنّح فوق موائِدِهَا ،
وتعودُ لركنِكَ فى القاعةِ المستطيله
مثلما كنتَ ــ وجهاً لوجه ــ أمامَ الحقيقةِ مِنْ غيرِ حيله

تتوالى عليكَ الكؤوسُ ، وَتُفرِغُها فى حشاكَ ،
وتغرقُ ذُلُّ البراكين ، تفرغها فى حشاكَ ،
وتسقى بها وطناً واغتراباً
ويشاطركَ اليأسُ والمستحيلُ الشرابا
وتحاوركَ الكأسُ ، تختلفانِ وتتفقانِ ،
وينمو التحاورُ ، تكتبُ ثم تمزِّقُ ما قد كتبتَ ،
وتشدو وتُلغى الذى قد شدوتَ ،
تعدِّلُ كلَّ الذى لَقَّنوكَ من الشعرِ فى سنواتِ الطفوله :
ــ ( سَلُوا ) عقلى ( غداةَ سلى ) وخابا
( لعلَّ ) مع المحالِ له حساباً
فتقاطِعُكَ الكأسُ ، تثقلُ جفنيكَ بالجرعاتِ الثقيله
( أخا الدنيا أرى دنياكَ أفعى )
( تبدِّلُ كلَّ آونةٍ إهابا )
فحاولْ ( ما استطعت ) فليس جيلٌ
( سيأتى يحدثُ العجبَ العجابا )

وتجادلك الكأسُ ، تثقلُ جفنيكَ
ها أنتَ أنتَ كما كنتَ لم تتغيَّرْ
مازلتَ تذهبُ تحت السماءِ وتأتى ،
ومازلتَ أنت أمام البيوتِ التى لا تقومُ تفوتُ ،
ومازالَ هابيلُ فى كل يومٍ يموتُ ،
وما زلتَ أنت مليكَ الدنانير ،

أنت أنيسَ النوادى ، نزيلَ المطاعمِ ،
أنت الذى رشّحته الوجوهُ الذليله
لينالَ لها مَقْعَداً تحت قُبَّةِ رأىِ القبيله
جرعةً جرعةً يتثاقلُ جفناكَ ، ينغلقانِ ،

فترفعُ جفنيك : لا ،
هذه الأرضُ كاذبةٌ هذه الأرضُ تخدعنا فى الطفوله ،
تقمعنا فى الشبيبةِ ثم تُزِلُّ وقارَ الكهوله .
هذه الأرضُ كاذبة ،
إنها ترقصُ الآن فى غرفاتِ التملُّقِ ،
بين الأيادى الدخيله
جرعةً جرعةً ينجلى الليلُ ، تنعشُكَ النسماتُ البليله
فتقومُ عن الكأسِ تخرجُ من صالةِ المتندّى
ثائرا . . منهكاً
ـ هذه الأرض كاذبةٌ هذه الأرض كا . . . ،
خطوةً . . خطوةً . . ويئنّ الصّدَى
ثم يبتلعُ الأفقُ جلجلة العجلاتِ ويمتصُّ دفقَ البطوله !

القاهرة : فولاذ عبد الله الأنور

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

محمود عبد الحفيظ

# شعر | ليل وخمر

مِن أىّ مُختَلَفَيْكِ جئتِ ؟
من الرِّضا ؟
أم من عناقيد الغَضَب ؟
هاتى على مَهَلٍ . .
فليس بضيِّقٍ وَقتى . . . . ولا أشكو التَعَب

من أىّ مُختَلَفيك جئتِ ؟
من الرِّضا ؟
يَطفُو على سَطح الرِّضَا لغطٌ كثير
لغطٌ يَدُورُ ويَنحنى حذو انحناءاتِ العَدَالةِ فى القُصُور :
كيف استقامَ العدلُ واعْتَمّ الظُّنُون ؟
كيف المصابيحُ استكانَت واحتوى الريحَ السُّكون ؟
إن كان هذا العدل ،
ما بالُ الشَّوارع لم تَنم فيها العُيُون ؟

قُلتِ البداياتُ انتشاءْ
والشِّعرُ يَصنَعُ ما يَشَاء
ليلٌ وخمرٌ واحتلابُ غدٍ سَعيد
إلا رغيفاً تَستديرُ له الوجوهُ الباكياتُ . . وتستعيد . .
زَمَنَ العَشَاء

الليلُ أُمنيةٌ وأغنية وجُرحٌ لا ينام
الليل مُنتصِبُ الجِرَاحِ وَلاَ كَلاَم
اخترتُ لى جُرحاً . .
وأجنِحَةُ النَّوافِذِ دَاعَبت شوقي
فطرتُ إلى سماء الوجدِ مُنتَشياً . .
واقرأتُ الصَّباحَ البِكرَ مِن قَلبى السَّلام

أسكنتُهُ الأفقَ الفسيحَ فَعَافتِ الأفقَ الأهِلَّة .
أسكنتُهُ وَجهاً طفُولِيّاً . .
فشيَّبتِ الليالى السُّودُ وَجه الأرض كُلَّه
أسكَنتُهُ يَوماً ربيعيّاً فداهَمَهُ الشِّتَاء
فَسَكنتُهُ . .
وجعلتُه وطناً وعنواناً وقرآناً وقِبلَة . .
بيتاً . .
إذا طافَت بقلبى مُوجِعَاتِ . . طُفتُ حَولَه

الخمرُ عِشقُ المُخلصِين
وأنا اكتَملتُ هُناكَ فى رَحِم السِّنين .
غضباً وشعراً عَبقرِيّاً لا يلين
إن كان خُبزُكِ مِن يَدِ الجلاَّدِ ماذا تأكلين ؟
صبراً ومُوق . .

لا أُحبك بضّة الأطراف ضَامرة الحيَا تتسَوّلين .

أحبَبتُهم . .
وَوَهَبتُ عمُرِيَ كُلّه للخائِفين
حتى إذا ما اشتدَّ منى العودُ والفرعُ استوى ،
قَلتُ اهبطوا خَلفى وأرضُ الله واسِعةٌ
قالوا : الفتى يَهوى البديع
لا تُفلِتُوه
إن يخرج العُصفورُ من « قَفَصِ المبادئ » يَنطَلق . .
يَعلُو
يضيع !
صدَّقتُهم
أوقفتُ أحلامى وأجّلتُ الفُتوح
وبقيتُ بينهُم . .
أقسَمُ فِيهمُ جِسمى . . وأختصرُ الطموح
أغدو كما تغدُو الطُيورُ ـ
وكُلُّ غادية تروح ـ
إلاّ أنَا ـ
حتى إذا جَفَّت ينابيعى وصوّحتِ المُنَى ؛
قالوا اطرحوه . .

تخلُ الوجوهُ لكُم . . وتلتثم الجروُح !

من أيّ مُختَلِفَيكِ جِئتِ ؟
من الرِّضا ؟
هذى عناوينُ الصّباح
هاتى على مهلٍ . . فإنى متعَبٌ . .
والقَلبُ تَسحقُهُ طواحينُ الكَلام
إن كانَ مَا يأتى مَعَ الفجر السّلام ؛
من أينَ يأتى الصُبحُ مُسوَدُّ الوشاح ؟

لا تَغربُى يا شَمسُ يا أمَّ النّهار
لا تغربى
إن كُنتُ قَد أخطأتُ ـ قَد أخطأتُ ـ بالأمسِ امنحِينى .
فُرصَة أخرى . .
وقَلباً لا يُصدقُ . . لا يُطيع
لا تغربى
؛ فَلَعَلّنى ـ إن عِشتُ ـ أفطِمُ هذه السَّبعَ الشِّدَادَ . .
وأحبسُ البقر القطيع
لا تغربى
قَد أستطيع
قَد أستطيع !

كفر صقر شرقية : محمود عبد الحفيظ عبد العزيز

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

# القميصُ المسكون

بهاء جاهين

تحت قميصى ياعبادَ اللهْ ؛
تحت قميصى الأبيضِ القطنىْ :
القزمُ و المجرمُ والشاب الجميلْ
وذو العيونِ الطيباتِ الشَّدْوِ والترتيلْ
وصاحبُ الأزماتِ فى صدرهْ
والمختفى فى ساعة الجدِّ
والألمعىُّ الهزيلْ
والرجلُ النهرُ المغنّى فى السَّحَر
وحاملُ الوردِ
والمدّعى الحُسْنِ . .
وباصقُ الربيعِ فى المنديلْ

●

تحت قميصٍ واحدٍ يَحْيونَ فى استحياءْ
يخافُ عاشقُ الربيع أن ينامَ فى الربيع
وعاشق الخريفِ يشترى الورودَ خلْسَةً . .
وعاشق الشتاءْ
يبدِّدُ الشتاءَ فى ادِّعاءِ أن الصيفَ جاءْ
وعاشقُ الصيفِ يموتُ فى الحمَّام
يموتُ تحت مائهِ الصدىءِ دون أن يرى
شواطىءَ النخيلْ .

والفجرَ قامَ العابدُ المجنونْ
والشهرَ صامَ العابدُ المجنونْ
وهو يظنُّ أنه الرحمنْ !

●

من أى بحرٍ تستفزُّ موجةٌ
عملاقةٌ هدارةُ الزَّبَدْ
لكى تنظف القميصَ من بُصَاقِ السُّل والدخَانْ
وتجرفَ العصبةَ ذاتَ العهرِ والحنينْ
بكل مافيها . . .
أولئكَ الرهطُ الحُبالى بالعدم
أولئك التوائمُ الملتصقهْ !

●

تحت القميصْ
تصطرع الأذرع والأقدام والرؤوسْ
ولا يرى الناسُ سوى رأسٍ صغير
عليه تغييرُ نظامِ الكون
لكى يكفَّ الشاعرُ الفاشلُ عن إدمانِ تبغهِ الرخيصْ
عليه أن يعيدَ خَلقَ الكونْ
لكى يكفَّ الصارخونَ عن صراخهم
وكاتبُ العرائضِ المطوَّلهْ

يكف عن شكواهْ
عليه أن يعطى لكل صارخ وجودَه الصغيرْ
وملحقٌ به . . إلهُهُ الصغيرْ
لكى يسيرَ وفْقَ مايهواهْ .

لقد تعبتُ ياعباد اللهْ
فمن يدلُّنى . .
على عنوانِ حلْقةِ زارْ
أشتاقُ أن أرقصَ حتى الموتْ
لعلهم يرحلونْ .

القاهرة : بهاء جاهين

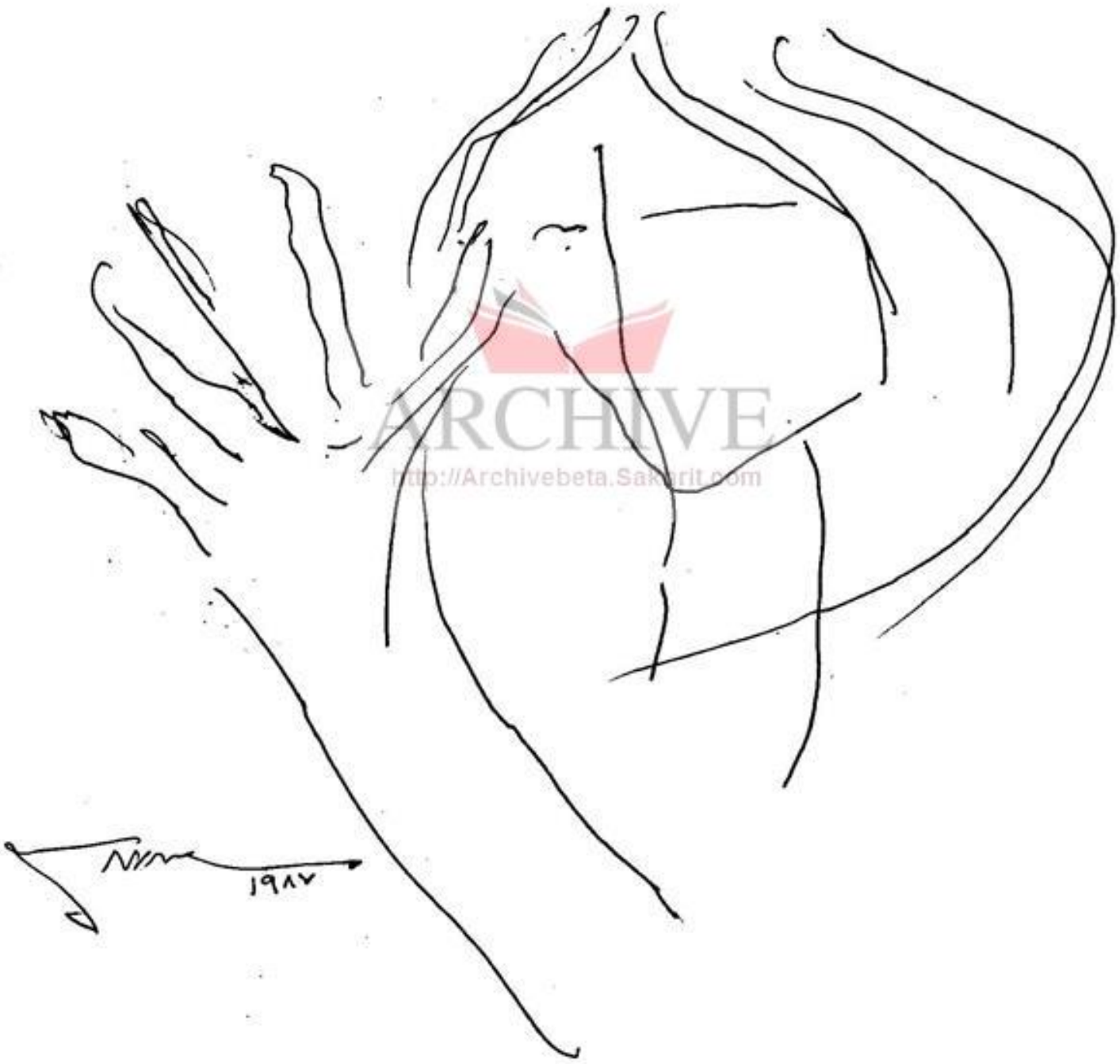


ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

شعر

# مدينة بين التراب والغمام

عبد الحميد محمود

حبسَ الغمامُ دموعه
فعلا جبينَ مدينتى لونُ الترابْ
وإذا تجاعيد السنين على البيوتِ . . .
. . . على الوجوه . . .
. . . على مشاعر نهرك الممدودِ . .
. . فى عِرْق اليبابْ

مَنْ قال غيَّر جلده التاريخُ ؟
نفسُ الخيولِ المجهدهْ
نفسُ البيوتِ المسندهْ
والدربُ ضاقَ أم اتسعْ
النورُ منكفئ على جنباتهِ
هل لثمت خطاكَ . . .
. . . سوى الرغامْ ؟

فاجأتنى
فوقفتُ مندهشاً أذوبُ محبةً
من أىّ نافذةٍ أطلّ البدرُ . . .
. . . فارتعشت مياهُ النهرِ وابتهلَ الشجرْ !
الليلُ منسدلٌ على كتفِ الضياءْ

وعيونكِ الخضراءُ تبسم للسماءْ
وأنا أذوبُ محبةً .
أخرجتُ قلبى زهرة بالحبِّ تنبضُ والأملْ
وأتيتُ أحملها لباب حبيبتى
فاطلَّ وجهٌ . .
. . . ثم وجه
ضحكوا وقالوا عُدْ بها مصقولة بالماسِ . . .
. . . قلتُ حجارةٌ لا تُحْتَملْ !
ضحكوا وسدُّوا البابَ فانسدّت . . .
. . . أمام هديتى كلُّ السبلْ
ودخلتُ فى كلّ الصورْ

لكنَّ قلبى لم يعدْ
مازال ينزف حبَّه المسفوحَ فى
ضوء القمرْ

مرَّ الغزاةُ على المدينة من زمنْ
سرقوا الجديلةَ . . .
. . . والشبابيكَ القديمةْ
سرقوا مواويلَ السهرْ
لما أتى بردائه العصرىْ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وتفتحت لقدومه أعلى بيوتِ الحيْ
وأطلَّ وجهٌ وانحنى
ـ ذهبت له بردائها الفجْرىْ ـ
ذهب الغزاةُ ولم تزل
آثارُهم فى كلِّ شىْ
وأنينُ زهرىَ المحبَّةِ نسمةً
تحكى لكل صبية وصبىْ
عطرَ الهوى

مَنْ قال غيِّر جلده التاريخ ؟
لما أتاكِ الفاتحون ردَدْتِهم بهديَّة
أنثى يعطّر شعرها عمر الزمنْ !!

أدمَى جبينَ مدينتى لونُ الترابْ
فمتى يفكُّ الغيمُ أسرَ دموعِهِ ؟
حتى تسيلَ على البيوتِ . . . ؟
. . . فيمُحى لونُ العذابْ

القاهرة : د عبد الحميد محمود

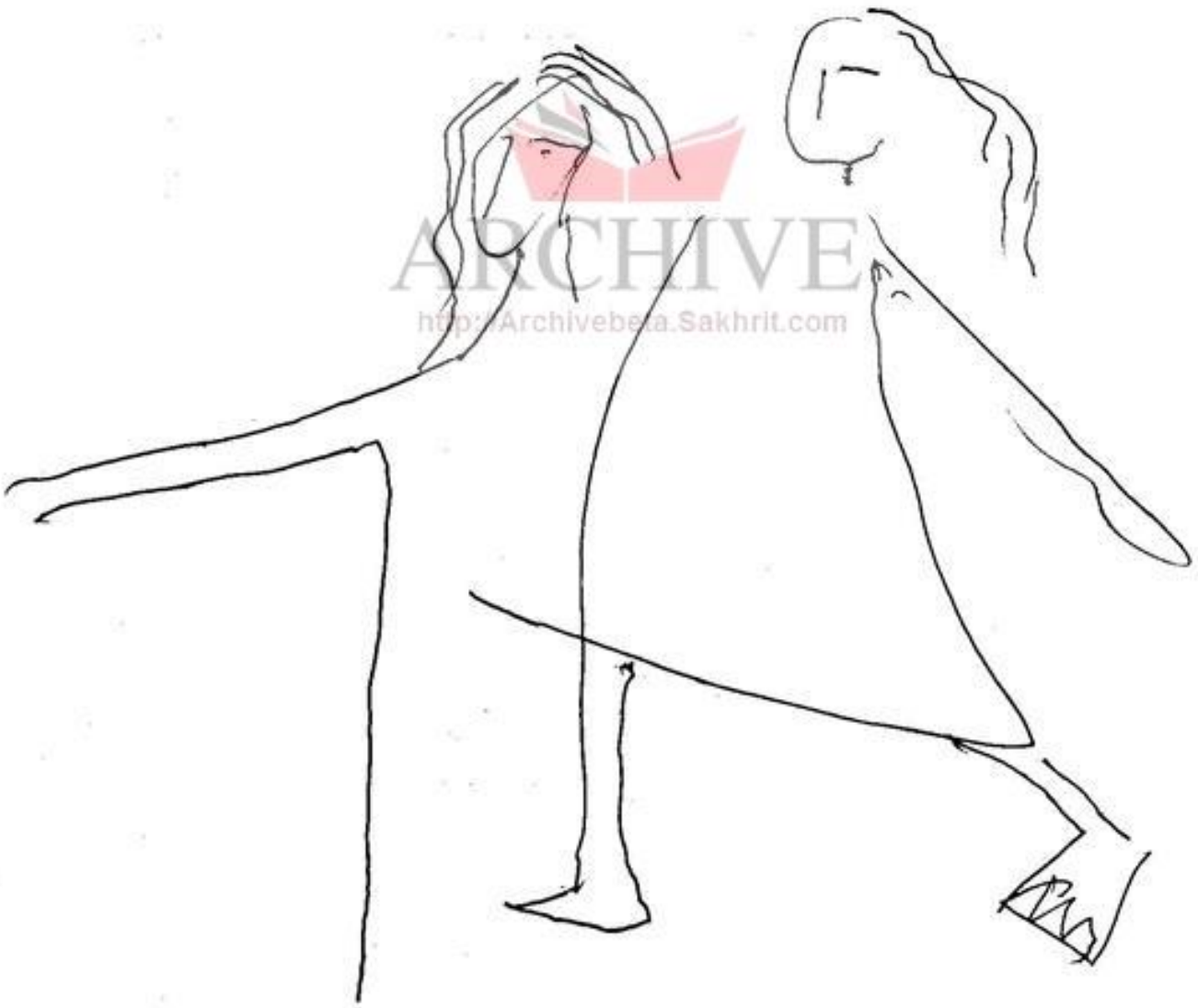

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

# سفر

أحمد محمود مبارك

« إلى الاسكندرية المهاجرة »

وفى مقلةِ العينِ ،
تاوى الديارُ ،
المنارُ
الشطوطُ ،
الدروبْ

ورغماً عن العين تلك التى تتقطَّرُ ،
رغماً عن القلبِ ذاك الذى يتفطَّرُ ؛
يمضى المسافرْ

وفى الأفقِ شمسٌ تذوبْ
قُطيراتِ دمعٍ تذوبْ
ولاحت جموعُ النوارسِ تلبس غيمَ الوداعِ ،
وتصرخُ فوق هدير الشواطئ ،
وهْى تعانق ركْبَ القلاعِ . ،
فَمْنذا يغنى لها . ،
ويبثُ التفاعيلَ صحواً ،
وبِشْراً ،
ويُلقى بذورَ الأغاريدِ فوق يبابِ الحناجرْ

. . . ورغماً عن العين تلك التى تَتَقَطَّرُ ،
رغماً عن القلب ذاك الذى يتفطَّرُ . ،

يمضى المسافرْ

وخصلةُ شعْرٍ ،
وعِقدُ محارٍ ،
وحبَّاتُ رملٍ . . تطير مَعَهْ
وصوتُ النوارسِ مستوطنٍ مسمعَهْ
وفى رئتيه شهيقُ الهواءِ المضمَّخ بالملح واليودِ . . زادُ السفَرْ
. . . وتمضى بأرضِ الفراق الليالى . . بغير قمر
وفى كل يومٍ يبثُّ الفؤادُ أسىً مُسْتَعرْ
وتنمو على كل دربٍ حقولُ الضجرْ
وتدمع عين القصيدةِ . ،
يا اسكندريةُ . . مالى سواكِ مَقَرْ
حريرُ اغترابى . . قتادٌ
شموعُ اغترابى . . . رمادٌ
سريرُ اغترابى . . حَجَرْ

الاسكندرية : أحمد محمود مبارك

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

شعر

# كلمات إلى الوطن المغترب

محمد فؤاد محمد على

جئت يا وطنى . . .
كى تفاجئنى بالنبوءات تلو النبوءات
فى ليلك السر مدىً ،
وتذرو علىَّ قليلاً من العشق ،
أستوسِدُ الحزنَ . .
علىَّ الذى كان قَبْلى . .
يعلمُنى كيف أنتظر الصبح . .
حين يفاجئنى من سماءِ التغربِ
فالحزنُ يا وطنى . .
دائمٌ أبدىً
وأنت تجيءُ
وترحل عنا ،
وتسكنُ فينا ،
وليس لنا نحن أن نسكنك .
وحين تحدثنى عن طيورك يا وطنى . .
أزجرُ الطيرَ سعداً ،
فتحترق الطير فوقى ، وتأبى السقوطَ ،
فيقتسم البحرُ كلُّ مخاوِفها والسماءُ ،
وتنتحل الأرضُ إسماً معاراً . .
يخالفُ كلَّ قواميسِ قومىَ .

ياوطنى . .
حينما فاجأتنى جيوشُ الغزاةِ ،
على ذروة الحُلْمِ ،
أسْرَجتُ خيلى ،
وأشهرتُ رمحى ،
وأشعلتُ نارَ التحدى
وألقيتُ قائدهم فى البحارِ ،
وحين صحوتُ من الصمتِ ،
كنت . . هنا . . واقفاً . .
والدِّماءُ تسابق خيلى
وَتَخْرِقُ كلَّ نواميس كونى .
فقمتُ حملتُ الأمانة
كانت تفلُّ الجبالَ ،
وتجرى البحارُ بعيداً ،
وتهربُ منها السماواتُ والأرضُ ،
كلُّ المدارات ،
لكننى كنتُ أحملها ،
ثم أجرى وراء البحارِ ،
وخلفَ السماواتِ والأرضِ ،
أبحثُ عن وطنٍ

أمتطى الغيمَ والشوقَ
واللحظة المشتهاةَ ،
وأسألُ عنه . . .

على حفرةِ الموتِ بين القواصفِ ،
أو حفرةِ النارِ بين العواصفِ ،
أو حفرةِ الصمتِ والانتهاء . !!

المنيا : محمد فؤاد محمد على

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

شعر

# العلامة

فوزى خضر

ها . . . قادمٌ كالنار مندفقاً على دربى
أعاند كل ما سَتَّهُ
ـ فى الأرض ـ الجهاتُ الأربعُ ، احترقتْ
ثمار العام بعد العام . .
فاشتعلت جذورى
صُمْتُ : لا جدوى
قتلتُ الصمتَ : لا جدوى
فثورى يابذور العام ،
كُونى غير ما أَلِفَتْ فصولى ،
غير ما أَلِفَ الشجرْ
كونى تباشير المطرْ
كونى قمر
ليست له لغةُ القمر
كونى حروف النار ،
تجدع ريحها أنفَ الفضاء
كونى رداء
يحوى تباشير السماء
ويسير فى الأسواق يحمل سلّة الخبز الجديد
كونى ابتداءات الشرر
فى ساعة الإصرار من نَدَمِ السلامه
كونى العلامة يابذور العام
كونى صرختى . .
كونى العلامه .

الإسكندرية : فوزى خضر

# أولد لو كُتِبَتْ

سعيد محمد الجزار

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

. . وأُعيد قراءة كفىَّ
أتأملّ خط العرض الممدود بطول الأرض
وأسأل خط الطول
من منكم يخبرنى بالمجهول
من منكم يعنى العمر ؟

ويجيب الجرح الساكن أقصى الإبهام
أبصُمْ أنك جافيت الشّعرْ
وضللْت دروب الالهام
أقسمْ أنك منهار الصبرْ
تكرّهْ كلّ القادم فى قافلة الأيام

أقبضُ كفّى
كى أُصمِت هذا الجرح الامر للكلماتْ
أن تنزف
الناطقَ بدماء الأحرُفْ
لكنّ القبضة تضعفْ
تندفع دمائى الممتلئةُ بالكلماتِ
وبالأهاتِ
وبالأشعارْ

يأخذنى ألفُ دوار
ودمائى ترسم دائرةً فوق الأرض

أتساقطُ
أ
ت
س
ا
ق
ط
يسقط رأسى
أسقط كلّى
تُوقفنى كلماتى الشاهرةُ لكل سيوف الأحرفْ
تستجوبنى كى تعرف :
ماذا أنت ؟
ماذا كنت ؟
يُحكى أنى كنت قديما شاعر

لكنى اليوم
مبتورُ الأمس ومقطوعُ الرأس
أفكّر بالأمعاء
يأكلنى الداء
يتشرّبنى اليأس ويشربنى الكأس..
ويُحكى أنى كنت قديما شاعر
لى بضعة أسطر
فى هامش أوراق الشعراء
وبضعة أسطر
فى صدر سجلات الفقراء
وبضعة أسطر
لم تُكْتبَ .....
لم تكتب .....
لم تكتب .....بعد .

سعيد محمد الجزار

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

شعر

# سيدى القلبُ والوسائد الشاغرة

## محمد رضا ٠ فريد

● رؤيـــة

احترامُ المواثيقِ يُملى على الأرض حملَ الحوائط .
والحوائطُ موبوءةٌ بالشموخِ القديم .

[ محمد رضا ]

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

[ احتـــواء ] . . .

هاربان من الناس نحو المطر .
والمطر .
يحتوينا مع الليل خلف ستارٍ من العربات العجوز .
خطوةٌ . . . خطوتان . . . ثلاث .
ربما نبتغى دوحةً .
أو تضيعُ المسافة .
خطوةٌ نشتهى .
والسماواتُ تطوى الجوَى .
خطوتانِ .
تفتح المدنُ الحجريّةُ أبوابها .
وثلاث .
المفاتيحُ صرتُ لها مالكاً .
وطنٌ فى المطر .

[ سيدى القلب والوسائد الشاغرة ] . . .

شاخصاً .
أستعيدُ المساحاتِ بينى وبين الأفق .
قدرٌ يرتدينى ،
ويفسح لى وردةً .
طفلةً لونتها البحار .
واصطفى سيّدى القلبُ حُبَّ الهدير .
واصطيادَ القمرْ .
اصطفى سيدى رحلةً للأغانى تجاه العبير ،
تُجاه الأَلِق .
والمسافةُ بينى وبين اجتيازِ الحدودِ كعمقِ الألم .

●

خارجىٌ أجيدُ الصدود .
بيمينى جنوح .

ويسارى جنون .
والوسائدُ شاغرةٌ بالتواصل ،
محمومةٌ بالوعود .

[ ثورة النزيف ] . . .

لم أعدْ قادراً أن أحدّقَ فى الليلْ .
السماواتُ قابضةٌ للضياءَ .
والبحارُ احتضارٌ بلا جزرٍ أو مرافىء .
وَجَعِى يسكنُ القَلْبَ ،
يبْذرُ فى الحُلْمِ حزنَ التشرّدِ ،
ثارَ القَصَائدِ ،
شَوْقَ الطفولةْ .

●

لم أعدْ مستباحاً لعزفْ .
أو لصوت المغنى يفرُّ إلىّ .
كى يدغدغَ جرحى زماناً ،
لأرقبَ وجهى سعيدا .
فإذا سَهوةٌ تسكبُ الثلجَ فى أضلعى
والنزيفُ يعربدُ تحتَ السكينةْ .

عاشقاً قاتلاً وقتيلا .
عاشقاً جامحاً وضعيفا .
عاشقاً ماجناً وحَصُورا .
أسأل الليلَ أن يُفرغَ الكأسَ منّى .
ثم يرسُم حزنى بأرضٍ جديدة .
لا تجادلُ فى عشقنا للقصيدة .
أو تصادرُ حقَّ الشوارعِ فى الاغتراب .

[ حكاية الشجر ] . . .

شجرٌ يغرسُ الظلَ فى النائمين .
. . . . يغرسُ الإخضرارَ الحزين .
. . . . يحفظُ الأمنياتِ ، المواعيدَ للعاشقين .

●

فجأةً .
وَجَعٌ قد أصاب الشجر .
تتناثرُ كلُّ القصورِ الورق .

●

يسقطُ العاشقون ويبقى الشجر .

القاهرة : محمد رضا . فريد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

# عن الصياغة والرياضة لعروض الشعر ( رد على نقد )

د. أحمد مستجير

سعدت حقا عندما علمت أن الدكتور أحمد كشك قد أفرد فصلا فى كتابه الجديد «محاولات للتجديد فى إيقاع الشعر» (١٩٨٥ ) ناقش فيه كتابى : «فى بحور الشعر - الأدلة الرقمية لبحور الشعر العربى »(١٩٨٠)، فهو واحد من العلماء الذين أحترم اجتهاداتهم وذكاءهم . ولقد تمكنت أخيرا من قراءة مناقشته للكتاب بعد أن تكرم الصديق الدكتور شعبان صلاح وأعارنى نسخته .

كان أول ما أثار انتباهى تلك المقدرة الفذة للدكتور كشك على عرض الأفكار التى تضمنها كتابى فى شكل سلس ممتنع . ولقد أثار الزميل الفاضل نقاطا كثيرة تستحق الجدل . والواقع أننى قمت بالفعل بتوضيح البعض منها فى مقال لى بعنوان «موسيقى الشعر والأرقام» نشر بمجلة «إبداع» (يوليو١٩٨٣)، وكنت أتمنى لو أنه قد قرأه . سيقتصر ردى هنا إذن على ملاحظاته التى لم يتناولها مقالى المشار إليه .

(١) من بين الفروض التى وضعتُها الفرض بجواز تحريك ساكن السبب الثالث من مفاعيلن لتصبح مفاعلتن ، وساكن السبب الأول من مستفعلن لتحول إلى متفاعلن ، هذا الفرض لم يقبله الدكتور كشك ، وعلق (ص ٤٠ ) بأنه :

فرض لامنطق له من حكم إيقاعى وضعه المستجير كى يبرر وجود متفاعلن ومثلها مفاعلتن فى نطاق الاثنى عشر سببا ، وكى يسير عليها إسقاط ساكن السبب كبقية التفاعيل رباعية الأسباب حسب فرضه - جوِّز كما رأينا تحريك ساكن السبب وهو أمر جديد فى منظوره . إن كان وجوده لدلالة إيقاعية فقد كان عليه أن يفعل مثل ذلك - أى تحريك ساكن السبب - مع الرُمل مثلا حين تأتى : فاعلاتن فاعلاتن محدثة لتوالى سببين هما (تن فا) - ولكان له أن يقوم بهذا الأمر مع تفعيلة الدوبيت التى بدأت عندنا بسببين هما (مف عو) كما بدأت تفعيلة الرجز بسببين

(تفعيلة الدوبيت تبدأ عندى بثلاثة أسباب ) . أرجو أن أفهم من هذا أنه لو تحقق المطلوب بالنسبة لبحرى الرمل والدوبيت لسلمَّ معى الدكتور بأن لتحريك الساكن دلالةً إيقاعية . كل ما أطلبه الآن هو مراجعة صفحة ٨٤ من كتابى ، فبعد استعراض موضوع تحريك الساكن فى مفاعيلن ومستفعلن كتبت أقول :

> ج) مفعولات .... وفيها يمكن حذف ساكن السبب الثانى والثالث ( يمكن حذف ساكن السبب الاول فى التفعيلة الأولى فقط )وبذا فمن الممكن أن تتحول إلى مستعلات أى مفعلتان ( |٥|||٥| ) . ثم أوردت مثالا يوضح ذلك . أما فى صفحة ٩٧ من كتابى فسنقرأ :
>
> إننا إذا تأملنا بحر الرمل والشطر منه مكون من «فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن» فسنجد فى نهاية كل من تفعيلاته سببا يجوز حذف ساكنه ، ومعنى ذلك أن هناك سببين خفيفين يمكن حذف ساكنيهما بتتابع

التفعيلة الأولى والثانية وكذا بتتابع الثانيه والثالثة ، ويجوز إذن . . . أن نستبدل بالساكن الأول منهما متحركا كما يحدث فى بحرى الهزج والرجز .

ثم أوردت ثلاثة أبيات توضح ذلك ، وذكرت أن هذا التحريك يعطينا بحر المتوفر .

(٢) تطلبت النظرية الرقمية ضرورة وجود بحر يفعّل على «مفعولُ مفعولُ مفعولُ»، وفى بحثى فيما بين يدي من أمثلةوجدت فى كتاب «موسيقى الشعر» للدكتور أنيس مثالا لشوقى قال إنه «وزن لا عهد للعروضيين به» ينطبق عليه هذا التفعيل أطلقت عليه بحر شوقى يقول المثال :

زيادُ ما ذاق قيسٌ ولا هَمَا
طبخ يد الأم ياقيس ذق مما
الأم يا قيس لاتطبخ السُّما

لكن الدكتور كشك يرى أن التفعيل - على حد تعبيره - لم يتحقق إلا فى البيت الثالث . . . مع إدراك أن تفعيلته الأخيرة تبقى إشكالا فى فرضه لأنها جاءت على مفعولن ، ما الذى جعل المستجير يحاول تفسير إيقاع البيت ؟ هل أراد أن يفسر ما لم يقم الدكتول أنيس بتفسيره حين قال هذا وزن لاعهد للعروضيين به ؟ أظن ذلك . (ص ٥٤)

لم أفهم فى الحقيقة لماذا لم يتحقق التفعيل المطلوب فى البيتين الأول والثانى ولماذا يرى الدكتور كشك - فى مناقشته - أنّ تحقق التفعيل فى البيت الأخير لم يكن إلا مصادفة . دعنى أكتب البيتين الأول والثانى فى صورة متحرك وساكن : ( |o|| - |o|o| - |o|o| - |o|o| - |o|o|o )
( |o|| - |o|o| - |o|o| - |o|o| - |o|o|o )

يبدو أن التفعيلة كانت غريبة فلم ينتبه الدكتور إلى أنها قد تأتى مزاحفة على معولُ( |o|| ) بحذف ساكن السبب الأول (وهذا زحاف لايعترى غير التفعيلة الأولى فى الشطر فقط) وعلى مفعلُ ( |o|| ) بحذف ساكن السبب الثانى ( ولقد ذكرت ذلك بالفعل بصفحة ٦٢ من كتابى )ولأن الشطر لايصح أن ينتهى إلا بساكن فإن الضرورة تقتضى إضافة ساكن أو سبب خفيف فى نهايته (ويحدث نفس الشىء أيضا بالنسبه للتفعيلة مفعولات الأخيرة فى بحر الدوبيت) .

والظن بأن غرضى هو أن أقوم بتفسير ما لم يقم الدكتور أنيس بتفسيره ليس صحيحا على الاطلاق . وبذا فلا مجال للومى إن أنا لم أواصل تفسير النماذج التى جاء بها أنيس لشوقى دالة على ما لاعهد للعروضيين به كما يقول الدكتور كشك . لم يكن هذا غرضى . من بين النماذج قول شوقى :

هَلا هَلاَ هَيَّا
إطو الفلا طيّاً
وقربى الحيّا
للنازح الصبُّ

وهذه كما يقول كشك « أبيات لاتحل بمنظور المستجير أبدا » وهذا قول غريب لأنها بالفعل على وزن مفعول مفعولن (أضيف ساكن فى النهايه كالمثال السابق) . ثم يقول الدكتور كشك : ونضيف إلى ذلك ما استغربه الدكتور أنيس من ورود فاعلاتُ ساكنه فى وسط مجتث وذلك فى قول الحادى :

يا نجد خذ بالزمامْ ورحب
سر فى ركاب الغمام ليثرب
هذا الحسين الامام إين النبى

يقدم كشك رأيه ثم ينتهى بقوله : اعود لاقول إن المستجير تسرع حين نقل فكرة الغرابه عن أنيس مصورا وزنا لا تستقيم له الأبيات غير مدقق لوضعها فى مكانها المناسب .

وكأن همى كان فكرة الغرابة . إنما تأتى الغرابة حقا عندما أؤكد الآن أن هذه الابيات الأخيرة - بالصدفة- تفعّل على بحر شوقى أيضا ! فالشطر الاول وزنه مفعول مرتين ذيلت الأخيرة بسبب خفيف وساكن ، والشطر الثانى هو مفعول ذيلت بسبب خفيف .

(٣) من بين الأبحر المختلطة التى اقترحتها الطريقة الرقمية بحر يفعّل على مستفعلن مفعولاتُ مفعولاتُ ــ وهو بحر غير خليل - وجدتُ أن موشح الأعمى التطيل التالى ينطبق عليه :

أنت اقتراحى لا قرب الله اللواحى
من شاء أن يقول فإن لست أسمع
خضعتُ فى هواك وما كنت لأخضع
حسبى على رضاك شفيع لى مشفع
نشوان صاحى بين ارتياع وارتياح

والدكتور احمد كشك يرى أن الوزن لاينطبق على أى من هذه الابيات ، فهو يقول إن البيت الاول لايتم وزنه . . . إلالو وصل بين شطرين بأبى نظام الموشح وصل شطريها . ومثل ذلك فى البيت الاخير الذى يعتبر قفلا لهذه المقطوعة . . . وبقية الابيات لاتسير وفق وزن المستجير .

لكن البيت الاول والاخير لهما نفس وزن بقية الابيات - بوقفة داخلية . والأبيات جميعا بالتأكيد من الوزن الذى اقترحته

بعد إضافة سببين خفيفين فى نهايه كل بيت (كما ذكرت بكتابى) . هذا تقطيع البيت الاول يبين التفعيلات الثلاث صريحة( وكلها غير مزاحفة ) وقد أضيف سببان فى النهاية :

( ٥|٥| - |٥|٥|٥| - |٥|٥|٥| - ٥||٥|٥| )

ولاحاجة لتوضيح ذلك فى بقية الأبيات فهذا أمر يسير ، ويكفى أن تظهر الأرقام ٣ - ٨ - ١٢ ليكون التفعيل مطابقا للتصور الرقمى . والدكتور كشك يحاسب دائما بالنمط النموذجى لكل بحر ــ ولقد رأينا أنه يرفض الزحافات ــ وكنت أتوقع منه أن يشير إلى ظاهرة إضافة السببين الخفيفين فى نهايات أشطر بعض الأبحر ثم يتساءل عن التعليل .

(٤) أما عن بحر الدوبيت فيقول كشك (ص ٥٧) : لقد جاء الدوبيت الذى تفعيلته مفعولات بحراً اساسيا يقف فى مقابل الهزج الذى استخرج منه المستجير الوافر ، والرجز الذى استخلص منه الكامل كما يقف أيضا أمام الرمل . ويعيب هذا الفهم أنه لم يرصد له ولم يستقرىء واقعه الذى يعبر عن فارسيه المشرب ، والتسميه توضح ذلك فهى تتكون من الكلمتين الفارسيتين : «دو » و«بيت» . ثم يذكر أن للدوبيت عدة اوزان احدها الوزن الذى مثلت له بالبيت :

لو صادف نوح دمع عينى غرقاً
أو صادف دمعتى الخليل احترقا

وهو يرى أن هذا البيت لا يحقق الوزن الذى اقترحته . ثم يذكر مثالاً آخر من الدوبيت أبياته « لا توافق المنظور المثالى الذى وضع » لهذا البحر ( كما يقول ) :

روحى لك يازائر الليل فدا
يا مؤنس وحدتى إذا الليل هدا
إن كان فراقنا مع الصبح بدا
لا أسفر بعد ذاك صبح أبدا

والواقع أن الشطر الأول من البيت الأول لا يمثل نمطاً خاصاً ، فهو مكسور حتى بالمنظور التقليدى ، فلا أعرف أن متفاعلن يمكن أن تتحول فى حشو أى بيت إلى متفاعل ، والأغلب أن أصل الشطر هو « روحى لك يازائر بالليل فدا » ليتوافق مع بقية الأشطر . والحقيقة أن التفعيل الذى أراه ، ينطبق على المثالين السابقين بعد إضافة سبب خفيف فى نهاية الشطر ( كما ذكرت ) حتى تتحقق التفعيلة الأخيرة تامة وينتهى الشطر بساكن . هذا تقطيع الشطر الأول من البيت « لو صادف نوح . . . » فى صورة متحرك وساكن :

( |٥||٥| - |٥|٥|٥| - |٥|٥| - ٥| )

التفعيلة الوسطى هى مفعولات دون زحاف ، والتفعيلة الأولى ( ومثلها الثالثة ) هى مفعولاتُ وقد حذف منها ــ كزحاف ــ ساكن السبب الثالث . وتفعيل الشطر الثانى من نفس هذا البيت :

٥| - ||٥|٥| - |٥|||٥| - ||٥|٥|

( وسنلاحظ هنا أن التفعيلة الثانية قد حُرك فيها ساكن السبب الثانى ) .

فإذا ما أضفنا إلى نهاية التفعيلة الأخيرة من الشطر ساكنا فقط ، تحولت إلى مفعولاتن ، ومن هذا الشكل البيت التالى الذى أورده كشك ليوضح لى شكلاً آخر من أشكال الدوبيت :

أهوى قمراً له المعانى رق
من صبح جبينه أضاء الشرق

وهو مطابق تماما للبيت التالى الذى ذكرته بكتابى ( ص ٦٩ ) :

أصبحت متيما حزيناً بالى
مضنى ولقد تغيرت أحوالى

( والتفعيلات الثلاث لأى شطر من البيتين :

٥|٥|٥|٥| - |٥||٥| - ||٥|٥|

ينتهى الدكتور كشك بتساؤله :

أىّ اتساق يوحى بمثالية الدوبيت الذى خالف واقعة ما حُدد له من وزن . . ورغم الشقة الحاصلة بين تفعيلة مفعولاتُ مكررة وما جاء من أبيات الدوبيت فإن الدكتور أحمد مستجير يسلم بها ــ كما قلت ــ باعتبارها أساسا فى الاستنباط ، مستخرجاً منها أوزاناً أخرى مع أنها لم تحقق بذاتها الوزن الذى فرضه المستجير لها .

ولعلى أكون قد بينت أن مفعولاتُ تحقق المطلوب منها تماما . وربما أضفت مرة أخرى أننى كنت أبحث عن بحر يحقق الدليل الرقمى ٤ - ٨ - ١٢ ، ووجدت فى الدوبيت ضالتى ، ولم أهتم ــ بالطبع ــ إن كان هذا البحر فارسى المشرب والتسمية .

٥ - لا يجب الدكتور كشك إطلاقاً أن يكون المجتث مشتقاً من البسيط كما اقترحت ، لاهتمامه بما يسمى الوتد المفروق .

ولكنى أود هنا أن أكتب الشكل الخليلى للبحرين فى صورة متحرك وساكن :

|o|o||o|o|o|o||o|o||o|o|o||o  ( البسيط )
|o|o||o|o||o|o|  ( المجتث )

هل من الممكن أن نقول إن المجتث ليس جزءاً من البسيط ؟ ربما رأى كهلك أن « الوتد المفروق » يتسبب فى التوقف فى مواقع معينة ، ولكن من قال إن هذا ــ حتى هذا ــ لا يمكن أن يقعّد له رقميا ؟ .

٦ - أما بالنسبة للبحر المديد فقد رأيت أن التفعيل الذى تقترحه الأدلة الرقمية هو : فاعلاتن فاعلاتن مفاعيلن . والدكتور كشك يلاحظ أن واقع المديد يسقط ( لن ) الأخيرة « بلا قاعدة ، ليصبح مديده على وفاق ما رآه الخليل ــ ولست أدرى أيضاً لماذا الحاجة إذاً إلى طريق الإحلال ما دمنا قد عدنا إلى ما ذكره الخليل الذى لم يستخدم إحلالا ولا اسقاطا » ــ هكذا يقول الدكتور كشك ( ص ٤٦ ) . ولا أدرى لماذا لا يوجه الدكتور كشك هذا النقد إلى الخليل قبل ، فهذه التفعيلة بالذات ( مفاعيلن ) لا تأتى فى نهاية الهزج ( الوافر ) التام إلا فى صورة مفاعى ، أى وقد حذف منها السبب الأخير( لن ) ــ تماما كما يحدث فى اقتراحى للمديد . نفس الشىء يحدث فى نفس التفعيلة فى نفس الموقع عند الخليل ــ بلا قاعدة ! .

إننى أقدر تماما أهمية الانتباه إلى التحويرات فى التفعيلة الأخيرة من الشطر ــ بالإضافة أو بالحذف ــ وأعرف أن الأمر يستحق البحث ، وأتعشم أن أجد من الوقت ــ أو يجد غيرى ــ ما يسمح بالقيام بهذه الدراسة الهامة .

فى كتابى « مدخل رياضى إلى عروض الشعر العربى » الذى صدر هذا العام ( ١٩٨٧ ) أرجو أن يجد الدكتور كشك الكثير من التفاصيل التى لم تذكر فى كتاب « فى بحور الشعر » ــ وفيها على ما أعتقد الإجابة على الكثير من التساؤلات والاعتراضات التى أثارها فى مقاله القيم الذى اسعدتنى وأثارتنى قراءته .

القاهرة : د. أحمد مستجير

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

# عيون المرأة
# فى أشعار إسماعيل عقاب

د . هيام أبو الحسين

« من وحى عينيها »

عنوان قد لا يجد القارىء فيه لأول وهلة تلك الطرافة أو الغرابة التى كثيرا ما يلجأ إليها الكتاب لجذب القراء ، ومع ذلك فهو عنوان يخاطب الوجدان . . فما أكثر الأسرار التى يحرص الإنسان على إخفائها فى أعماق نفسه فتفضحه عيناه . . وما أكثر ما ترشفه النفس الحساسة من كأس العين الساكنة النابضة ، وما أعجب الألوان والأطياف التى تنبعث من عين وديعه حالمة ، أو عين كسيرة دامعة ، أو عين متألقة ، أو عين براقة متحدية . . ! ومن العيون ما يخرج عن المألوف : فالحكمة لها عينان ، عين على الماضى تسترجعه ، وتتفحصه ، وتتمثله ، وتستخلص ديناميته الكامنة ، وحضوره المستتر : قبس ينير العين الثانية المتطلعة إلى المستقبل ، تحاول أن تستشفه ، وتعبّد الطريق المفضى اليه ، قبل أن يصبح الحاضر ماضيا ، والمستقبل حاضرا . . أما عين القلب فهى لا تعرف النوم ، وهى نور خالص غنى عن الضوء ، ورباط قدسى بين المرء والرب ، وجناح سحرى يرقى بالناسك إلى أجواء علوية حُرّمت على عبّاد المادية . . وهناك عيون من نوع خاص لا يراها من تبلّدت منه الحواس ، وهى عيون عميقة شفافة ، ثاقبة عاكسة ، صامتة معبّرة ، تنفذ إلى اعماق ناظرها ، وتعكس فى صفحتها الفضية الرقراقة كالماء ما يعتمل فى الأغوار . . وقد يرى المرء فيها كوامن ذاته تأخذ من اللحظة شكلا ولونا . . تطفو وتنحسر ، جياشه كالبحر فى مدّه وجذره ، يتخذ لون الرمال تارة ، وتارة لون السماء . .

ترى من أى نوع إذن تلك العيون التى كتب اسماعيل عقاب ديوانه من وحيها ؟ وهل من المحتمل أن تكون من فئة مغايرة لم تخطر على بالنا ؟

وما هى تلك التجربة أو التجارب التى استوحاها من عينيها الشاعر والتى يحويها الديوان ؟ ترى هل توقع منا اسماعيل عقاب هذه التساؤلات فسارع إلى بعض من أبياته يضعها على الغلاف علّها تعطينا المفتاح الذى يغرينا بتتبع خطاه ؟ :

« عرفت الشعر إبحارا
وإبحارى بعينيك . . .
وأشعارى إذا تزهو
فمن أضواء خديك
ولا تغفو فعيناك
هما عشّان بالأيك
لذا أهديك أشعارى
أزاهير حواليك »

ما من شك فى أن أول سطر من هذه السطور يذكرنا بتعريف صلاح عبد الصبور للشعر بصفته « رحلة » ، خاصة وأن الديوان يضم مقطوعة بعنوان « جدل مع صلاح عبد الصبور » ؛ وأخرى مهداة « إلى روح الشاعر صلاح عبد الصبور » بعنوان « تدفق نهر الحزن » وبالرغم من أن هذه المقطوعة الأخيرة تعتبر من شعر « المناسبات » التقليدى ، إلا أن اسماعيل عقاب استغل هذه « المناسبة » للاشارة بما يدين به لرائد التجديد فى الشعر الحديث ، وهذا ما فعله كثيرون غيره من الشعراء المعاصرين أخص بالذكر منهم الشاعر أحمد سويلم الذى تعدّ مرثيته الوجيزة البليغة « غياب الفارس » (١٩٨١) تمجيدا للشعر بصفة عامة ، والمهمة السامية التى يقوم بها الشاعر الذى يناضل بحدّ « الكلمات » فيسقط شهيدا فى حومة الشعر « شأن الشرفاء » .

وسواء كان الأمر يتعلق بالشاعر أحمد سويلم الذى سنفرد له مثالا

آخر ، أو باسماعيل عقاب الذى نتحدث عنه الآن ، فكلاهما يدين بالكثير لرائد التجديد فى الشعر الحديث ، ليس من ناحية الشكل وحده بل من حيث الصور « والتيمات » أيضا .

وإذا حاولنا تحديد مجال الديوان انطلاقا من تلك الأبيات التى تحلّ الغلاف لوجدنا أنفسنا أمام مشكلة « العمومية » لأن صاحبه آثر الإبهام على الإفصاح كى يثير فى مخيلتنا « تداعيات » رحلة الشعر داخل عينين تقودان الشاعر إلى عالم قوامه - فيما يبدو - البحر والبلابل ، والروض والأزهار .. عالم بسيط جميل ضاحك كذاك الذى تصوره « الرعويات » ذلك النوع الذى خرج إلى الوجود بين أحضان الاسكندرية الهللنيستيه ، وعاش فى وجدان أهل الثغر الذين كان يقاسمهم شاعرنا حياتهم حين زارته لأول مرة ربة الشعر ..

فإذا ما تجاوزنا الغلاف ، ودلفنا بين دفتى الكتاب ، صافحت منا الآذان « اصداء النداء » : نداء هاتين العينين إذْ تتردد أصداؤه فى الوجود ، فتنطلق البراعة بشدو عذب الايقاع ، يجعلنا ندرك تواً أننا أمام تأصيل وتجديد ... فما أن نطالع :

« بعينيك همس ... وطرق ... ودقّ
وفجر على باب ليلى ... يدقّ »

حتى نسمع صدى آخر يتردد فى ذاكرتنا لصوت أحمد شوقى ، إذ يقول :

« سلام من صبا (بردى) أرق
ودمع لا يكفكف يادمشق »

ولكن شتان بين المضمونين فهذه البادرة سرعان ما تختفى لتفسح المجال

لتراكيب أسلوبية ، وصور بيانية وجمالية ، وتداعيات وتراسلات تعدّ بلا جدال من مقومات التجديد . فإلى جانب « الايقاع الموسيقى الصرف » ، و « الموسيقى الخالصة » التى أشاد بها الأستاذ الدكتور عبد العزيز حمودة فى تعليق له على أشعار إسماعيل عقاب ( الديوان ص ١٠٧ ) ، نلاحظ بدورنا ميل الشاعر إلى اختيار ألفاظ ذات معانٍ متدرجة أو متعارضة ، تتلاحق فى جوار وحوار ، وتستمد ثقلها وشحنتها الشعرية من السياق ، كما أن استخدامها فى أنساق غير مألوفة يثير فى مخيلتنا صورا ملموسة محسوسة ، على نحو يوحى لنا بمفاهيم مجازية ، تتابع بسرعة خاطفة متقطعة فى تلك الافتتاحية الشاعرية التى تسيطر عليها « الأسماء » و « الصفات » بينما « الافعال » فيها قليلة ، وهى وثبات وصيحات وكثيرا ما تفصل بين الكلمة و« جارتها » عدة نقاط تدعونا للصمت كى نحسن الاصغاء !

يقول اسماعيل عقاب مخاطبا زائرة الفجر هذه ، أو بالأحرى المرأة - الفجر التى « تجلت » فى بهجة وجلبة وضجة متصاعدة ( همس .. وطرق .. ودق .. ) فسرقت النوم من المقلتين ، وعصفت بالدجى فانفلق الصبح :

« وفى وجنتيك ... ربيع تسلّى
وبين المروج ... صقيع وحرق
وفوق الشفاه ... قطوف تنادى
وثمر وخمر ... وعطر ونبق »

لا شك أن هذه الجمل الإسمية القصيرة السريعة الايقاع تحاكى صحوة مفاجئة : نور الفجر بدد أستار الظلام ؛ ودفء الربيع أعاد القطوف إلى الأشجار والكلمات فى تلاحقها المتعمد تضيف كل منها إلى الأخرى شيئاً جديداً عن سمات وقسمات صاحبة النداء ، والنقاط الفاصلة التى تتكرر فى كل سطر إلى جانب كونها « وقفة » ايقاعية هى فى نفس الوقت دعوة للتمهّل من أجل التخيل والتأمل ...

وإذا سلّمنا بأن المقارنة بين المرأة والبستان - أو المروج الخضراء - صورة أصيلة تتردد منذ الأزل فى كل الآداب ، فلابد أن نسلّم أيضا بأن الربيع فى كل الأجواء يتميز بلمساته ونسماته المتعشة ؛ بينما إلحاق « التلظّى » بالربيع يعطينا صورة صارخة غير مألوفة ، ويحدد وقع هذا الربيع الخاص أو « الذاتى » فى نفس شاعر « يحترق بناره » ، وهى صورة يكملها ويدعمها ما جاء فى السطر التالى عن تلك « المروج » التى تضم بين جنباتها « صقيع وحرق » . ولاشك أن الصقيع صورة غريبة على بيئتنا الجغرافية ، لكن هذا الجمع بين الأضداد « يولّد » لدى القارىء صوراً وتداعيات . أضف إلى ذلك أن الصقيع حالة من حالات الماء ، والماء من « التيمات » الرئيسية فى هذا الديوان ؟ وهو فى نفس الوقت يصور الجمود ، وموت الروح ، أو « الفناء » ... بينما الحرق والنار يمثلان النضج ولاكتمال ... لكنهما إذا زادا عن الحد انقلبا إلى الضد ، وهذا ما سنتحدث عنه فيما بعد عن المين « المحرقة » التى تؤدى إلى الجفاف والهلاك ... ولكن فلنتابع الآن نتائج ذاك الربيع الحار .. لقد سارع بنضج الثمار ، فانفرجت الشفاه عن « قطوف تنادى » ... فإذا تذكرنا ان عنوان المقطوعة هو « أصداء النداء » ، وحاولنا بدورنا أن نحدد « تجسّدات » هذه الأصداء ، لوجدنا أنها تجمع بين اليانع الطازج ( الثمر ) ، والقديم المعتق ( الخمر ) ؛ بين ما يقيم الأود ويملأ الجسد نشاطاً وحيوية ، وبين ما يحذر الحواس ويدلف بالمرء فى طيات الأحلام ، ويحيله إلى يقظ وسنان ... والحريق الكامن بين المروج فى انعكاساته على « الصقيع » يشيع فى الصورة ظلالا « أرجوانية » متدرجة الطبقات أحمر وردىّ فى الشفاه والوجنتين ، وأحمر قانٍ داكن فى التمر والنبق والخمر .

وهذه القطوف ليست بهجة للنظر والمذاق فحسب ، بل يفوح منها « عطر » شذى يروق لحاسة الشم أن تستنشقه ... وهو حين يسرى فى الأوصال يجيل المهجة إلى أوتار ، تهتز من وقع خطى الحبيبة ، وكأنها أنامل رقيقة .. فإذا بهذه الخطوات الأثيرية تكسب « اللحن » حيوية مرئية تجعله يتراقص فى تيه ودلال :

« ولحن تراقص فى مهجتى
لخطو يتيه ... ودلٍ يحق »

هنا تكتمل الصورة التى تتداعى فيها الألوان والعطور والنغمات ( على طريقة بودلير ! ) لتحتفى بموكب الشعر - البكر - الخلاق :

« كأن خطاك ... طقوس العذارى
وبين الحنايا ... نداء وشوق »

ولابد هنا من وقفة متأنية أمام السطرين الأخيرين اللذين يوضحان ما أشرنا إليه من قبل عن الصور المتعارضة المتقابلة المتزاملة ، وذلك حين تحدثنا ـ عن « الحرق » و « الصقيع » ( وبين المروج صقيع وحرق ) . فهذا الطيف الذى حين بدا أيقظ الكون كله ، وأحال الدجى نورا والجفاف خصوبة ، رمز « كلّى » يجمع بين الممكن والمحتمل والمستحيل . وهذا الهاتف الداعى حين انتزع النائم من سباته جعله يتلظى حرقا ، ويرتعد بردا . . يجمد من الصقيع ، وينتشى من خمر القطوف فيرقص طربا . . فمن عساه يا ترى ذاك المخلوق العجيب الذى يجمع بين العفّة واللهفة ؟ بين التمنّع والدلال ، وبين التشوّق للعطاء ؟ انها المرأة ـ العذراء بكل ما يحمله هذا التعبير من دلالات . . .

والألفاظ التى اختارها الشاعر للإشادة بها والاحتفاء بمقدمها تجعلنا نميل إلى الاعتقاد بأن الأمر يتعلق بحب يتأرجح بين الشوق والعشق ، والعبادة والتقديس ، مما يعطى لهذه السطور الشعرية رنّة صوفية نلمسها فى أماكن أخرى من الديوان كما هى الحال مثلاً فى مقطوعة « الطريق » ، أو فى المقطوعة التى تحمل عنوان الديوان والتى ستتناولها بعد قليل ؟ أوفى تلك التى أسماها الشاعر « ملهمتى » والتى يصف فيها غرامه « الأوحد » على النحو التالى :

« حب يضم مشاعرى فى رحمة
مثل الهداية . . . فى جوانح ملحد
قلب كأجراس الكنائس دقه
ودماؤه فيض من الطهر الندى
أو فجر عيد إذ يلوح لصائم
حب . . . من مآذن مسجد »

والمرأة ـ العذراء من النماذج الأولى أو الأزلية التى عاشت فى الضمير الجمعى للانسانية منذ سالف الأزمان : انها حواء فى جنة الخلد الدانية الثمار قبل أن تغويها الحية الرقطاء ، وهى ايزيس التى كانت تسميها بعض النصوص الفرعونية « العذراء الأبدية » ، هى « عذراء شارتر » التى عبدها الدرويد قبل الميلاد ، وهى الجنّية الحسناء التى تعشق الأمير الجميل فى « الف ليلة وليلة » وتمنحه وصلها . . ثم تعود عذراء كما كانت من قبل وكما ستظل من بعد . . وهى ايضا « الإلهام » حسب تصوير شاعر الزنوجة السريالى ليوبلد سنجور : فالإلهام يهبط على الشاعر حين تشتد به المعاناة فى صورة عذراء : ومن اتحادهما يتولد الشعر « البكر » أى الابداع . .

ولما كان شاعرنا من سكان الشواطىء ، عشاق البحر . . فحرى بنا أن نستشف تأثير الأقليمية فى تصميم هذه المخلوقة الأسطورية البشرية التى تهيمن على الديوان طلعتها البهية وعيونها العميقة السحرية . . . ان هذه الحسناء تبدو كما لو كانت قد تمخضت عنها الأمواج شأنها شأن أفروديت ربة الحب والجمال ، والخصوبة والنماء ، تلك التى ولدت فى الشرق قبل أن يعبدها الأغريق والرومان ، وورثت الكثير من هاتور المصرية ، وعشطار الآشورية البابلية . . ! إنها إذن عروس البحر المتوسط تجلت فى صورة « عين » تتركز فيها خصائص المرأة والبحر ، وها هى ذى الحسناء تدخل فى حوار مع اسماعيل عقاب كما لو كانت تودّ أن تختبره قبل أن تبوح له بالأسرار :

« سألتِ أتعرف لون عيونى ؟
تحيّرت فيها . . . أخضرٌ . . . أزرق !
لعلّى أراها . . . مزيج الطيوف
وبين الجفون . . . بحارٌ وعمق »

لاشك أن العيون المتأرجحة بين الخضرة والزرقة تأخذ من البحر عمقه ولونه ، ومن السماء ظلالها وانعكاساتها على صفحة الماء . والشاعر يعود هنا فيستكمل الصورة التى أعطى ملامحها الأولى فى الأبيات التى تحلّى غلاف الديوان ، والتى تتركز فى كلمتين : « العيون ـ البحر » ، وهذه الصورة أو بمعنى أصح « الكناية » تلاحقه كما لو كانت « لازمة » موسيقية ، تتردد بصفة دورية ، وتراها بشكل لا يدع مجالا للشك حين يقول :

« أعشق إبحارى بعيون المرأة
حتى لو كانت آخرتى أعماق البحر »

كما أن هذه « اللازمة » مصدر لكثير من المرادفات التى يشتمل عليها المعجم اللغوى للشاعر ، والتى تنبع من نفس المجال الدلالى : الجدول ، والنهر ، والغدير ، . . لذا تتجسد الأحاسيس لديه فى صور « بحرية » أو « مائية » ؛ فهو إذا عانى من الوحشة وزاد به الكرب « تقاطرت سحب الكآبة [ من يده ] صـ ١١ وإذا غمرته السعادة والأطمئنان أمام حنان الأم المتدفق يرتسم هذا الشعور فى صورة :

« بسمة أمن وسكينة / تتحول دوامات فى بؤره [ثغره] » ( صـ ٧٠ ) وإذا طال به انتظار المحبوب ، وتوقفت عقارب الساعة التى تحسب « الزمن الذاتى » راح يحدثنا عن « جليد الموعد » مميتا النفس بحدوث التحوّل المرتقب لهذا « الجليد » إذ « ينصهر ببحر ملعون » ( صـ ٢١ ) .

ومجمل القول ان المرأة لدى اسماعيل عقاب رمز « كلّى » كما قدمنا ، والرمز الكلّى بطبيعته رمز « مركّب » ومتشعب ، فهى البحر بكافة حالاته واشتقاقاته وصفاته ، وهى « العين » بكافة معانيها ، ولكن « العيون » أو « العين » وهى الجزء يستخدمها كناية عن المرأة وهى « الكل » ، وهذا ما نستنبطه من المقطوعة التى تحمل عنوان الديوان حيث يقول :

« عيناك عطور . . . وورود
عيناك شفاه . . . ونهود
عيناك القدّ الأملود
عيناك امرأة سيدتى
عيناك فناء وخلود » .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

واستخدام الجزء ( العين ) كناية عن المرأة من الصور البيانية الشائعة فى الآداب العالمية ، والتى يرجعها المتخصصون فى النقد اللغوى السيكولوجى إلى تأثير شرقى ، بل إلى أصل مصرى . . . وهم يستندون فى ذلك إلى أن العين من أكثر الشعارات المقدسة التى تقابلها فى الكتابات والنقوش المصرية القديمة ، وكانت ترمز إلى « الكلّ » أى الاله ــ الشمس وهو حورس ، ثم تطورت دلالتها لتعبّر عن سرّ الوجود والمعرفة الحقّة ، والصلة الروحية بين العابد والمعبود : فالمرء لا يستطيع التطلع إلى عين « الاله » يستمد منها النور والمعرفة إلا بعد جهد جهيد يعطيه ما يلزمه من عمق وشفافية ضرورية لتحقيق تلك الصلة . . . وإذاكنا قد نسينا بمرور الأيام مصدر هذا الرمز فيكفى أن نحصر ما لدينا من تعبيرات وأمثلة شعبية مصرية صميمة لكى ندرك أن هذا المفهوم يعيش فى ضميرنا الجمعى دون أن ندرى . وليس بوسعى أن أجزم ان إسماعيل عقاب قد فكّر فى هذا المعنى بالذات ، ولكن مما لا ريب فيه أن « الذاكرة » غير الواعية ، المتوارثة عبْر الأجيال ، كثيراً ما توحى للأديب بصورة غير مقصودة لا تتكشف فى القراءة السطحية ، ولكن من أهم وظائف الناقد أن يغوص فى أعماق النص ليكشف عما تحجبه الكلمات من دلالات وهناك احتمال أن يكون شاعرنا قد استوحى هذه الكناية من الشاعر الفرنسى السيريالى لويس أراجون صاحب « نشيد إلزا » (١٩٤٢) ، و « عيون إلزا » (١٩٤٢) ؛ « ومجنون إلزا » (١٩٦٣) ؛ فقد ترجمت إلى العربية مقتطفات كثيرة من أشعار أراجون نلاحظ صداها لدى العديد من أدبائنا المعاصرين .

ومن الجدير بالذكر ان نضيف فى هذا المقام ما صرح به أراجون عام ١٩٦٣ حين نشر « مجنون إلزا » عن تأثره بالتراث الشرقى عبْر اسبانيا . فهذه العيون من الصور « والتيمات » الإنسانية الأزلية التى تنتقل بين الآداب ، وتمتزج فى كل بلد أو إقليم بما له من خصائص ، فتحدث عملية تطعيم أو تزاوج تثرى الإبداع هنا وهناك .

وإذا كنّا قد أفضنا فى توضيح رمز « المرأة ــ العين » فذلك لأسباب دلالية وجمالية ، ولأنه من الرموز الطريفة شأنه شأن المرأة ــ اليد ، والمرأة ــ الشفاه أو الثغر ، تلك الرموز التى ازدهرت فى الفن بشكل عام مع ظهور السيريالية ثم تدهورت حين تحولت إلى مجرد « مودة » شأنها شأن غيرها من الصور والتيمات التى يشوّهها « التقليد » .

إذا عدنا مرة أخرى إلى القصيدة التى تحمل عنوان الديوان حيث يقول الشاعر لحبيبته :

« عيناك امرأة سيدتى
عيناك فناء وخلود »

لوجدنا أن تلك العيون تشترك فى صفاتها المتعددة المتقابلة مع البحر والأرض : البحر السخىّ بخيراته ، المتجدد فى لانهائيته الأبدية ، المميت بوحوشه وعواصفه وأغواره المرعبة ؛ والأرض . . . أو الطين ، مصدر الحياة للإنسان والنبات ، ومآل كل شىء حىّ . . الأرض الخصبة الرحيمة كالأم ، الخانقة كالقبر . . . وهذه « التيمة » الأخيرة محور رسالة شعرية مأساوية وردت تحت عنوان « من أحد الرعية إلى جناب الملكة » ، قصيدة تتمثل فيها المرأة الفناء فى صورة عين متعالية قاسية محرقة .

هذه المقطوعة فى رأيى نموذج من الشعر الدرامى ، فهى تصوّر مأساة : الشاعر بطلها وضحيتها وراويها . . . مأساة تروى بعدة أصوات : بعضها ينطق بالكلمات والآخر يستخدم لغة « العين » أو لغة الحركات واللفتات . الأصوات المسموعة هى صوت صاحب الرسالة وهو « أحد الرعية » كما جاء فى العنوان ، وصوت صاحبة الجلالة المتلقية لهذه الرسالة . . . وفى الخلفية سائق العربة الملكية ، والحراس ، وأفراد الشعب من أهل الريف البسطاء . . . أما المكان : فأحداث المأساة تبدأ فى الريف الجميل وتنتهى فى القصر المنيف . . . وأما الزمان : فهو الزمن الأبدى الذى يرمز إليه الشاعر بالعجلة التى لا تكف عن الدوران والتى تعنى فى نفس الآن التكرار الأبدى لنفس المأساة ، أو قُلْ لنفس « المواجهة » بين أشخاص لا يعرفون بأسمائهم وانما بصفتهم ( الملكة ــ الرعية ) . . . والزمن فى دورانه المنتظم يحرص على استمرار المسافة بين الطرفين ، ولسوف تظل المسافة قائمة طالما ظلت الملكة فى عزلتها ، ولم تضرب فى الأرض بجذورها ! يقول الشاعر مخاطباً صاحبة الجلالة فى مطلع القصيدة :

« من قبل مجيئى
دارت عجلات سنينك
حملتك المركبة الزرقاء
سارت تتهادى »

ثم يصف الركب الملكى فى طريقه إلى القصر وهو يتلاعب بسيمفونية الألوان المفعمة بالدلالات : الأزرق ، والأخضر ، والأحمر ، والأسود ، والأصفر . . . فالمركبة الزرقاء ــ رمز العلياء ــ اجتازت الريف الأخضر دون أن تغادرها الملكة ، ودون أن تطأ قدمها أرضه ، أو تتحسس أظافرها الحمراء ــ من الطلاء أو الدماء ــ الطمى الأسود ! ويسير الركب تحف به « هتافات زائفة » وعند وصوله تستقبله « ضحكات باهتة صفراء » . وأثناء الطريق كانت تلازم الملكة « لعنة حلوة » تتمثل فى سائق المركبة ، الذى كان بمثابة سياج أو حاجز منيع يحول بينها وبين الرعية . . فكلّ ما علمته عنها جاءها من « نظرة » متباعدة ألقتها والمركبة تتابع مسيرتها ، فرأت عيناها « الريف جميلاً/ فى جدول ماء رقراق » ، لكنها ظلت حبيسة صومعتها ــ أو بالأحرى زنزانتها ــ المتنقلة : لم يشمّ أنفها « رائحة الطين » ، ولم تدرك ما حولها من بؤس وشقاء ، ولم تنفذ إلى قلبها نظرات الفقراء المتطلعة إليها فى أمل يائس ، ولم تنتبه إلى « كم » الأحلام المطوية تحت الأجفان » . . . ولم « يثقب » أذنيها « صمت الشاعر » . . .

هذه السلسلة من العبارات المنفية تذكرنا بالاعترافات السلبية فى « كتاب الموتى » الذى خلّفه المصريون القدماء ، لكن « النفى » هنا يستخدم بطريقة عكسية حيث يكرر الشاعر عمدا أداة النفى الجازمة « لم » كى يؤكد ما اقترفته الملكة من سلبيات وتأخذ سوف « تحاسب عليها . . . وهذه الأعمال النكراء ستودى بها إلى ارتكاب جريمة

شتعاء نعرفها فى نهاية «المأساة» . ثم يترك الشاعر الملكة فى قصرها تحف بها حاشيتها ، ويرعاها حراسها من المأجورين ، ويشرع فى الحديث عن ذاته ، ويصور ما فعل « الزمان » به مستهلا قوله بثلاثة أسطر شعرية لو قارناها بما جاء فى مطلع القصيدة للاحظنا أنها تحرص على التوازن فى عدد الكلمات ، والتطابق فى الأنساق ، لكنها تعطى صورة مضادة لما سبق ذكره عن الملكة ، مؤكدة بذلك البون الشاسع بين السلطة والرعية ! يقول الشاعر :

« دارت عجلات ستينى
بالأقدام الحافية الملتذة
أتحسس رطب الطين »

وفى هذا الطين الرطب ـ رمز الخصوبة ـ تحول الفتى الأسمر إلى غرس أخضر ، نما وترعرع ، فإذا به وقد صار ثمرة فريدة « فى آخر موسم / نفدت من سوقه تلك الأثمار » . . . ثم توجه من قريته « المنسيّة » إلى القصر العالى محمولا على الأعضان لا سائرا على الأقدام . . قامته الباسقة تجاوزت الأسوار . . وهامته الشامخة بلغت النافذة فتدلّى كالثريا يحمل « عطراً ونبيذا وحياة » . . . وحين صافحته عيون جلالتها أحسّ بلفح نظرتها وهى تتطلع إلى تلك القرابين الغضة الشهية ، وأدرك ما تحويه « عيونها » من فرحة ، من رغبة ، من جوع لكن سيدة القصر تجهل ملمس الطمى ، ولا تقدر الثمار المروية بالمياة والدماء مثل تلك التى تولّدت من اتحاد الانسان والأرض « تتشقق أقدامى / بخرج من أخدود القدم اليمنى / غرس أخضر » . . فيأتى فعلها وكأنه حكم بالإعدام . . .

لم تقرب « الملكة » تلك الثمرة الشهية : فلا هى أعطتها حقها ، ولا هى تركتها لتعود إلى قريتها . . . وإنما تغلبت على جلالتها غريزة الامتلاك فنادت الحراس الذين هرعوا لتنفيذ الأوامر . . .

« لتعلّق تلك الثمرة
ـ ممنونة
فى ردهة قصر الملكة »

هكذا تنتهى الحال بالثمرة إلى السجن ثم إلى الشنق المعنوى . . . وبهذا ايضا تنتهى تلك « المأساة » المكونة من ثلاث حلقات ، والتى بدأت بعين « ترقب » الركب الملكى فى صمت مبهورة . . . وتطورت فى شكل اسطورة من أساطير « التحولات » أو حكاية من حكايات الأدب الشعبى التى تخرج عن إطار الزمان وتحكى مغامرة أو مأثرة ابن الوادى الذى روى الأرض بدمائه الذكية فجادت بثمرة شهية أحرقتها الغطرسة الملكية . . . هذا ما نستخلصه من أقوال « الرواى » الذى يتدخل فى نهاية المأساة ليتبىء الجمهور بالمصير المحتوم للبطل الجسور . . . أو كى يلقى بتحذيره لصاحبة القصر علّها تتوب :

والثمرة
ـ ممنونة !
ستظل بردهة قصرك
لكن يوما ما
سوف تجف . . . !!

حقا ما أكثر الثمار التى تجف من سوء التقدير والجهل المتعالى الذى يقضى على الانطلاق المتسامى . . . وبهذه « النوتة » المتشائمة تنتهى الرسالة الموجهة إلى تلك المرأة « الفناء » التى قطعت صلتها بالطبيعة ـ الأم ـ فصارت خانقة كجدران القبر تذوى بين جنباته الأزهار وتزهق الأرواح ! . .

وإذا كانت المرأة فى المقطوعة الأولى هى تلك التى ينفلق الفجر حين تفتح عينيها وتصحو من رقدتها ، وفى المقطوعة الأخيرة هى من يحترق النبْت من سعير نظرتها ؛ فهناك امرأة بين بين يقدمها لنا الشاعر بواقعية ودعابة متمردة فى مقطوعة « من علّمنى » . هذه المرأة « الوسط » إنما هى « عين ماء » تنهمر عبر الجبال أو تتدفق من السماء . . تحيى موات الأرض فتجود بخيرها ، وتطهر النفوس من أدرانها . . . ولكنها إذا طغت تحوّلت إلى سيل جارف لا يبقى ولا يذر . . عين « خير » وأخرى « شرّ » ، تتجاور فيها الأضداد ، وتعكسان الوجه المشرق والوجه المرعب من الحياة ، والشاعر بينهما حائر ولهان من يتساءل من « علّمه » ذاك الحب البركان . . . ومن علّمه

« كيف يكون العشق الأكبر للانسان »

وهو بالرغم من ثورته التى لا تخلو من رنة أسف ونبرة ألم ، لايندب حظه ، بل يُسلّم بأن عشقه « الأكبر » هذا خير أو شرّ لابد منه : فهو الحياة ولا حياة إلا به . . . لذا نسمعه إذ يتوسل للمرأة بلهجة آمرة راجية ألا تتركه وما آل إليه ، بل تدركه وليكن مايكون :

«كنت البذر الجاف الملقى فى البيداء
لن ينبتنى مطر غيرك
كونى مطرا
كونى سيلا
إما أنبت
أو يجرفنى السيل وأفنى » ( صـ ٤٤ )

وختاما . . فأيا كانت الأفراح والأحزان التى تنبع من المرأة وتعود إليها ، وأيا كانت المحاسن والمساوىء التى ينسبها لها الشعراء والتى يعبرون عنها صراحة أو بالغمز واللمز والرمز ، فالمرأة بما تحويه شخصها من متناقضات ستظل دائما أبدا جزءاً من السر الأكبر للمخلوقات ، وسوف يظل الشعراء ـ مثلما فعل اسماعيل عقاب ـ فى بحث دائب عن تلك « العيون القادرة على البوح والعطاء » كى يروا العالم من خلالها ، فيخوضوا بفضلها تجربة الحياة ـ الشعر ، والمرأة ـ الشعر ، والشعر ـ الحياة !

القاهرة : هيام أبو الحسين

# الرؤية السياسية فى رواية « يوم قتل الزعيم »

حسين عيد

تثير رواية « يوم قتل الزعيم » لنجيب محفوظ ـ كما جرت العادة مع أى كتاب جديد من إبداعات الكاتب الكبير ـ العديد من الأسئلة الخصبة ، لعل أهمها يدور حول الرؤية السياسية فى هذه الرواية ، ومدى إرتباطها بالبناء الفنى ؛ من ناحية تحديد الزمن الروائى ، ومبررات اختيار المكان والشخصيات ، بما يكشف فى النهاية عن مدى توفيق الكاتب فى بلورة هذه الرؤية فنيا .

تبدأ الرواية بالعجوز « محتشمى زايد » المدرس السابق ، الذى شارف الثمانين ويعيش فى شقة ببيت صغير مع إبنه فواز وزوجته هناء ( يعملان فى إحدى شركات القطاع الخاص ) . يعانى العجوز من وحدته بعد أن ماتت زوجته فاطمة منذ خمس سنوات ، ولم يبق من أصدقاء العمر ، إلا صديق واحد ، فرقت بينهما متاعب الشيخوخة .

يعدّ العجوز ( منّبه ) الأسرة ، فهو أول من يصحو ليصلى مبكرا ، ثم يبدأ فى إيقاظ الآخرين ، وهو يعيش مصاعب الحاضر مستعينا بالورع والتقوى ، وقد يجتر حينا ذكريات وأحلام الماضى ، ويلعب ـ حينا آخر ـ دورا مرشداً فى حياة حفيده الشاب « علوان » فهو صديقه الأول ، بعد أن إنصرف عنه الأب والأم إلى العمل الشاق من أجل توفير دخل مناسب لإعالة الأسرة ، حتى مشاكل أخواته البنات كان الابن يقوم بحلها وإصلاح ذات البين وبين أزواجهن ، وعلوان يعبّر عن معاناته بقوله « فقدت أبوى بعد أن فقد أنفسهما فى عمل يتواصل من الصباح حتى المساء » .

وبفضل الجد محتشمى عُيّن علوان فى شركة أغذية ( قطاع عام ) فى ادارة العلاقات العامة ، مع محبوبته رندة سليمان ( زميلة الدراسة وجارة السكن ) ، والتى تعانى أسرتها من مشاكل مالية شبيهة بمعاناة أسرة محتشمى ـ بلغ الشابان ستة وعشرين ربيعا ، وهما مخطوبان منذ ثلاث سنوات ، لا حلّ لديهما لمشكلة زواجهما المادية ، فإمكانياتهما محدودة ، ولا يملكان إلاّ الحب والإصرار .

تعد هذه العلاقة المحور الرئيسى فى الرواية ، من خلالها تضطرد الأحداث ، وتتأزم ، حين يخطط مديرهما لإحراج علوان أمام خطيبته ، ثم يدعوه لإنجاز بعض الأعمال بمنزله ، وهو يسعى فى حقيقة الأمر لتعريفه باخته الغنية المطلقة ، المثيرة ، التى تحترم أن يترجم الإعجاب بها إلى زواج . وفى ذات الوقت تضغط أسرة رندة على علوان ـ بواسطة جده حين تزوره أمها ـ لتدفعه إلى التضحية من أجل محبوبته بالانفصال عنها ، لأنها ترى ( ويتفق الجميع على ذلك ) إن علاقتهما بلا أمل . ويقتنع علوان بحديث الجد ، ويتم فسخ الخطوبة ، فيقبل مديرهما ( أنور علام ) على الزواج من رندة ، التى تكتشف فيه وحشا باردا ، يطمح إلى القفز فى القطاع الخاص مستغلا ظروف الانفتاح ، محاولا أن ( يوظف ) زوجته لا ستقبال عملائه ، لكنها رفضت ذلك بشكل قاطع ، وطردتهم ، ثم كان الطلاق .

وسط هذه الظروف ( الخاصة ) القاسية ، يرتفع مدّ الظروف ( العامة ) ، حين ينتشر الحديث عن بوادر فتنة طائفية ، لينتهى الأمر فى سبتمبر ١٩٨١ ، بإلقاء القبض على عدد هائل من المصريين من مسلمين وأقباط ورجال أحزاب ورجال فكر ، بحجة إخماد الفتنة الطائفية ، لتتصاعد الأحداث وتبلغ ذروتها ، باغتيال الزعيم فى عيد نصر أكتوبر ١٩٨١ ، ليندفع علوان عقب سماعه خبر القتل من المذياع فى مقهى ريش ، إلى فيلا أخت مديره ، وقد تفجرت داخله كل شهوة للجنس ، وكل نزوع للاقتتال ، وحين يقابل مديره أنور علام ، يلكمه فى صدره صائحا « ياقذر ! » فينتزع أنور ويهوى على الأرض

صريعا . ليهرب علوان ويبلغ رندة بما حدث ، فتكشف له أنه كان مريضا بالقلب ، وكان يخفى سرّه عن زملاء العمل . ويعود علوان إلى أخت القتيل ، ويعترف لها بما حدث ، فيقبض عليه ، ويحاكم بتهمة ضرب أفضى إلى الموت ، ويدان ويحكم عليه بالسجن عدّة سنوات ، لتنتظر محبوبته ( رندة ) إطلاق سراحه ، وهو « صاحب حرفة يكون بها أقدر على تحديات الحياة وتحقيق آماله » .

الزمن الروائى :

إتخذت الرواية من الواقعية أسلوبا فنيا لها ، واختار نجيب محفوظ لها فترة زمنية محددة ( خلال عام ١٩٨١ ) ، ورصّعه بأهم الأحداث ( الواقعية ) الخارجية التى جرت فيه ، ومنها حملة الاعتقالات الواسعة لمختلف تيارات القوى الوطنية فى سبتمبر ٨١ ، ويوم السادس من أكتوبر ( يوم قتل الزعيم ) . فى تلك الفترة تمت الأحداث وتطورت ، مضطردة للأمام باستمرار ، وان قطع هذا الزمن الروائى ( التاريخى ) عودات أو رجعات تقوم بها الشخصيات للوراء ، لا سترجاع وقائع أو أحداث وقعت قبل ثورة ١٩٥٢ ، أو بعدها حتى عام ١٩٨١ .

إختيار المكان :

لعب اختيار المكان الذى تجرى عليه أحداث الروايات دورا هاما ، فى كشف الواقع الاجتماعى لشخصيات هذه الرواية . . فكيف أصبح ـ هذا المكان ـ عنصرا فاعلا فى تجسيد وتصعيد أزمة هذه الشخصيات ؟

كان بيت أبطال الرواية هو « أقدم وأصغر بيت فى شارع النيل » قزم وسط العمائر الحديثة ، حتى أن علوان وصفه بأنه « البيت القديم الضائع بين العمائر ، دسيسة بين الأغنياء »

هنا يعرّى المكان موقع أبطال الرواية الإجتماعى ، ويكشف ضآلة إمكانياتهم أو مكانتهم وسط واقع الاغنياء الحديث ، المتضخم بعماراته العملاقة ، والتى تبدو وكأنها تحاصر أو تكاد تخنق هذا البيت القديم بساكنيه ، حتى تحرمهم من موقعهم

وهذا المشهد يؤكد ـ فى ذات الوقت ـ على صراع ساكنى هذا البيت ذوى التأثير المادى المحدود ، وتناطحهم مع واقع الأغنياء الجارف ، المحيط بهم ، ويلحّ ـ أيضا ـ على عدم تكافؤ هذا الصراع ، فهو محسوم لصالح الأغنياء ( الأقوياء )

الرؤية السياسية فى الرواية :

تعتبر رواية « يوم قتل الزعيم » رواية صوتية ، لأنها قدمت فصولها الاثنين والعشرين بأصوات ثلاث شخصيات رئيسية هى :

محتشمى زايد ٨ فصول
علوان فواز ٧ فصول
رندة سليمان ( خطيبته ) ٧ فصول

فأتاح هذا البناء الصوتى الحرية لا نبعاث صوت الشخصيات الداخلى ، متحركا فى اتجاهات شتى ، ليعبّر عن الحاضر ويعلق عليه ، مستعيدا ـ فى ذات الوقت ـ ما يرتبط به من وقائع ماضية . كل هذا يثرى الرواية بوجهات نظر متعددة ، وينمى اتجاهها أيضا ؛ فالجد بعمره المديد الذى قارب الثمانين ، وما شاهده من أحداث سياسية جسيمة من تاريخ الوطن ، ثم ما يعيشه ويعانيه من واقع ( راهن ) صعب ، جعل منه اداة جيدة ، باهرة ، قدّم نجيب محفوظ بواسطتها ( أو لعله توارى خلفها ) كافة إنطباعاته عن الحياة السياسية قبل وبعد الثورة . كما كانت شخصية علوان عينا أخرى . ذات منظور مخالف ، مغموسة فى هوس الواقع إلى حد الجنون ؛ فقد أعلنت خطبته فى عهد عبد الناصر وواجهته الحقيقة فى عصر الانفتاح . كما أكملت رندة دائرة التعدد فى وجهات النظر ، برؤيتها الخاصة المغايرة ، الهادئة ، العاقلة . .

وفيما يلى بعض وجهات نظر هذه الشخصيات :

● المقارنة بين عهدى عبد الناصر والسادات :

ـ قال محتشمى « إن قاموسك لا يحوى إلاّ بطلا شهيدا واحدا . قضيت فترة متلقيا مسحورا ، وتقضى الأخرى متحسرا حائرا »

ـ قال علوان إحنا الشعب إخترناك من قلب الشعب . والحب كان « باقة من الورد فى قرطاس من الأمل : فقدنا زعيمنا الأول ومطربنا الأول . ويخرجنا من الهزيمة زعيم مضاد فيفسد علينا لذة النصر . نصر مقابل هزيمتين إخترناك من قلب الشعب » .

ـ قال علوان « لم أشك فى كل شىء ؟ منذ تهاوى مثلى الأعلى فى ٥ يونيه »

ـ وحين يفلسف علوان المقارنة ويوجزها يعبر بقوله « نحن قوم نرتاح للهزيمة أكثر من النصر ، فمن طول الهزائم وكثرتها ترسبت نغمة الأسى فى أعماقنا ، فاحببنا الغناء الشجى والمسرحية المفجعة والبطل الشهيد . جميع زعمائنا شهداء : مصطفى كامل شهيد الجهاد والمرض ، محمد فريد شهيد المنفى ، سعد زغلول شهيد النفى أيضا ، مصطفى النحاس شهيد الاضطهاد ، جمال شهيد ٥ يونيه ، أما هذا المنتصر المعجباتى فقد شذّ عن القاعدة ، تحدانا بنصره ، القى فى قلوبنا أحاسيس وعواطف جديدة لم نتهيأ لها ـ وطالبنا بتغيير النغمة التى ألفناها جيل بعد جيل ، فاستحق منا اللعنة والحقد ، ثم غالى بالنصر لنفسه ، تاركا لنا بانفتاحه الفقر والفساد ، هذه هى العقدة »

● التناقض بين الأحلام والشعارات وفساد الواقع :

ـ قال علوان « فوق ذلك تهيم أحلام الإصلاح . تجىء من فوق أو من تحت بقرارات أو إنتفاضات . معجزة العلم والإنتاج ـ لكن ما الحل مع ما يقال عن الفساد واللصوص ؟

ـ وقالت رندة « زمن شعارات مقزز . حتى الراحل البطل لم يغف عن ترديد الشعارات وبين الشعار والحقيقة هوّة سقطنا فيها »

ـ وقال علوان « علمنى زمنى أن أفكر . علمنى أيضا أن أستهين بكل شىء وأن أشك فى كل شىء . ربما قرأت عن مشروع منعش للآمال وسرعان ما يكشف المفسرون عن حقيقته فلا يتمخض عن أكثر من لعبة قذرة »

● نقد عهد السادات :

ـ عندما سأل علوان جده لماذا يشاهد فى

التليفزيون فيلما لا يحبه أجابه « فى القناة الأخرى خطبة »

« ـ ولم لا تغلقه ؟

ـ هو خير من لا شىء »

ـ إنتقد محتشمى إجراءات سبتمبر ٨١ ، ما هذا القرار أيها الرجل ؟ ! تعلن ثورة ١٥ مايو ثم تصفيها فى ٥ سبتمبر تزج فى السجن بالمصريين جميعا من مسلمين وأقباط ورجال أحزاب ورجال فكر ؟ لم يعد فى ميدان الحرية إلا الانتهازيون .. فلك الرحمة يامصر »

فى هذه الرواية نلاحظ أن نجيب محفوظ كان موفقا غاية التوفيق فى ابراز الرؤية الإجتماعية فى روايته حين تضافر حسن إختياره للمكان المحاصر بالأغنياء ، ودقة اختياره لفترة زمنية فاصلة فى مدّ إرتفاع الأسعار والغلاء ، إلى جانب تنويع اختياره لشخصيات نجحت فى أن تجسّد هذه الرؤية الإجتماعية بشكل ضاغط ، حاد ، وعنيفا ، من خلال حصار علاقة حب مشروعة ( بين علوان ورندة ) والنيل منها ، بمحاولة الإ جهاز عليها وتدميرها .

أما الرؤية السياسية فلم تكن مبلورة فى الرواية بذات المستوى ، حيث اقتصرت على الانطباعات الناقدة للأوضاع السياسية ( والتى قدمنا نماذج منها ) ، والتى تناثرت كأقوال ( مجرد أقوال ) على لسان الشخصيات على مدار الرواية ، فلم تشكل لحمة أساسية من نسيجها الحى ، فجاء تأثيرها الفنى ضئيلا على القارىء .. كما يلاحظ أن شخصية علوان قد توازت مع الجد من الناحية السياسية ، فكلاهما ناقم على ما يجرى أمامه وإن إختلفت الدوافع . كما يلاحظ أيضا أن حادث قتل الزعيم قد توازى مع حادث القتل الذى ارتكبه علوان ، دون أن يقصد ( هكذا توحى الرواية ) ، وكأن كلاهما وليد صدف الدنيا الغريبة ( وهى من تيمات نجيب محفوظ الأثيرة لديه ) ، فالزعيم ذهب مزهوا يحتفل بنصره بين ابنائه الجنود ، فكان مصرعه على ايديهم . وكذلك ذهب علوان إلى فيلاجولستان مترعاً برغبة جنسية متحدية جارفة ، فاذا به يواجه بجريمة تودى به إلى السجن .

أمّا الظل الأخير الذى حاول نجيب محفوظ أن يدعم به بناءه الفنى ، فهو شخصيتا « محمود المحروقى » ( الذى دفن شهادته وتعلم مهنة السباكة ، وراح ينادى فى الطرقات ، كما اتخذ من الاسلام منارا وهادياً ) والثانية « علياء سميح » ( إستاذة الجامعة المتمسكة بالمبادىء بإصرار رغم الواقع المتدهور حولها ) .. فقد ظلت هاتان الشخصيتان باهتتين ، نائيتين ، غير مؤثرتين فى الأحداث ، رغم محاولات الكاتب إقحامهما باستمرار فى المسار الروائى .

مما سبق يتضح أن نجيب محفوظ طمح إلى تقديم بانوراما لفترة قتل الزعيم ، فنجح فى ابراز شقها الاجتماعى ، وجانبه التوفيق فى تضفير جانبها السياسى فنيا ، وإن نثر فى الرواية العديد من الانطباعات والآراء الجريئة .

القاهرة : حسين عيد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

محمد سليمان

قصة

# صورة الكلب

صرخت المرأة فى حنق :

ـ أنت ياعبد الغفار .. ياعبد الغفار ! ألن تجد حلا لهذا الكلب الجربان ؟ . أكلما طردناه عاد من جديد .. كلب هذا أم ( شيخ حارة ) إنها كارثة والله وحلت بنا .. أما كفانا المرض الذى أصاب الأولاد ؟

وكظم الرجل غيظه بصعوبة وهو يسمع صراخ زوجته من الحجرة المجاورة .. استغفر الله فى سره وعاد يمسك بالقلم مرة أخرى ليكتب .. فجأة أتاه صراخها من جديد أكثر حدة من ذى قبل كأنما أثارها صمته .. وهنا ألقى بالقلم جانبا وصاح بها فى غضب :

ـ ماذا حدث ياامرأة ؟ ماذا حدث يانفيسة يابنت دسوقى .. أهى القيامة قد قامت ؟ ما لى أنا والكلب !.

ـ كيف .. ؟ ألست أنت الذى جئت به ؟ بدلا من التلفزيون أو الثلاجة .. تحضر لنا كلبا !

ـ صه .. كفى لسانك السليط وإلا .. كان سليما معافى عندما جئت به ..

فوجئت المرأة بلهجته الحادة الغاضبة التى لم تعهدها منه من قبل ، أدركت على الفور أن ثمة أمراً هاماً يشغله ويسبب له هذه العصبية ، فلاذت بالصمت إيثارا للسلامة . وبادر « عبد الغفار » بوضع نظارته الزجاجية السمكية فوق أنفه ومضى يقرأ ما كتب بصوت خفيض : « السيد المحترم وكيل عام ديوان الوزارة .. تحية الاحترام والتعظيم وبعد .. مقدمه لسيادتكم خادمكم المطيع عبد الغفار عبد ربه النعناعى .. أتشرف بأن ..

وفجأة توقف عن القراءة وأزاح نظارته عن عينيه ثم تناول ممحاة راح يمحو كلمة ( المحترم ) ليكتب بدلا منها كلمة « المبجل » فكن دلائل عدم الرضا ظلت ترتسم على وجهه فقال محادثا نفسه :

ـ ولم هذا التقتير ؟ إننا لن ندفع شيئا من جيوبنا .. لنكتب الكلمتين .. المحترم والمبجل أى خسارة فى هذا ؟

عندئذ طافت بوجهه دلائل الرضى والارتياح فلم يلبث أن استأنف قراءته بنفس اللهجة الخفيضة : أتشرف بأن أرفع مذكرتى هذه لسيادتكم راجيا النظر إليها بعين الرأفة ، إننى قد عينت بديوان عام الوزارة منذ حوالى عشر سنوات بالدرجة التاسعة بالكادر الإدارى ، وحتى الآن لم أحصل على حقى فى الدرجة التى تليها رغم .. ومضى يتمتم ببقية المكتوب فلم يجد ما يستوجب التعديل أو الإضافة حتى بلغ نهايته فاختتم قراءته قائلا بتؤدة كأنه فى حضرة من سوف يقدم له الالتماس .. وتفضلوا سيادتكم بقبول وافر الشكر وفائق الاحترام !

وما إن فرغ من سرد مذكرته حتى تناول ورقة بيضاء جديدة راح يسطر عليها التماسه بخط واضح متأنق بعد أن أطمأن لصيغته .

وفى الصباح ما أن بلغ مقر عمله بالوزارة حتى بادر باحتساء قهوته ثم مضى من فوره فطرق باب حجرة رئيسه المباشر بعد أن

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

رسم فوق شفتيه ابتسامة عريضة . . قدم له الالتماس فى صمت وخشوع ولبث جامدا فى مكانه حتى فرغ من قراءة مضمونه على عجل ثم دسه فى أحد الملفات أمامه قائلا بلهجة محايدة :

ـ حسنا ياعبد الغفار أفندى . . سوف أرفعها بدورى لسيادة وكيل الوزارة ونأمل خيرا بإذن الله . .

وعلى الفور انسحب « عبد الغفار » ولسان حاله يلهج بالشكر والثناء . وتوالت الأيام ثقيلة حتى عاد ذات يوم إلى بيته ومشاعر الغبطة ترفرف على قلبه والأمل العظيم يجتاح كيانه الهزيل ، فقد استطاع بطرق ملتوية أن يعرف أن كشفا بأسماء الذين سقطت درجاتهم ويطالبون بها ، معروض أمام وكيل الوزارة وهو على وشك أن يتخذ بشأنه قرارا بين لحظة وأخرى . . أحلام كثيرة عانقت خياله طوال الطريق إلى بيته كلما تماثلت أمامه الدرجة الثامنة . لن تكون هناك مشاكل بعد ذلك . . أجل . . لن يتراكم عليه إيجار الشقة التى يقطنها ولن تطرد ابنته الصغرى من المدرسة لعدم سدادها باقى المصروفات ولن ولن ولن . . وأيضا زوجته . . تلك الصابرة الصامدة لا ينبغى أن يغفل مطالبها ، يجب أن يشترى لها فستانا جديدا لتحضر به خطوبة ابن أخيها فتظهر بين أقاربها بالمظهر اللائق . . كذلك يستطيع أن . . لكن لا . . هذا كثير . . ليس هذا بالأمر السهل فالتليفزيون يحتاج شراؤه لمبلغ ضخم قد لا يتوافر لديه إلا بعد فترة طويلة . . لا بأس ليرجئ هذا إلى ما بعد إشباع مطالبه الأخرى وحتى لا يرتكب مخالفة . آه . . آه لو يعود فى الصباح ليجد بانتظاره خبر نيله الدرجة الثامنة . . ولم لا ؟ . . ما الغريب فى هذا . . لقد سبقه إليها زميل وكان وقع المفاجأة عليه مثيرا للضحك فلم يتوقع حدوثها بهذه السرعة . . إذن فالمسألة مسألة وقت لا غير !

وبلغ البيت فما كاد يطأ الشقة حتى فوجىء بزوجته تعاود صراخها إذ رأته :

ـ ها هو الكلب قد عاد ثانية ! . سرّبناه بالأمس وفوجئنا به اليوم قابعا بجانب الباب . . أيعجبك هذا ؟ ما العمل إذن فى هذا الكلب ؟ أما كفانا قرف العيش ؟

قال وهو يلقى بالجريدة جانبا والعرق يتصبب من جبينه :

ـ هدئى من روعك ياعزيزتى ولا داعى للصراخ . . سوف آخذه بنفسى فى الصباح الباكر إلى مكان بعيد لا يمكنه العودة منه ولو علق ردارا فى أنفه الأحمر !

وألقى بجسده المنهوك فوق كرسى واستطرد :

ـ كل المطلوب منك أن تربطيه بحبل من رقبته وتتركيه فى السطح حتى الصباح . . والآن . . جهزى لنا الغداء فإن أمعائى تتقلص من فرط الجوع . .

* * *

فى صباح اليوم التالى نهض مبكرا فارتدى ثيابه على عجل وغادر مسكنه مصطحبا معه الكلب . راح يسلك به طرقا ملتوية ليتفادى نظرات المتطفلين ما أمكنه ، حتى بلغ المنطقة الصحراوية القريبة من مقر عمله بالوزارة ، وأحكم وثاقه إلى إحدى الصخور ، غير عابىء بنظرات الذل المنبعثة من عينيه ولا الأصوات الغريبة الصادرة عن فمه المفتوح ، وكأنها شكوى خرساء احتبست كلماتها فى حلقة .

تنفس الصعداء وعاد يضرب فى الرمال حتى وصل إلى مقر عمله بالوزارة وقد جاوزت الساعة الثامنة صباحا . ذهب من فوره فطرق باب حجرة المدير معتذرا له عن تأخره ، لكن هذا لم يول اعتذاره أهمية واعتدل فى كرسيه قائلا :

* لا عليك ياعبد الغفار أفندى أنت رجل مواظب على مواعيدك طوال عمرك ، المهم أريد أن أقول لك إن البك وكيل الوزارة سوف يمر على الإدارات والمكتب فى جولة استطلاعية يتعرف بها على انتظام العمل والعاملين ، وطبعا لن أوصيك !

وبادر عبد الغفار قائلا بحماس :

* لا تقلق ياسيدى وكن مطمئنا . . سيكون كل شىء على ما يرام . . وانسحب على الفور من الحجرة وقد استبدت به فرحة طاغية إذ لا شك أن التماسه موجود أمام وكيل الوزارة . . وأن هذه الجولة سيكون فيها تذكرة غير مباشرة به خاصة عندما يقدم له نفسه .

* أريد أن أبلغكم أن سعادة وكيل الوزارة سيمر فى جولة استطلاعية يتعرف فيها على انتظام العمل بالأقسام ، لذا أرجو أن يقوم كل منكم بترتيب مكتبه بقدر الإمكان ولا داعى لهذه الملفات المكدسة أمامكم . . يمكنكم وضعها فى الدولاب بصفة مؤقتة حتى تنتهى الزيارة .

وبدأت على الفور حركة ترتيب وتنسيق شملت المكاتب والدواليب وغيرها ليبدو المكان خاليا من أكوام الورق والدوسيهات التى كانت تحتشد به ، باستثناء بعض الملفات التى اقتضتها ضرورة العمل والحفاظ على المظهر ! وتوالت الساعات بطيئة ثقيلة وعبد الغفار أفندى غارق فى أحلام الدرجة لا تكاد عيناه ترتدان عن مدخل الحجرة حتى تعاودان التطلع إليه من جديد . . كانت أعصابه شديدةالتوتر وهو يترقب تلك الزيارة التى لا شك يتوقف عليها مصير الدرجة المفتقدة ! الركب فى الطريق إليهم .

كان مكتب « عبد الغفار » أفندى يقع فى مواجهة مدخل الحجرة مباشرة لذا أمكنه أن يلمح الركب المصاحب لوكيل الوزارة وهو قادم عن بعد ، وإمعانا فى الحفاوة والاحترام استقر عزمه على أن يبادر بمغادرةمكتبه حين يصبح ركب الوكيل على مقربة من حجرته ، أى عند رأس الدرج المجاور له .

وتهادى الركب الذى شمل حشدا من المديرين والرؤساء يتقدمهم وكيل الوزارة حتى غدوا على مقربة من الدرج ، عندئذ هب « عبد الغفار » من مكتبه على عجل وقد انفرجت شفتاه عن ابتسامة عريضة ليلتقى بالموكب عند رأس الدرج ، تماما كما حسب وقدّر ، وسرعان ماتقوس ظهره فى انحناءة شديدة وهو يبسط يده ليصافح وكيل الوزارة فى حرارة من يعرفه من مائة عام ! وكان قد استعد لهذه المناسبة الخطيرة ببضع كلمات رياء حفظها عن ظهر قلب ، لكنه ما كاد يفتح فمه ويهم بالقاء خطبته العصماء حتى احتبست الكلمات فى حلقه وأصابه الوجوم . . إذ فجأة تداعت إلى مخيلته صورة الكلب الجربان وهو يتطلع إليه بتلك النظرات الذليلة ، والأصوات الغريبة التى كانت تنبعث من فمه المفتوح ، وكأنها شكوى خرساء احتبست كلماتها فى حلقه !

القاهرة : محمد سليمان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

# قصة | الـــزاد

سحبت كرسيها القديم من ركنه المعتم تحت السلم ، وهى تدمدم :

ـ حلف لى « مهنى » أنك هربت من الشغل أمس ... أهذا صحيح ؟

هدرت من خلف جدتى حانقا :

ـ كذب عليك

التقطت عصاها المركونة على باب الحجرة . . واتكأت على كتفى بكوعها النحيل ، لتخطى عتبة البيت بساقها العليلة متوجعة . .

زأرت مستديرة تحرك الكرسى بيدها القوية .

ـ ضربك إذن !

ألقت بنفسها على الكرسى الذى أسندته إلى الحائط بجوار الباب ، هادرة بالسخط لغياب الحلاق العجوز الذى يجىء ليلصق دود العلق بساقها ، فيمتص منها الدم ، ليخف الألم . .

بقيت ملامحها متوترة مهمومة بى . .

قلت شاكيا :

ـ أوقعتنى لطماته على الأرض . . جريت هاربا . .

(حملقت عيناها فى صوق المنكسر . . زمجرت :

ـ أنا قاعدة هنا أنتظره !

استرسلت فى شكواى ، وعينى على كرسيها المنجد ومسنديه المكسوين بالقماش المتهرىء . .

هزت رأسها متوعدة :

من أجل فنجان القهوة الذى انكسر يضربك .

ـ غصبا عنى . . وقع من يدى وأنا أرص الفناجين كلها والأطباق فى قفص الجريد . . بعد انتهاء ليلة المأتم . .

توقفت نظرتى على كتفى الكرسى المبقورين يبرز منهما حشو شرائح السعف اليابس ، وتتهدل المزق على جانبيه . .

ـ نمت بجوار القفص والليل بارد على سكة القرية . . انتظر الكارو التى تحملنا إلى المدينة . . حتى صحوت فى الفجر على رفسة « مهنى » وشتائمه . .

ـ الكلب !

أقعيت على العتبة بجوار جدتى ساكتا . . ثم بدأت أحكى لها عن الترعة التى خضت ماءها الضحل للبر الآخر ، الذى تمشى فيه عربات الأوتوبيس ، لأركب إحداها قبل أن يلحق بى « مهنى » . . والكمسارى الذى أوقفنى على قدمى فى العربة طوال الطريق ، حتى لا أقعد بطين الجلباب على مقعد . .

أرسلت الى وجهى نظرة عميقة . . همهمت :

ـ لو تكبر أرتاح ! . . ستحمى نفسك . .

ثم زأرت :

ـ سأجره ، من رقبته بهذه العصا !

هزت فى فضاء الزقاق عصاها المنحنية الرأس . خلتها تطول باب « مهنى » المواجه . .

دسست يدى فى جيب جلبابى :

ـ أعطانى نصف جنيه من الفلوس التى قبضها هناك . .

نظرت فى استخفاف إلى الورقة فى يدى وأنا أمدها لتأخذها . .

ـ اللص !

هزت رأسها :

ـ أبقها معك .. أشتر بها ما تريد ..

تعلقت عيناها بوجهى متحسره :

ـ ذنبك فى رقبتى .. توانيت فى تعليمك صنعة .. خفت أن يقهرك أحدهم .. لماذا لم تحب المدرسة ؟

رددت فى ضيق :

ـ لم أحبها وكفى !

هزت رأسها بغير اقتناع !

ـ وافقتك ألا تذهب عندما بكيت لى .. حمارة !

مالت على تشد أذنى مؤنبة :

ـ يا ابن الذى أنت ابنه ! .. من يرى دموعك يومها لأشترى لك الحقيبة الغالية .. يظنك تلميذا ولا كل التلاميذ !

خلصت أذنى من يدها ، سارحا لحظة فى صبح ذلك اليوم ، وأنا أعلق فى كتفى مبتهجا ذراعىّ الحقيبة الطويلة ، وأدخل المدرسة متباهيا بها ..

غمغمت جدتى فى أسف :

ـ رمينا ثمنها على الأرض !

خطر لى فى التو أن أبيع لأحدهم الحقيبة لأعيد إلى جدتى النقود ..

ـ سأكلم واحدة من زبائنى ولدها خراط .. يمكنه أن يعلمك الصنعة فى الورشة التى يشتغل بها ..

نظرت الى مؤكدة :

ـ يأخذ أجراً عاليا .. هو الذى يعطى لأمه أقساط ثمن « السمن » الذى تشتريه منى ..

هززت رأسى رافضا :

ـ لا أريد صنعة .. أحب أن أبيع وأشترى فى دكان ..

قالت مقهقهة :

ـ دكان ؟ ! وأنت صغير هكذا ؟ ! .. تبيع فى الدكان ماذا ؟

ـ لا أعرف ! .. أراك تبيعين للناس وتقبضين الفلوس .. وتعديها .. توقفت عندما غاضت ابتسامتها ..

تمتمت بعد لحظة صمت ..

ـ الكسب لم يعد كما كان .. نعيش الآن بالستر ..

نظرت بعيدا صامتة .. فيما تخيلتها مستمتعاً وهى تستخلص « السمن » من الزبد الذى تغليه فى الإناء الكبير طويلا على الموقد .. ثم تغرف لى من رغوته الطافية صحنا صغيرا ألتهمه بالخبز ملتذا ..

قالت كنا نعيش عيشة رضية .. نسكن بيتا لائقا .. الفلوس فى يد جدك تسند الظهر .

سبحت عيناها فى فضاء الزقاق ..

كان كنا نقضى أوقاتا حلوة .. يأخذنى ليال إلى مغنية شهيرة نسمع غناءها ونستمتع .. غنت ليلة وعلى رأسها شمعدان عال ، تتوسطه شمعة مرتفعة « ياشمعة العز إيدى .. أنا أشتريتك بأيدى » .. صفقنا وهللنا .. وانفض الحفل عندها .. فقدت نفسى .. أمسكت بخناقه « يا مبذر » ندفع الجنيهات كلها لسماع غنوة واحدة ؟ ! .. ثم أدار لنا الزمن وجهه العكر !

أطلقت نظرة حادة تجاه مدخل الزقاق والشمس تشحب هناك .. هدرت :

ـ لم يجىء بعد !

صوبت إلى حائط « مهنى » نظرة مهددة :

ـ لو أنه داخل البيت لكسرت الباب !

رشقت نظرتها الغاضبة أبواب البيوت وقالت متهكمة :

ـ الكل فى الداخل يموتون فى هذه الساعة .. هل تسمع صوتا !

تأملتها : لمن تذهب بثوبها الأسود ، وشالها الملقف حول رأسها ، لتعزى فى أموات الزقاق ؟

لكزت جانب رأسى فى رفق بكوعها :

ـ تكبر فى بطء !

دقت الأرض بعصاها :

ـ لا أغمض عينى فى الليل قبل أن أراك أمامى كبيرا .. يبقى الحلم معى حتى أقوم فى الصباح ..

شعشعت عيناها بابتسامة :

ـ لكنى أجدك بجوارى تنام صغيرا !

نظرت أمامها وقالت ، كأنما تسأل شخصا نافذة الصبر :

ـ المخفى أين راح !

انفجر صياحها فجأة كالهواء :

ـ يا مهنى أين ذهبت ! .. وأنت شيخ حارة كنت تخوف الزقاق بالمأمور والضابط والعسكرى .. توالس على الحكومة مع أنفار القرعة والمختبئين من الجهادية ، وتقبض الجنيهات .. أعطاك الزمن المقلوب دكان الفراشة . تسقى القهوة فى المآتم وتغتال أهل الميت وتملأ بالفلوس جيبك .. مهنى ! لا أحد سيبعثر كرامتك فى الزقاق غيرى ! .. تقهر الولد ؟ !

احتضنتنى عيناها ثم كلمت نفسها بصوت عال :

شخصت بعينى إلى سطح بيتنا بطابقه الواطىء ..

ـ هبطت إلى أعواد الخشب العارية والبوص المدهوك بالطين .. هل الآخرون مثلنا ؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

التفت إلى جدتى لإسألها ثم أشفقت . . أدرت وجهى صامتا . . كنت أتوق لأرى مهنى مضروبا بعصا جدتى . . واقعا أمامها على الأرض كما وقعت أمامه . . لن ترحمه . . لو حاول الإفلات منها لقعدتها فى كرسيها ، سأرتمى على ساقيه أتعلق بها لأمكنها منه . . .

انفلت من جوارها لأرضىء المصباح الغازى ، فصاحت تحذرنى من ظلمة الحجرة . . عدت مسرعا وأقعيت على العتبة ساكنا . . ممتلئاً بالكآبة . .

وعينها على باب مهنى قالت :

ـ ما كان يجب أن أرضى باشتغالك عنده . .

مضت لحظة صمت قبل أن أقول منطلقا بخيالى :

ـ فرحت بالسفر الى القرى . . وسقى القهوة فى المآتم . .

أرخت عينها على وجهى مشفقة :

ـ ولم تعرف كم هو قاس . .

نظرت إلى وجهها لمحة وأطرقت . .

ـ ضربتك ذات يوم وأنت صغير . .

حدقت فى وجهها مستطلعاً . . كانت تنظر أمامها تسترجع ذلك اليوم : أرض الحجرة المدهوكة بالزبد الذى جمعته يومها من السوق لتسهر عليه الليل . . بعصه الآخر أقعد أمامه جنب السرير أصنع منه معجنة . . علبة الفلفل المطحون فى يدى انثر على الزبد مسحوقها الأسود . . أعطى للوائحة فيتناثر الرذاذ وأعطس ولا أتوقف « كيف طالت يدك العلبة من ركنها فوق الرف ؟ ! » . . أغفلتنى عينها ساعة العصر فى غفوة قصيرة . .

ـ كان يوما صعبا . .

سكتت فى حزن عاشته يومها . . فيما حلقت نحوها أسمعها وأتخيل : بكت كثيرا ساعتها . . كانت اقترضت ثمن الزبد لتتكسب قرشا . . فى الليل وأنا فى حضنها نائما تحسست فى ذراعى وساقى أثر الخيزرانه وبكت أكثر « كيف ضربتك بقسوة وأنت صغير لا تعرف ! »

مالت الى جنب فى كرسيها تردد متوجعة :

ـ الاحتياج . .

حملقت خلف كلمتها الشاكية عاجزا . . انتهبنى الأسى . .

ـ جاءنى أبوك ليأخذك قلت لا . . دعوه لى . . أنا أولى به من زوجة أبيه .

انحطت يدها على رأسى حانية :

ـ قلت لأبيك « كلما اشتقت إليه تعال لتراه . . ستجده عندى . . عندى دائما »

انسحبت يدها متثاقلة . . فى غيمة تظلل عينى ، لم أر اليد ترتفع الى مسند الكرسى عائدة إلى موضعها . . وإنما أحسستها مدلاة فى جانبى . . تلامس كفها الساكنة عظمة كتفى . .

مسحت الدمعة ونظرتى تنجذب لمدخل الزقاق ، لعلها قادمة تلك ذهبت . .

التقطته عينى متجها نحونا . .

نهضت منتفضا أهتف بجدتى . .

ـ ها هو جاء !

حدقت فى مزمومة الشفتين بنظرة ثابتة . . ورأسها مسند إلى الحائط دون حركة . .

ارتطمت ساقى بساقها فلم تتوجع . .

حملقت مرتعدا ، ثم ارتميت بركبتى فى حجرها أهز كتفيها . . أنكفأ رأسها على صدرى ساكنا . .

عن يسارى أطلت رؤوس من النوافذ الواطئة فى ذيل الزقاق . .

انفتحت كف جدتى فهوت العصا ساقطة . .

خلفى توقف مهنى وعيناه تثقبان ظهرى . .

احتضنها بقوة مرتعبا . . أدارى عنه وجهها . .

أخاف لو عرف !

القاهرة : محمد كمال محمد

قصة

# في الخلاء

شُيّد في الخلاء ، منعزلاً ومتباعداً عن المدينة الصغيرة فوقف شامخاً ، ناصعاً ، محدد الكيان والملامح ، متوحداً ، ومكتفياً بذاته .

وحين تفسح البيوت مكاناً بينها وتناديه ليأتنس بسمرها الودود يتناءى ، يرنو إليها من علياء كبريائه المستخف وهي تتقارب وتتزاحم فتبدو صغيرة ، ضئيلة ، يفقدكل منها بعض ملامحه ليشكل مع غيره كياناً كبيراً ، شبه دائرة كبيرة .

وعندما تشرق الشمس يستقبلها وحده ، يعطيها وجهه ، ويكتسي بأشعتها ، ويتشرب حرارة دفئها ، وفي المدينة يحاول كل بيت أن يسترق النظر إلى الشمس ، أن يأخذ مزقة من ضوئها وجرعة من دفئها .

وفي الظهيرة لا يمد ظلاً لأحد ، يسخر من البيوت وهي تلد الظلال ، وحين تميل الشمس بعيداً عنه يتشبث بها ، يحاول أن يستبقيها ، أن يأسرها فوق قمته ، وحين تستعصي عليه يشيح بوجهه ، وحين يراها تحنو على المدينة يدير للمدينة ظهره .

وفي المساء يوقد مصابيحه ، يضمها ويزهو بها مؤتلقة متفردة ، وساخراً يضحك من الأضواء البعيدة وهي تتقارب وتتهامس ، وتحاول أن تشكل عقداً واحدا .

يتوقد الصيف ويلفحه صهد الخلاء ، ويمتص الجفاف نداه فتفرش له البيوت ظلا بينها ، وتناديه ، تدعوه ليتفيأ نداوة قربها فيتشامخ ويتعالى .

وتجلده ريح الشتاء ، تدفع به إلى المدينة فيقاومها في عناد شرس ، وحين يسمع همس البيوت الحنون يناديه ليستدفىء بالقرب الحميم يصم أذنيه ، ويضحك من التحامها القطيعي .

وذات مساء تقترب الأنسام ، ترف ، تتراقص حوله فيستعذب طراوتها ، ويغبط نفسه ، يقول لنفسه إنه لو كان في حصار البيوت لما تندت أضلاعه كلها ، وواثقا وسعيدا يحلم في الليل .

تتكاثف الأنسام ، تمتلىء ، تخلق هبات هواء ، وتقترب الهبات ، تربّت أضلاعه ، تتلاعب حوله فينتشي ويرفع رأسه ، ويوغل في أحلامه السعيدة .

تتعانق هبات هواء ، تتخاصب في قلب العتمة ، تلد ريحاً طفلة ، وفي استحياء تقترب الريح الطفلة ، تتموج حوله فلا يأبه لها .

تنمو الريح ، تتخلق في قلب الريح الدوّامات ، وتندفع الموجات ، تلتطم بالجدران فتصدها الجدران في برود .

تتراجع وتزوم ، ترمقه بغيظ ، يغضبها سموقه ، يتولد في قلب الريح غيظ الدوامات ، يدوم غيظ الدوامات ، تندفع الريح ، تهم بصفعه فتمزقها الجدران ، ويتضاحك في صخب وحشي .

تتقارب أشلاء الريح ، تتوجع وتئن ، ترمقه بغل عاجز

وتبصر بالمدينة الصغيرة فيرتجف فيها نبض حياة وتسرع صوب البيوت .

تستشعر البيوت دبيب اقتراب الريح ، تتنادى ، تتقارب وتتماسك وتشكل سدا .

تسخر منها الريح وتصف قواها ، تستعر منها ، ويحقد العاجز تهجم هجمتها فتتكسر عند السد .

تتقهقر ، تستأسد وتعاود هجمتها فيمزقها السد الهادىء ، وتندفق منها بعض الموجات فى شوارع المدينة .

تبتلع الشوارع موجات الريح المنسربة ، تحصرها ، تستنزف منها قواها ، وتشتتها .

وتتفرق مزق الريح ، تتسكع ، تتوه فى الطرقات ، تتمسح بالعتبات ، وتتراجع فى وهن ، وتعبث بالأوراق وبالنفايات الهشة .

تتجمع بقايا الريح المنهزمة ، تتراجع أمام توحد الجدران ، تتقهقر فى يأس خائف ، ترتد اليه وتلقاه وحيدا وتحاصره ، وتزأر وتزأر وتهاجمه بقوة ، تصفعه وترج الباب .

يشمخ فى قلب الريح ، تشدد الريح حصارها ، وتصفعه بشدة ، وتشفق عليه البيوت ، تود لو تبعث مددا ، لو تأخذه من قلب الريح المجنونة .

تصفعه كفوف الريح بقسوة ، تلطمه بغل ، تهز خصاص نوافذه فتصطك نواجذ الباب فى غيظ عصبى وتناديه البيوت فيتشامخ ، ويتماسك فى قلب الريح .

تأخذ الريح مدداً من دوامات الرمل ، وتزأر وتصفعه بقوة فتسقط نافذة منه .

يرجفه الخوف ، يتماسك ، تصفعه الريح فيزمجر ، وتحتشد الدوامات ، يتخلق إعصار هائل وتسقط نافذة أخرى .

يرعشه الخوف ، يتراجع فتحصره الريح ، تأسره وتصفعه بعنف .

يستبسل فى قلب الريح ، ينادى لكن صوته مبحوح عاجز ، تصفعه الريح بقسوة منتصر ظافر ، تطفىء كل عيونه ، يتخبط فى الظلمة ، وتكتم الريح ضحكات شماتة ، وتتوالى الصفعات ، تتلاحق ، وتسقط كل نوافذه وتندفق جحافل الريح بقلبه .

يتمايل فى ذعر ، يتراجع فتأسره الريح ويشل . .

وتحتشد الريح أمام الباب ، يتقوى الباب ، يتماسك ويصد ، وتضحك منه الريح ، ترقص رقصتها المجنونة ، يرتعش الباب ، يتخلخل ، وتضربه الريح فيتهاوى .

تقتحم الريح ، تندفق فى القلب المشلول العاجز ، تسرع فى الغرفات ، تصفع جدران الغرفات ، وتقاوم الجدران فى استبسال يائس ، وتسخر منها الريح ، تصفعها ، تضربها بالأثاث الخشبى فتهتز الجدران ، تتشقق ، ويستسلم فى استشهاد .

ترقص الريح رقصة انتصارها ، تقيم مهرجان انتصارها تضحك ، وتصفر فى فرح ظافر ، أخيرا تعلن تمام فوزها ، ومهرولة ضاحكة تأخذ أسلابها وتنسحب .

تتركه مترنحا ، منتهكا ومتشققا ، يزدحم قلبه بالنفايات .

وفى الصباح تصيح الديكة فى قلب المدينة ، ويحوم فوقها الحمام الأبيض ، وبعيدا بعيدا يقف طلل خرب ، وحيد ، مفقوء العينين .

القاهرة : رمسيس لبيب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

شاكر محمود مصطفى

# قصة: التوبة

وأذكر من سنى صباى السعيدات صيفا صارت ذكرياته تتفجر كقطرات عرق صافية لا معة كلما طابت لى الذكرى .

آه منك يا نورى ! . . آه منك يا عاصم !

كان صيفى ذاك جنة ملونة تحف بها أشجار أعرفها ولا أعرفها ، وأعمدة نور لم يخطر ببالى يوما أن أحصيها تضيئها الشمس ومصابيح منتشرة تلتهب فى الليل كرؤوس مجانين حليقة ساطعة . وبد رهيبة لساحر لا ينام ترفع جنتى هذه عن أرض خضراء أبدا ، ليتساوى بلاط بابها الملون الغريب ورؤوس التماثيل المصفوفة على جانبى طرق تتلوى باتجاهات تتوازى وتتقاطع امعانا فى إدهاشى وإسعادى . هذه التى أراها فى النهار دنيا بيضاء تنأى عنى ، وتومىء لى طوال الليل بأصابع بكل الألوان . واذكر سهرتى وعشقى لهذه الألوان ، وبد أبى ( رحمه الله ) تمتد لى وتسحبنى برفق ، ولفح زفرته . وأعجب كيف أذكر كلماته التى لم أكن أسمعها « لا تنظر إلى فوق يا بنى » . كنت أنظر ، والحق يقال ، إلى تحت - إذ أن الشارع الذى يمتد بموازاة مسناة النهر كان يرتفع عن جنتى قليلا ، وكنت أقف دائما فى مكان على هذا الشارع وظهرى للنهر ولمغيب الشمس ، ولكنها كانت كلها أمامى .

من يسكن هذا القصر المسحور ؟ كنت أرى ناساً قبل المغيب أحيانا على سفائف بيضاء يلوحون للفراغ الساهى حولهم . وكنت أرى فى بعض الليال حركة غريبة تدب ، وأجسادا ورؤوسا كثيرة ، وتصلنى ضحكات كالهمهمات ، وكنت أرى موائد . . . ولكن كل هذا لا يهمنى الآن .

لم أغضب يوماً من الحجارات التى يصوبها الىّ ولدان لا أعرف كيف جاءا إلى هنا . أعرف الآن أنهما كانا نورى وعاصم وقد جاءا ذلك الصيف مع أبيهما إلى القصر للعناية بحدائقه . لم أغضب لأن الحجارات ، على أية حال ، لم تصبنى ، ولم تصرفنى عن النظر . كانا يكلمان شخصا لا أراه ويشيران إلىّ «ابن عارف السماك» ولكنى لم أشعر فعلا أنهما يقصدانى ، أو لم أفهم لماذا يزميان بحجاراتهما تلك ، أو لماذا يشيران إلىّ ويحدثان ذلك الشخص .

عصر يوم فى ذلك الصيف نزلت من مكانى فى الشارع وانحدرت فى المنحنى الضيق واتجهت يسارا إلى مكان قرب باب القصر . كنت أتابع وأنا أنحدر صبية تكبرنى قليلا . لا أعرف كيف شعرت بى ، ولكنها التفتت ناحيتى ونظرت . نظرت للحظات بوجه يحاول تذكر شىء ما ، ثم أدارت رأسها بخفة ومضت . لا أعرف ما الذى جئت أبحث عنه ، ولكنى بقيت . كانت الأصوات القليلة التى تأتينى تربكنى ، وكم وددت لو أخلد الناس هناك للسكينة . كنت أريد الاقتراب أكثر ، وفعلت . لا أدرى الآن إن كان ذلك حسنا أم لم يكن . اقتربت من سياج القصر وأصبحت أشم رائحة الحديد المتشابك .

هل كنت أعرف سكان القصر ؟ الجواب الصريح هو لا أعرف . كنت أفزع من سماع الأحاديث عنهم ، وأقسم أننى لم

أك أسمع شيئا منها . الأصوات فقط كانت هى التى تطاردنى ، أصوات تلقى بظلها الكئيب على جنتى فتفزعنى . حتى أحاديث أبى ( رحمه الله ) عن أبى نورى وبنيه لم أك أسمعها ، أعرف أنهم جميعا سفهاء ولكن لا أعرف ، صدقونى ، لماذا . كان أبى يقارن أبا نورى ببستانى القصر السابق الذى اختفى ولم يعرف أحد مصيره . لم يكن أى منهما يهمنى ، على أية حال . لا أقدر أن أقول بأننى لم أعرف الإمام ، فقد شاهدته وسمعته يكلم أبى مرات . كان أبى يهرول بأفضل السمك الذى يصطاده وهو يتغنى : « وهذا للامام . . . أيضا » . آه كم كنت أكره اندفاعه ذاك ! غفر الله لى ، وكم كنت أكره سماعه وهو يتغنى بسمكه وإمامه ! ولكن عندما حدق الإمام صوبى ، نعم فقد كان الإمام ، لا بد أن يكون هو ، برأسه العارية عصر ذلك اليوم أنكرته . سمعته يوجه لى كلاما ويشير إلى بيت أبى ، ولكنى بقيت واقفا . رأيت عبوس وجهه ، ولكنى لم أذهب . لم أفهم ، هذا ، ببساطة ، كل الذى حدث . أأقول إننى شاهدت الإمام بلباس غير الذى عهدته ؟ لباس من قطعتين ، غريب وخفيف وملون ؟ لا ، ، لا أستطيع . لقد رأيت الإمام كثيرا ببدلاته وقمصانه وأربطة عنقه ، وأعرف سيارته السوداء الكبيرة ، وأفهم لماذا ينهض أبى ويهرول صوب بابنا ليتحدث مع سائق الإمام ، ثم يمضى نحو السيارة ليسمع الإمام : « أريد سمكاً ليوم الخميس ، هذا الخميس » . وبعد صمت ما طال يوما وما قصر يضيف الإمام « عارف ، سمك ممتاز ، مفهوم ؟ » آه ، لا أدرى كم من المرات سمعت جملته هاتين ، ولكنى أعرف الحزن الذى كان يداهمنى عند سماعها .

كنت واقفا أشم رائحة سفائف الحديد عندما فاجأنى وجه ظهر خلف السفائف . ابتسم الوجه ، وانفرجت الشفتان عن كلام لم أعِ أولّه ولكنى فهمت أنه يدعونى للدخول . عندما أحسّ صاحب الوجه بانتباهى إليه قال وكأنه يعيد شيئاً :

« أتحب أن تتفرج على القصر ؟ »

أعرف الآن أن نظرة الصبية إلىّ ، وكلام الإمام وحركة يده وعبوس وجهه ، كانت تطردنى ، ولكنى غير متأكد بأنى فهمت دعوة صاحب الوجه . كان أبى لا يكلمنى الاّ قليلا ولكنى كنت ، أقسم بروحه الطاهرة ، أفهمه . كان يكلمنى عبر أحاديثه عن الآخرين وما يحل بهم ، فأفهم مراده . آه كم كنت أود لو يسألنى يوما كم أحبه . . . يسألنى بوضوح ، لكنه لم يفعل . بدأ صاحب الوجه يتحرك صوب الباب بمحاذاة سفائف الحديد وغاب للحظة ثم ظهر واتجه نحوى ، ثم ابتسم ثانية ، وقال وهو يمسك بيدى بقوة اجفلتنى :

« تعال . . نريك القصر . »

لا أعرف كيف خطوت ، فصاحب الوجه ، وقد عرفته - فهو لم يكن سوى أبى نورى - كان لا يزال يمسك بيدى ويسحبنى نحو القصر . شعرت به يفلت يدى ويرد الباب خلفنا ، ثم نادى :

« نورى . . . عاصم . . فرجا ابن عارف السماك على القصر . » شىء فى نفسى حاول الإفلات ، أهو صوت أم حركة ، لا أدرى . كنت أريد أن أتفرج ، وكنت أريد أن أذهب ، بل كنت أريد الذهاب والعودة فيما بعد لأتفرج وربما كنت . . . دهشت لمرأى فانوسين يتدليان من يدى تمثالين قرب الباب على جانبى طريق ينداح بين صفين من الأشجار والتماثيل باتجاه القصر ، ودهشت ليدى نورى وعاصم تسحبانى فى طريق أخرى تحاذى سفائف الحديد باتجاه كوخ صغير منزو أعرف الآن أنه كان مخزن سماد حدائق القصر .

لم أفهم لماذا قال نورى لعاصم « اترك يده ، الآن » ولكنى شعرت بألم فى فخذى الأيسر ثم فى ظهرى عندما طرحنى نورى أرضا ، وصاح مناديا أخاه « هات الحبل » . لا أعرف لماذا لم أقاوم ، ولماذا لم أصرخ . ضربت يوما ولدا فى سنى لأنه جرى خلفى وهو يترنم «جاء اليتيم . . . اعطه يا كريم . . . جاء اليتيم . . . » ولكن أبى قال لى « لو تتركهم ينبحون مثل الكلاب ، أفضل » .

لوى نورى ذراعى اليمنى ثم قلبنى على بطنى وأمسك برأسى وكتفى وصاح بعاصم « اربط يديه » . لم يكن الشىء الذى ربط به عاصم يدىّ حبلا . كان خرقة خشنة مفتولة ، وكان جزؤها الذى لف باطن معصمى الأيسر رطبا لزجا ، وقد بقيت لفترة طويلة فيما بعد أشعر بهذه الرطوبة اللزجة فوق باطن معصمى . آلمتنى قسوتها ، وآلمتنى أكثر رائحة ملابسها بعد أن أصبحت أشد إحساسا بها وهما منبطحان فوق ظهرى .

« اربط رجليه ، أيضا » ، جاءنى صوت نورى . أعترف أننى شعرت للحظات قصيرة بغرابة ما يحدث لى ، ولا بد أننى فكرت فى المقاومة ولكن لا أعرف كيف استسلمت لنورى ولعاصم هكذا . لعله الخوف من افتضاح أمرى لأهل القصر ، وحتى أكون أكثر دقة أقول للصبية التى التفتت إلىّ ونظرت للحظات بوجه يحاول تذكر شىء ما ، ثم أدارت رأسها بخفة ومضت . لعله .

لم أدرك متى انتزع عاصم نعلىّ ولكنى شعرت بأحد النعلين يسقط قرب رأسى . « وشدهما الآن الى ذلك الوتد كى لا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يتحرك » ، أضاف نورى . شد عاصم رجلىّ المربوطتين الى شىء ما ، لا بد انه الوتد كما سماه نورى ، وقال مخاطبا اخاه :

« لم اكن أعرف أنه دجاجة . » فضحك نورى وأضاف :

« دجاجة يتيمة ! » ثم نادى اخاه ، وهو يرخى يديه عن رأسى وكتفى ،

« تعال الآن أمسكه . » فرد عاصم .

« لا ، لن أمسكه ، سأضع رجل على ظهره ، وأقسم أن هذه الخنفساء اليتيمة لن تتحرك . » ما أن وضع عاصم إحدى رجليه على ظهرى ، حتى انهال نورى على رجلىّ واليتىّ بغصن يابس رفيع ، وبين ضربة واخرى يوجه لى كلاما لم أفهم مغزاه . لا بد أن ألم الضرب زاد من رعبى من أن يراني أحد فى وضعى ذاك . أدرت رأسى صوب القصر وصوب حدائقه فهدّأت الأشجار المصفوفة من روعى قليلا . لا ، لا يمكن لأحد أن يراني . زاد نورى من قسوته فى ضربى ، وبدأت أنتبه لما يقول :

« قل ، يا دجاجة يتيمة ،يا خنفساء ، التوبة » . وسمعت عاصما يردد :

« قل التوبة » . ظننت أنهما سيتركانى ، ولكن الذى حدث هو أن نورى توقف ، وجاء ليضع رجله فوق ظهرى وأعطى الغصن اليابس الرفيع لعاصم . أيهما أكثر قسوة يا ترى ؟ فكرت قبل أن أشعر بلسعة الغصن فوق اليتىّ . جاءنى صوت عاصم :

« قل ، يا دجاجة يتيمة ، يا خنفساء ، التوبة » ، ثم صوت نورى وهو يردد :

« قل التوبة » . فقلت :

« التوبة » .

آه كم أشعر الآن ، والآن فقط ، بحرقة دموع ذلك الدهر . كانت الأرض التى طرحونى عليها مغطاة بروث رطب ، وكنت أحاول رفع رأسى لئلا يلامس أنفى الروث ، ولكن ذلك لم يدم طويلا .

( فى وضعى ذاك فهمت لماذا اختفى بستانى القصر الذى سبق أبا نورى . لا أعرف بالضبط كيف تناهى إلى سمعى حديث دار بين الإمام وشخص آخر ذات مساء مطلع ذلك الصيف . كنت قد انحدرت من الشارع الموازى لمستاة النهر باتجاه سياج القصر الخلفى وأخذت اتلمس طابوقه وأشمه . كنت أسمع أصواتا وضحكات ، وفجأة دوى صوت طلق نارى . لا أنكر أن الصوت أفزعنى فى البداية ، ولكن السكون الذى حل فيما بعد أسعدنى . لا أدرى كم لبثت وراء السياج ، ولا أدرى كيف تقاربت أصوات شخصين ، أحدهما الإمام ، وأصبحت واضحة . كان الإمام يقول ترميه فى النهر ونخلص منه ، ولكن الآخر تحدث عن السماد وقال ما معناه إن البستانى سيكون سمادا ممتازا لو دفن فى الحديقة ، والإمام عاد يقول إنه يرفض أن يتحول قصره إلى مقبرة لمن هب ودب - أعترف أننى فرحت أن الإمام لم يقبل أن يصبح القصر مقبرة - والآخر عاد يدافع ، لقد ظننته لصا . . . كنت احمى قصرك . . . كلا لن نرميه فى النهر . . . أخاف الفضيحة . لم أسمع بقية الحديث اذ تسلقت المنحدر ثانية وحزن ثقيل يخيم على قلبى خشية أن تصبح جثتى مقبرة لمن هب ودب . )

يا لهول مهانتى بعد أن فك عاصم وثاقى فنهضت وبدأت أنظف منخرى من كتل الروث التى اندست هناك . لا أعرف كم مرة تناوب الاثنان على ضربى ، ولا أعرف كم من المرات قلت « التوبة » ، ولكنى سمعت ابا نورى ينادى ولديه : « لا تؤذياه . . . توّباه فقط » . ولا أعرف ايضا كم مرّ من الزمان قبل أن أسمعه يخاطبهما ثانية « كفى . . كفى . . آه منك يا نورى . . . آه منك يا عاصم » ، ثم يضحك . لماذا لم يطلب أبى منى شيئا ؟ لماذا لم يكلمنى مثلما يفعل أبو نورى الآن ؟ كان كل الذى طلبه أبى يوم دنت وفاته هو أن يكون دفنه لائقا . قال

« أفنيت عمرى فى تر بيتك ، فليكن دفنى لائقا » . ولكن لادع أبى ( رحمه الله ) وأمضى فى حكاية ذلك الصيف الساحر .

لحظة الخلاص التى كنت أنتظرها جاءت أخيرا نهضت بعد أن فك عاصم وثاق يدىّ ورجلىّ وفك رجل من الوتد ، كما سماه نورى . وقفت فراعنى ألم رجلىّ ، وراعنى أكثر ارتجافهما الواضح الشديد . انحنيت قليلا لألتقط نعلى فاشتد الألم ، واشتد الارتجاف .

قال لى نورى بعد سنوات ، وهو يضحك ، إنها كانت فكرة عاصم ، ولكن عاصما أقسم أنها كانت فكرة نورى ، ولكن ما أهمية ذلك الآن ؟

« أأقدر أن أغسل يدىّ » قلت لنورى .

« هيا ، ولكن عجّل » .

« ولماذا يغسل يديه ؟ » رد عاصم ، « ألا يحب الدجاج الروث ؟ »

نظفت منخرىّ من كتل الروث التى اندست هناك ، وغسلت يدىّ ووجهى ، ثم غسلت النعل ولبسته . داهمتنى الرغبة وأنا انظف نفسى بالنظر صوب القصر ، ولكنى - حمدا لله لم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أفعل ، بل سرت فى الممر الذى اقتادنى إليه نورى وعاصم ، وسارا هما خلفى .

« أما زلت هنا ، يا ولد ؟ » قال لى أبو نورى وأنا اقترب منه . ثم ترك مكانه وتحرك صوبى . كان يمسك بإحدى يديه منجلا ، وعندما صار على بعد شبر منى قرص بالأخرى أذنى وقال :

« إياك أن تقف كجاسوس ثانية . » كان يهز منجله أمام وجهى وهو يتكلم . هذه المرة أصغيت لكلماته رغم افتتانى بالتماع الصبغة الخضراء الواهية فوق حد منجله المسنون .

« لقد رأيت مصير الجواسيس ، فاحذر وابتعد . . . مفهوم ؟ » فرددت وراءه :

« مفهوم . »

ظننت ، أيضا ، أنه سيترك أذنى ويدعنى أنصرف ، ولكنه استمر يهز منجله ، ثم انحنى حتى وازى رأسه رأسى . دفعت برأسى إلى الوراء قليلا حينما قرب وجهه منى . كان يبتسم وهو ينظر إلىّ مرة ، وإلى ابنيه مرة . حيرتنى ابتسامته ، وحيرنى التماع نظرته . كنت أفهم معنى نظرات ابنيه ومعنى ابتساماتهما . لا أعرف كيف ، هذا صحيح ، ولكننى كنت أفهم . كانت ابتسامة أبى نورى ونظرته غريبتين . هل كان يقلّد أحدا . . . ابنيه مثلاً ؟ هل كان يلعب ؟ربما .

« قل التوبة » قال وهو لا يزال يبتسم وينظر إلىّ مرة ، وإلى ابنيه مرة . وما إن نطقت « التوبة » ، حتى لعلع صوته بضحكة دفعت برأسه إلى الخلف قليلا . أفلت أبو نورى أذنى وهو لا يزال يضحك ، ثم قال لى :

« والآن ، اذهب . »

كنت أريد أن أنطلق صوب الباب ، ولكنى لم أفعل . أحسست بوجهه يريد أن يقول شيئا وخفت أن أذهب قبل أن يقوله .

« اذهب » ، تحرك الوجه ، « اذهب قبل أن تبلل هدومك » ، وراح يضحك ضحكته تلك التى دفعت برأسه إلى الخلف قليلا .

أفلتّ نفسى لقدمى تقودانى عبر الممر الضيق باتجاه الباب ، وركّزت كل قواى فى تحاشى النظر صوب القصر . انعطفت يمينا ودرت المنحنى الضيق المحاذى لسياج القصر وتسلقت المنحدر إلى الشارع الموازى لمسناة النهر . كنت أريد أن أصل بيت أبى ، ولكنى توقفت . أدرت رأسى صوب القصر . كان المنظر فى منتهى الروعة ، كما توقعت . كانت جنتى هناك ، بهية تلتهب بنور الشمس الغاربة ، فذاب قلبى

جامعة الموصل ـ شاكر محمود مصطفى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

سعيد بكر

قصة

# قوس قزح

لم يكن نومى مستقرا . . استيقظت على صوت أقدامهم المتسارعة فى الخارج . . تلفت حولى . . كانت الأسرّة شاغرة . . البطانيات الرمادية ملقاة فى الزوايا . . لم أزل داخل الأفرول منذ ليلة البارحة . . فى سرعة ارتديت البيادة الكبيرة . . أشعر بأصابع قدمى تسبح فى فراغها . . فى الخارج لم ألتق بأحدهم . . ولجت الحمام . . ألقيت على وجهى قطرات الماء الباردة . . انتفضت خلايا الناعسة . جففت وجهى بكم الأفرول . . هرولت أقفز الدرجات . . عند الباب الخارجى صفعنى هواء لاسع . تداخلت حول نفسى . .

وتمنيت أن تنتهى أيامى هنا فى هذا المكان الكئيب . . لى بعض أيام انتهت بشق النفس . . محاضراتهم السمجة لا أجد لها معنى . . بريق نجومهم الأخاذ يغشى عينى فانكفىء على صفحات الكراسة البيضاء التى أدون فيها محاضراتهم عن الدفاع . . وذلك الضابط صاحب العينين الجهمتين لا أدرى لماذا ينظر إلىّ فى حدة . . أتحاشى عينيه والصدام معه . . كدت أنكفىء على وجهى وأنا أقفز فوق الدرجات . . رأيتهم فى الساحة الواسعة ينظمون صفوفهم . . تقلقلت البيادة تحت قدمى . . تسللت مختبئا عن عينيه الجهمتين . . انضممت الى صفوفهم . . كان هناك فوق الطوار المقابل يتبادل حديثا باسما مع اثنين من زملائه . . تلمع نجوم نحاسية فوق أكتافهم . . راح يفرك راحتيه ملتمسا دفئا وهميا . . فوقهم تظل عيون تلك الفيلا البيضاء . . مغلقة النوافذ . . فى أعلاها سماء اكتست بحلة فى لون أغطيتنا تماما . . الريح رغم هدوئها النسبى تنذر بيوم عصيب . . قلت لنفسى ما الداعى لطابور الصباح فى مثل هذا اليوم ؟ تناهى إلى صوت رفيقى هامسا :

ـ أكاد أسقط إرهاقا . .

لم تغمض جفوننا . . تحدثنا كثيرا . . قادتنا الهموم إلى الثغرة والحرب الدائرة . . أحسّنا بالألم الفاجع وتصورنا هزيمة جديدة . . نكسنا الرؤوس وتكحلت عيوننا بذلك البريق الأسى . . لم يعد لحديثنا جدوى . . قررنا أن نلعب الورق . . فيه نلتمس أمانا مفقودا . . برغم لغطهم المتشابك والضجيج الصاخب كان يأتينى صوته الغائب عاويا . . أرى فى نظراته عتابا قاسيا . . ماذا بمقدورى أن أصنع وأية آمال الآن وقد فقدناك إلى الأبد ؟ . هزنى صوته الجهورى . . تنبهت . . نفذت الأمر . . تحركت قدماى تحملان البيادة الكبيرة . . وأختفى الآخر بعيداً . . أشعر كأن يدا تقبض على ساقى . . ثقيلة هى كجفوننا المتهدلة النظرات . . فتحت أحاديثنا الليلية فى رؤوسنا ثغرة هائلة . . وددت أن أقفز بنفسى فيها واختبىء من نظراته القاسية التى تقتحم سكينتى الموقوتة . .

همس رفيقى بغتة :

ـ ستمطر

من أسفل حافة الطاقية رفعت عينين محتقنتين . رأيت السماء وقد تحول رماديها الى سواد كالح . رددت معقبا :

ـ ستمطر . .

أحلامنا كانت واحدة . . ولكن تسطّح القدمين اللعين فرق

بيننا .. تباعد .. انفلتت يداه من يدى .. جرى فزعا .. كان يصرخ طوال الليل .. يتسلل وجهه خلف ظهورهم المنحنية فوق أوراق اللعب .. عيناه دامعتان .. قال لى إننى قد خته .. تركت الصقور تنهش لحمه .. حاولت أن أمنعه من اتهامى الدائم .. قلت له لم يكن الأمر بيدى .. سبنى وعوى صارخا فى وجهى وانفلت من خلف ظهورهم مختفيا عن عينى .. حاولت أن أقول له أن ليس لى دخل فيما جرى .. أكدت له أننى لم أكن معه تلك اللحظات المريرة .. كذبتنى عيناه وماتت صيحتى اليائسة على طرف لسانى .. نظروا فى وجهى .. دفعونى للعب معهم .. حاولت أن أنغمس فى المربعات الحمراء وأن أدفن نفسى فى « شاييهم الملتحى .. نهرنى وانحط فوق الطاولة منهوك الأنفاس .. لمحت العينين الجهمتين وهما ترشقانى بنظرة صارمة .. أجفلت ورحت أعدل من ياقة الأفرول .. نفذت أوامره بلا حماس .. استدرنا فى خطوط مستقيمة . أحسسنا بقوة دفع الهواء على وجوهنا .. فى مواجهة البحر تماما كنا .. هل سيقوم برحلته الصباحية من جديد .. لم أجد معنى لكل هذا .. من خلف الأكتاف المهتزة كبندول الساعة أبصرت نجومه .. كم كانت فرحته حين تخرج بعد عامين .. تألقت فوق كتفه نجمة وحيدة .. شعرت بالفرح ممزوجا بحسد فطرى .. ما زلت أواصل تعليمى الجامعى .. حين استقبلنا الكورنيش تصاعدت الى أنفى رائحة شىء يحترق . كانت الرائحة قوية .. تساءلت :

ـ أتشم شيئا ؟ .

قال رفيقى المتهالك :

ـ ستمطر ..

بالأسفلت ترتطم أقدامنا .. يتوه الطريق تحت قدمى .. كأنى أسبح فوق سطح ماء رجراج .. يؤلمنى الفراغ الراقد أسفلها .. ويؤلمنى الفراغ المستقر فى أعماقنا .. أصبحت الرائحة قوية .. نفاذة .. أوامره محترقة الحروف سرت خلفهم بخطواتى المتنظمة .. فجأة شعرت بتقلص ساقى .. تمنيت أن يعود بنا .. أوامره متلاحقة .. متعاقبة .. زجر البحر فى وجوهنا .. حمل رذاذه الملحى وألقاه فوق رؤوسنا .. تأتينا زمجرة الموج من خلف السور الحجرى الممتد حتى قدرة عيوننا على الرؤية .. ضاق الطريق .. التصق السور الحجرى بنا .. البحر يلقى برذاذه الملحى المتطاير حولنا .. رفعت رأسى الى السماء .. كان هناك فوق رؤوسنا تماما .. ألوانه الطيفية تصنع قوسا للنصر .. خلف البيوت الممتدة عن يميننا يختفى أحد طرفيه .. الآخر يطعن به البحر الغاضب .. سمعنا أصواتا مهللة .. أقدموا يارجال النصر .. تناهى إلىّ صوته الضاحك كأنما هو آت من أغوار سحيقة .. قهقه عاليا .. تصاعدت أنفاسى حارة .. رأيته من خلفهم يزيل القوس الطيفى .. نظر إلى بنظراته تلك التى تقتحم سكينتى .. ثم انزوى باكيا .. بكيته يوم جاءتنى الأخبار بموته فى العراء .. بكيت أيامنا وأحلامنا المسفوحة .. صرخت فى السماء .. ليس الذنب ذنبى . رجوته أن يبقى دائما معى .. ازدادت قهقهاته .. اخترقت أذنى مع صفير الريح .. تصدع رأسى أوشكت على الانهيار .. وهتفت .. صدقنى .. صدقنى ...

همس رفيقى :

ـ إنها تمطر الآن ..

عاودت تلك الرائحة المحترقة إصرارها على النفاذ إلى أنفى .. مرت سيارة فى الطريق العكسى .. رنا إلينا سائقها ثم ابتسم .. استدرنا للخلف مرة أخرى ... وفى نفس المكان اليومى الذى يحلو له أن نؤدى فيه تمرينات الصباح أعطينا ظهورنا للبحر .. لم أعد أرى الألوان الطيفية .. هى حقا تكلل رؤوسنا الآن .. البيوت المواجهة مغلقة النوافذ .. شعرت بطرقات المطر فوق الأفرول واضحة ولها صوت مسموع .. تحاشيت سقوطها فوق عينى .. طأطأت رأسى .. ساقاى ترتفعان وتهبطان فى خطوات منتظمة .. لم أعد أشعر بما حولى .. المطر يتكاثف .. تغيم المرئيات أمامى .. ألمح رؤوسا تتحرك .. وأذرعا ترتفع .. تسحبت قطرات المطر فوق صدغى .. تسربت بين تجاويف وجهى .. دخلت العينين والفم .. كان للمطر طعم الملح .. تأففت .. فى خلسة بصقت القطرات خارج فمى .. وبحثت عن صاحب العينين الجهمتين .. همست فى ألم :

ـ ألا يعود بنا ؟ .

الطبلية الدائرية تجمعنا طوال الليل .. نستذكر دروسا باهتة .. الحصول على شهادة أمر لا نقاش فيه .. قال :

ـ سنكون معا ..

قلت راجيا :

ـ لن نفترق ..

فكرت أنه الآن قد يعود بنا .. بدأت معدتى تتقلص ألما .. والمطر يعزف أنشودته فوق ثيابنا التى ابتلت تماما .. التصقت بأجسادنا .. واقتحمت تلك الرائحة المحترقة أنفى فجأة .

قلت لرفيقى :

ـ هل تشم شيئا غريبا ؟ .

قال دهشا :

ـ إنها تمطر ...

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بصوت مندى راح يهتف بنا فى حماس .. حاول أن يبث حماسه المبتور داخل أعماقنا .. تقلصت أصابع قدمى .. تساءلت كيف حتى هذه اللحظة تحملنى البيادة الكبيرة .. تكاثرت برك المياه حولنا .. من ثقب خلفى تسربت مياه المطر الملحية الى الفراغ المحصور داخل البيادة .. انكمشت قدماى ولعنت كل شىء .. كنت أسبح حقا فى مياه البحر .. حاولت أن أتماسك وأتشاغل بالألوان الطيفية .. كلما رفعت رأسى الى أعلى تهاجمنى خيوط المطر .. أعود إلى انتكاسة الرأس وأبصق ملحا ومطرا ... قال لى يوما :

ـ احمد الله أنك لم تغير اتجاهك مثلى ..

قلت له :

ـ هل تشعر بالندم ؟ .

قال فى صوته الواهن :

ـ لم يعد هناك وقت للندم ..

صار المطر نسيجا كثيفا .. حاصر أقدامنا وأجسادنا اللاهثة .. أنفاسنا تنفث سحائب بيضاء .. تتبدد اثر خروجها من شفتى تحت وابل الخيوط المتشابكة للمطر . هل لا يزال هناك .. لمحت صاحب العينين الجهمتين وهو ينسحب إلى الخلف متحاشيا المطر الذى تكاثف هذه اللحظة .. بحث عن تندة مشرعة لأحد الحوانيت ـ اتجه اليها من فوره .. راح يتقافز أسفلها مثلنا .. تساءلت : هل يمكن أن يشعر بالبرد .. بحث عنه من بين الأكتاف المتماسة فى اهتزاز لا يتوقف .. كان لا يزال يكلل رؤوسنا بألوانه الطيفية .. لكن المطر اللحوح شدنى الى صاحب العينين الجهمتين .. همست فى ضراعة :

ـ ألا يعود بنا ؟ .

لعنت ذلك اليوم الذى التحقت فيه بهذا المكان .. قبيل العصر تنحشر رؤوسنا بمحاضراتهم عن وسائل الدفاع وسرعة الإنقاذ .. أشياء لم أجد لها معنى .. ليس أمامى من سبيل وهذا المكان هو المسوغ الحقيقى لا لتحاقى بعمل حكومى .. لا أدرى من أى مكان تأتى هذه الرائحة .. تزكم أنفى .. أحسست بالدخان الأسود يتصاعد من بين ثنايا الأفرول الملتصق بجسدى .. انحشر الدخان فى حلقى .. سعلت .. لم يلتفت أحد .. تدافعت من جوفى سحائب بيضاء رأيتها تأخذ أشكالا أعرفها .. وجه أمى وأبى .. وأخى .. عيناه مفعمتان بأسئلة كثيرة .. ولم تزل تلك الالتماعة تترقرق فى عينيه .. أحسست بالألم .. ورجوته أن يمسح عينيه وينام هادىء البال .. ضحك كثيرا .. وراح يشير بإصبعه نحوى فى حركات عصبية يريد أن يفقأ عينى .. سألته أن يكف عن ضحكاته القاتلة التى يرشقها فى صدرى من وقت لآخر .. تراخت ساقاى .. كدت أسقط فى برك المياه .. نظرت باحثا عن صاحب العينين الجهمتين مستغيثا ... كانت عيناه معلقتين بنقطة ما من هذا البيت القابع عند استدارة ناصية الزقاق الجانبى .. حولت رأسى الى نفس النقطة .. من بين نسيج المطر المتساقط لمحت شبحا لامرأة تلوح بيدين انعكست على خطوطها الخارجية تلك الألوان الطيفية البراقة ... وكان هو أسفل التندة يبتسم فى سعادة .....

الاسكندرية : سعيد بكر

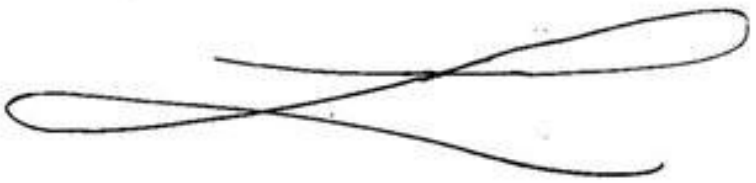

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قصة

# مركب بلا صيد

كانا معا داخل « قنديل البحر » على شاطىء الأنفوشى مركب المعلم « خميس الترساوى » الذى سحبه بعد موسم النوات المعروفة إلى الشاطىء ، أسافلها على جنب حتى يحين موعد إصلاح العطب بالقلقطة والدهان .

إستنكانا إلى ركن بالمركب لا يظهر منهما غير الرأسين ، وطالت الخلوة ولم يحسا بمرور الليل رغم زمتة الطقس المضنية كانت « قنديل البحر » مكانهما المختار . الأونيل كما يطلقان عليه ، وهما يسميان نقلا عما يسمعانه على لسان بعض الناس . اعتادا أن يلتقيا به فى نهاية المساء ليهمس كل فى أذن الآخر ما أصابه فى يومه من خير وشر . تعاهدا ألاّ يخفيا شيئا . بعد أن يفرغا من سرد الأحداث يأخذهما صاروخ إلى قمر الأحلام ، يغرقان فوقه فى الرؤى الوردية والأمل فى أن يجدا بيتا يجمعهما . حجرة واحدة يارب تكفى !

هو « مسعود الأبيض » البائع السريح ، وهى « نداشة البرشومى » بائعة التين الشوكى والذرة المشوية . أغرقهما النور المنعكس على صفحة البحر من الإسورة اللولى الممتدة بين ستانلى وقلعة قايتباى . أحسا بالأمان فانطلقا فى حديثهما الحالم . كان إيقاع كلماته تقاسيم قانون منفرد تمهد لليل ممدود ، وعيون مسهدة جفاها النوم وأضناها الأرق . تخللت الحروف المضغوطة تنهدات عاشق يتهجى عواطفه فى خطو طفل يتعلم المشى بعد فترة حَبْو طويل . لم يستفد بما يحفظ من الأغانى ، فقد كان من هواة كتبها المزوقة التى تزخر بها الأرصفة .

ضاقت بينهما المسافة وغطسا قليلا فى جوف القنديل ، لكنها وهى بنت الأنفوشى صاحية لنفسها وظلت كثمرة التين الشوكى بطبقتها السميكة الخضراء ونقطها السوداء وحاجز الأشواك الذى يجعل الوصول إلى داخلها أمرا غير ميسور . .

سكتا قليلا ينصتان إلى صوت الجنادب ، مع آحاد من نفايات بشرية لفظتهم الحانات القريبة وراحوا يفتشون عن أقدامهم التى فقدت الطريق .

قطعت نداشة البرشومى سكوت مسعود الأبيض :

ـ قلت إيه يامسعود ؟ .

ـ قلت لا إله إلا الله يانداشة .

ـ وهيّه دى عايزة قواله ؟ .

ـ وما له . نقولها تانى وتالت . ما يضرش . ورانا إيه ؟ .

زغدته بكتفها فاختل كوعه المركون على حافة المركب ، وشَبَّتْ على ركبتيها وقالت :

ـ وراك المهر يانَّ عينى ! أنا مش بايرة ولاّ عروسة كسر . وكمان مش بنت لها ما ضى زى ما بيقولو فى السيما . إنتَ سارقاك السكينة . .

وجد نفسه يضحك بلا وعى ، وردّ فى تثاقل :

ـ المشكلة مش بنت لها ماضى . المصيبة يكون لها

مضارع . فتّحى مخك ياندانشة . إنت حتتجوزى واحد
اتعلم من كلام الناس فى الشارع .
خلاصة الكلام عقلك فى راسك اعرف خلاصك . .

بلع ريقه الجاف وطاف لسانه بشفتيه المتشققتين . دعك وجهه وفرك عينيه . هرش رأسه . وارتطمت الأفكار بعضها ببعض كهذه الموجات التى تتدفع على مقربة منها تحاول القفز فوق مكعبات الصخر التى تحمى الكورنيش . بعضها ينتهى زبدا . أخريات تصل الشاطىء منهوكة لاهثة تلمس فى رفق طحالب الصخر ثم تلملم بقاياها وتعود فى وشوشات حزينة .

نقله ونش ضخم رماه فى هذه المناطق التى يحتفظ بها الإنسان لنفسه حيث الذكريات والمواجع ، ويحيطها بأسوار ونقط مراقبة وأسلاك شائكة ويحظر الاقتراب منها والتصوير . تذكر الساعة أمّه التى طال رقادها كل مرض يسلم عضوا آخر لمرض جديد . لَفّ بها على المصحات والمستشفيات كل طبيب يزيح الجسد المنهوك إلى طبيب آخر . أنفق عليها كل ما ادخره مَهْرا لنداشة . . من النط فى مركبات الترام يعرض بضاعته على لوح من الخشب فوقه أكياس النفتالين البلية والفلايات الخشب ، إلى جانب أتواب الأستك وإبر الخياطة والدبابيس التى يلفها حول رقبته دوائر يحكمها طوق من السلك يجمع بين طربوش البابور ومشابك الغسيل . دكان صغير متنقل بلا رخصة ولا متاعب إشغال الطريق . الشارع كله له ، وطرقات الترام حرم مستباح لقدميه . وَصَل مع أمه إلى آخر محطة ، واقتلعت الريح خيمة الجسد . أغلق مَلك النهايات مداخل البوغاز ولم يبق من ريحها غير عطر خفيف مثل بخور المستكة الذى كانت تهواه وتبخر به القلل ، وهذا الدعاء الذى كانت تودعه به كلما خرج على باب الله : ربنا يجبب فيك خلفه وحصاه فى أرضه . عندما يعود آخر الليل يجدها فى انتظاره بالطشت والماء الساخن وقد ذابت فيه حبيبات الملح الرشيدى الخشن . . . وأخذه طوفان الذكريات إلى أبعد من مشواره مع أمه . لم يمر بطفولة الصغار ولا صبا الشبان . لم يلعب البلى أو حرب إيطاليا ولا فرفع « بمب » ولا حتى تسكع فى النواصى مع شباب عمره يلهون بسيرة البنات . لم يعتب باب السينما مع بنت فى فابريقة السجاير الموجودة بالحى كما يفعل غيره .

مع حَمّام القدمين ، وبقدر ما يتحمل من سخونة الماء يبث أمه همومه ، ويكتشف مسعود أنها سبقته حزنا تجمع فى مقلتيها الواهنتين ويحاول أن يضبط نفسه قدامها فتطلب منه أن يفضفض عن نفسه ، وتتقسم معه حيرته المضة وتقول فى صوت الرجال :

ـ إجْمَد . الشغل للرجاله . إخرّ الشيطان وقوم صلّ ركعتين لله عشان يزيح عنك الكرب .

تاه فى أعماقه . ست حبايب حقا . من جيل يستر وجهه . لا يصح أن تُعرى وجهها أمام غريب . . . لا يخففون الملابس فى الصيف إلا إذا شافوا الحكومة صَيَّفتْ والعساكر لبسوا أبيض . استغرقته التأملات وانتهى معها إلى حارة سد ثم أفاق على ارتطام رأسه بحائط الزقاق وكاد يقع على أكوام الزبالة التى أقامت مع الحائط جدارا موازيا . ماذا يقول لنداشة بعد أن جف النهر ؟ وطال تحديقها فى عينيه تنتظر رأيه . المُهر يا مسعود ! البنت ليست « بايرة » ولا « عروسة كسر » . أو بنت لها ماض كما يقولون فى السينما . انصرف عنها قليلا فى حبيبات الضوء من بعيد ولمحا معا كتلا بشرية تتحرك فى الظلام فصمتا وتسحبا إلى قاع القنديل . رشق عينيه فى وجهها المدور كأنما يراها أول مرة يتخيل حكمها على صمته . . .

عاد إلى صحيفة كانت معه منذ الصباح ومن خلال ذبالات الضوء المنبعث من أعمدة النور العالية وقعت عينه على خبر منشور داخل مربّع ملفت للنظر بخط أسود ثقيل عن مكافأة مائتى جنيه لمن يعثر على كلب لُولُو ويسلمه إلى أصحابه بالفيلا القائمة بأعلى عمارة برج الثغر . ألقى بالصحيفة وهو قرفان وأخذ يتمتم :

ـ ناس فاضية وفلوسها كتير مش عارفة تصرفها فين ! ميتين أهيف عشان حتة كلب مفعوص ! بالذمة دا يخلص ربنا ؟ . فاتهم يعملوا إعلان جديد . أيها الابن اللولو ، عد إلى البيت ، أمك مريضة بسببك .

استعدّت نداشة أن تقول شيئا . سحبت ساقيها المفرودتين ، وحضنت ركبتيها . دفست ذقنها بينهما وقد استبدت بها فرحة غامرة . طلبت من مسعود أن يعيد عليها قراءة الخبر كلمة كلمة . فى البداية تردد لكنه امتثل . فاجأته تقول :

ـ إبسط يا عم . أمك داعيه لك بصحيح . الكلب عندى من قيمة يومين . علقته من سمعه الطابورجى بورقة لوتاريه« مضروبة » . كلب نونو شعره زى قطن الأجزخانة وابو العباس !

أخرستها خطوات عسكرى السواحل وهو يدق بقدميه فدفسا رأسيهما فى الداخل من باب الاحتياط . فرصة سنحت لكل منهما كى يغوص بعيدا عن صاحبه مسافات بعيقات الأحلام ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ثم طلعا من الماء ورذاذ الذكريات لم يزل عالقا بمخيلته . استرخت فى جلستها وأخذت تنكش شعرها ثم تعيده مرة أخرى ضفيرتين وهى تدندن :

ـ طالعه السلالم ياما شاالله عليها
ست العرايس والمعازيم حواليها
طالعه السلالم .

وجد نفسه بلا شعور يرد عليها :

ـ أنا هويته وانتهيت ، وليه بقى لوم العزول .

راحت تحلم بثوب الفرح مطرزا بالفُل والتل ، وفرقة أبو الغيط تزفها الزفة الإسكندرانى . ويقف الموكب أمام مقاهى الحى لمشاركة الحبايب بالرقص والنقوط وأمام عتبة بيت العروس سجادة من نشارة الخشب الملون إشترك فى رسمها عيال الشارع تعبيرا عن فرحتهم ، وحالوا دون مرور العربات والأقدام عليها قبل أن تطأها بنت الحتة . حلمقت فى مسعود لتطمئن إلى ما عاد به فى رحلة الأعماق من جواهر القاع .

اتفقا على اللقاء فى الصباح . تحضر ومعها الكلب ليتوجه به إلى أهله يصعد وحده إلى الفيلا بنهاية العمارة ، وتنتظره نداشة حتى يعود إليها بالفلوس . « جنيه ينطح جنيه » حتى المائتين ثم يجلسان ليرتبا العش بعيدا عن العيون . أمامها حجرة فوق سطوح بيت قديم فى كوم الدكة . يبقى السرير . تفضله نداشة من الحديد بأربعة عساكر نحاسية مجلوة تعلو عواميده الطويلة . أما الدولاب فأمره ميسور . إنها تعرف تاجر « نابوليا » فى العطارين قريب لوالدها . من بعيد . نذر أن يقدم لها الدولاب نُقطة عندما يأتيها العَدَل . كانت تذكره بوعده فى كل لقاء عند الأقارب .

لمحها مسعود مقبلة وتحت إبطها بقجة منتفخة ، باقترابها اطمأن أكثر إلى أن المبلغ أصبح فى جيبه . سوف يقبضه ويضعه تحت الجلد حرصا عليه . لن يقبل أى مساومة عليه ولو بقرش أبيض .

هز كتفيه وهو يرقب نداشة تعبر الشارع كان يود أن يشترى جهاز العروسة من حُرّ ما له ، لكن ما باليد حيلة .

لم تصدق نداشة أنها أمام مسعود الابيض البائع السمج . الذقن نظيف حليق . الشعر مصفف مفروق على جنب ومثبت بفروة الرأس بدهان ذى رائحة زاعقة . القميص « زىّ الفل » يشرب فوقه العصفور . البنطلون آخر موضه محزق ومكوى على سيفه . بالقدمين حذاء « لانج » فوق عينيه نضارة شمس غامقة . كتمت نداشة ضحكة كادت تفلت منها . لم تستطع الصبر ومالت إلى أذنه هامسة بأنه يظهر إبن ناس « مريشين » بحق وحقيق ، ولو وضع دبورة على كتفيه لحسبه الناس ضابط بوليس . خطف الصرة ودس أصابعه فى طياتها ولمس الشعر المخملى والأذنين الرقيقتين . حتى يطمئن أكثر انتحى ركنا وراء صندوق قديم ، فك عقدة الصرة حذرا . زغر من فتحة ضيقة مدققا ورأى عينى الكلب خرزتين زرقاوين . أغلق البقجة فى حرص إلاّ من ثغرة يتنفس منها .

سارا فى الشارع متلاصقين دون أن يلهيهما شىء مما يدور فيه . كانا يشعران بالخوف كلما اقتربا من العنوان حتى ألفيا نفسهما أمام البوابة الحديدية للعمارة . تجاوزها مسعود وهو يجمع ذهنه المبدد وتعرض لِكَرْشَة نَفَس تنتابه فى ساعات الحرج ، ولم يُجْدِ معها علاج أو رُقْية أمه . بسمل وتعوذ وأحس شيئا من الراحة . وحتى « يسبك » الدور وضع يده فى جيب البنطلون ، رفع رقبته ونفخ فى الهواء لكن صدمه ما فى جيبه من قروش معدودات ، هى كل ما معه مع بداية اليوم ودخل فى عملية حسابية خاف أن يتوه لو اندمج فيها . لقد اشترى الحذاء بكل ما معه من فلوس ، البنطلون والقميص استأجرهما من مكوجى صديق عمره لمدة ساعة . النظارة صاحبها ابن الجيران . بهدوء مزيف امتدت يده تسوى شعره . أخذ نفسا عميقا وهو يمر بمجموعة بوابين ألقوا آذانهم إلى واحد منهم يقرأ عليهم نشرة الأخبار وتلقى الرد من وراء أكتافهم . مرق إلى المصعد ودخله قفزا ومد يده يغلق الباب لكنه توقف عندما لمح طفلة مقبلة تقفز كالعصفور فى اتجاه المصعد كانت تلبس رداء مدارس اللغات وتحمل حقيبة صغيرة مكتظة بالكتب والكراسات وخرجت منها نهاية مَسْطَرة . شعرها الناعم تجمع فى ضفيرتين صغيرتين أحكمتهما فيونكتان من حرير أزرق عقدتا فى شكل نجمتين . تنتهى ساقاها القصيرتان بجورب أبيض وحذاء أسود أخرجت من جيبها منديل ورق ومرت به على عينيها . تأثر مسعود بما رآه ولعن فى سره زوبعةً هواء قامت بلا مقدمات منذ لحظات . تزحزح قليلا يفسح لها مكانا بجواره ، وامتدت يده تسك باب الأسانسير بعد أن انفردا به . قبل أن يسألها عن مكان نزولها ضغطت بأناملها الرقيقة على زر الطابق الأخير . عرض فى حياء أن يأخذ منها الحقيبة لكنها اعتذرت :

ـ مرسى يا أنكل .

لو طاوع نفسه لمسح عينيها الدامعتين . كان للدموع وقع ماء النار على جلده . قالت فى حروف متقطعة :

ـ أنكل .

هذه المرة تلفت يبحث عن إنسانة تناديه . سمع صوتها الدامع من جديد :

ـ أنكل . . ما شفتش كوكى ؟ .

- أنا أنكل ؟ . بتنادى يا عسل ؟ .
- نعم ياأنكل .
- كوكى مين ؟ !
- أخويا . . . زى أخويا . . . أنا ما ليش أخ .

سرح فى معانى العبارات ولم يشعر بالكلب وهو يزوم فى صوت مكتوم ويزق بقدميه فزاد من ضغطه عليه .

وقف المصعد وتقدمت الطفلة وفتحت الباب . تلفتت ثم قالت :

- انتظرنى يا أنكل عشان نسأل مع بعض على كوكى .
أنا مش عارفه أعمل « الدفوار » لوحدى . كوكى بيقعد معايا وأنا باذاكر صدقنى يا أنكل .
- دفوار دى غامقة قوى .

قالها لنفسه وهو يتأمل الطفلة وقد انتابه شتات ذهن مؤقت . عندما أفاق استرجع الكلمات فى استمتاع . « أنكل » مرة واحدة ياواد يا مسعود ! لقد عثر على كشف أثرى مدفون فى أعماقه . مكان صغير فى دنيا الكبار .

رجعت الطفلة وتشبثت بيده وهى تشده نحوها . أراد أن يسحب يده الخشنة فى لطف فلم يطاوعه قلبه واستبقى راحتها وهو يرنو إليها وقد تجاوزت ركبتيه بقليل . ملّس على مفرق شعرها وفرك الفيونكتين لكنه أسرع وسحب يده . طلب منها أن تغمض عينيها ثم تفتحها بعد قليل . فوجئت بالكلب يقفز فوق صدرها ويتشعلق برقبتها . احتضنته وأسرعت به إلى باب البيت تصيح وتصرخ . تبكى وتضحك . بنفس الحماس كان الاستقبال فى الداخل احتفالا بعودة الإبن الضال .

تسمر مسعود أمام الباب ينتظر مَنْ يدعوه ويشكره . ترقب ظهور صاحب البيت وكلما مرت اللحظات ازداد أمله فى مزيد من المكافأة ، وأخذ يهيء نفسه لاستقبال مَنْ يدعوه إلى الداخل فى حفاوة يستحقها بكل تأكيد . أخيرا ظهرت عجوز قرص رأسها مصبوغ بالحناء فوق عينيها نظارة سميكة الحجر ، وعلى كتفيها شال من الصوف .

جعلت تتأمله من فوق زجاج النظارة وهى تهز رأسها فى ابتسامة ودود . نطقت فى رطانة تركية مخلوطة بالعامية :

- إحنا ممنونين خالص . من حظ كوكى إنه كان عند ناس شبعانين عينهم مليانة ومش بتوع فلوس . عفارم عفارم عن إذنك . . .

أعطته ظهرها المقوس فى خطو ثقيل ، وكلماتها كدق المطارق . أغلقت الباب بصوت مسموع . وشعر كأن كلبا شرسا يتربع فوق صدره الذى ينزف دما ، اندلق لسانه الطويل من حلقه ، وعشّق مخالبه فى جسده .

بدا كمن فقد ذاكرته . لقد نسى كل شىء حتى اسمه . اختار أن ينزل من السلم الخلفى وأخذ يهبط السلالم الضيقة درجة درجة ، ودماغه مشغول بما سوف يقوله لتماسى التى تنتظره فى بير السلم . واجه سؤالا قاسيا . ترى هل ستصدقه ؟ . أخذ يشاور عقله فى موقفه منها عند الشك كادت قدمه تزل لولا زبّال العمارة الذى أمسك بيده وحال دون أن يسقط وتنكسر ساقه . تدحرج قلبه بين قدميه فانحنى يلتقطه خزيان واختل توازن الزبال فاندلق زنبيل القمامة على دماغ مسعود . لم يتأثر بل ظهر فى حالة غريبة من الرضا ، مع دهشة الزبال وأسفه المتكرر للبيه الذى ينزل من سلم الخدم . . .

القاهرة : عزت نجم

محمد محمود عثمان

# قصة: القادمون

عندما أزحت الباب الحديدى ، أحدث تحركه صريرا مكتوما . توقفت عن الضغط ، ونفضت برادة الصدأ عن يدىّ وملابسى .

رميت ببصرى إلى الداخل . كانت أشعة الشمس ما زالت تلقى بالظل تحت الأقدام ، حينئذ استطعت أن أميز بوضوح بقايا أوراق الجرائد الباهتة ، ومصاصات القصب ، وأغلفة علب الأدوية . وقد تناثرت زجاجاتها الفارغة بطول مساحة المدخل . خطوت بحذر ، ثم أسرعت الخطى كى لا يطول استنشاق الرائحة العطنة التى تملأ المكان .

قبل أول درجة من السلم المؤدى إلى أعلى توقفت . ثم استدرت يسارا ، لأواجه الباب الخشبى بلونه الباهت ومقبضه الذى انطفأ لمعانه بفعل الرطوبة والزمن البعيد . استجمعت أنفاسى وطرقت الباب برفق ، ولما لم أجد جوابا . طرقت بشدة وذكرت اسمى . جاءتنى نبرات صوته المتقطعة ، لكنى لم أستطع تمييز كلماته بدقة .

انفرج الباب وأطل برأسه . كان شعره مهوشا . وعيناه تبرشان فى استطلاع وحذر . ولما استقرتا فى محجريهما رأيت تلك النظرة التى كانت تبدأ هكذا بالتأمل ثم الفحص وغالبا ما كانت تنتهى بالتحدى والعناد اهتاجت مشاعرى واغرورقت عيناى حين نطق باسمى . مد يده وسحبنى إلى الداخل تعانقنا ولم نشعر بمضى الزمن ومشاعرنا تختلج ، بين عتاب ولهفة لقاه .

جلسنا متجاورين ، وما أن أزحت الغبار عن رأسى حتى سمعت تنهيدته العميقة . قلت وأنا أحاول السيطرة على مشاعرى :

ـ « أقلقتك » . .

تنفس بعمق ثم استكان وقال معاتبا :

ـ « لا تقل ذلك » .

أضاف بلهجة محطوطة وهو يتلمس شعر ذقنى النابت :

ـ « دائما فى انتظار الـ . . » .

ضج بآهة أسى ولم يكمل . طأطأت رأسى ، حتى لا أرى دموعه المترقرقة . احتوت عينى تزاحم أعقاب السجائر وبقايا أعواد الكبريت . تنفست ببطء وتلمست الأحرف الهاربة وأنا ما زلت أنظر إلى الأرض :

ـ « شدة وتزول يامنصور » .

ورحت أشغل نفسى بتأمل العود الأخضر الرفيع النابت بجوار زير المياه . خرج عن صمته وقال بلهجة خاطفة وهو يقفز قفزات محسوبة :

ـ « ساعد لك شايا »

تابعته حتى توارى فى الداخل ، ثم أخذت أتطلع إلى المكان : كان نشع الجدران الملحى واضحا وفى الأماكن التى مازالت تحتفظ بالغطاء الجيرى انحرفت ببصرى قليلا كانت الأرفف مكتظة كعهدها بالكتب والمجلات ، بينما تبعثر بعضها فوق المكتب الصغير . كان أغلبها متداخلا وبشكل متعمد ، وكان يعلوها غبار خفيف .

وتوقفت أمام الاطار الذى يحوى صورته وهو يحمل طفله ( سعد ) . وكانت تجاورهما تماما صورة أمه ، بوشاحها الأسود . كانت ملامحها لا تختلف كثيرا عما امتلأت به عيوننا وحفظته جيدا . استدارة الوجه . . العينان السوداوان ، بنظرتها الودود . والشفتان اللتان كثيرا ما نطقت أسماءنا ، فيما كنا نترقب لهفتها علينا ، حين نغيب عنها طويلا .

كنت أتشوق لمشاعرها الدافئة ، حين تخاف وتحنو علينا ، حين تلسعنا الزنابير التى كنا نتفنن فى اصطيادها ، وتجمعيها ، ثم نقوم بإطلاقها فى تنافس ولهو محبب ، بعد أن نربط بأحد أرجلها خيطا ، كان ينتهى بريشة طائر .

كانت تقفز الدرجات فى عجل ، وتحضر بعضا من تراب الفرن . كانت تصنع منه عجينة ثم تضعها فوق مكان اللسعة . وكنت أسألها عن فائدة ذلك فكانت تقول :

- «تعلمناه من أمهاتنا . . على الأقل لن يضر إن لم ينفع .» .

كانت تلاطفنى دائما وتقول وهى تقدم لى طبق (العجمية ) أو حفنة (المفروكة ) التى كانت تجيد صنعها :

- «أنت فى غلاوة ابنى منصور» .

كنت أفرح ، ويندفع الدم إلى وجهى ، فتضاحك وتكمل :

- رفيق . . أنت تخجل منى» .

كنت أتلجلج فى الرد بينما تربت على كتفى ثم تتنفس بعمق وحسرة واضحة :

- «الله يرحمها . . كانت أختى» . .

أومىء لها برأسى ، فيما كان يشتد خفق قلبى ، وتنظر عيناى الى البعيد ولا أرد .

تفتح وعيى وهى تناديني بابنها ، وكنت لا أعرف دفء أمومة سواها ، رغم أن الكثيرين حولى كانوا يذكرون أمى التى ماتت وهى تلدنى . فأكتفى بأن أؤمن على كلماتهم وأهز رأسى ، ويلفنى شعور غامض وأنا أقول :

- «الله يرحمها» .

كنت ما أزال أنظر إلى صورتها ، حين جاء بالشاى . أفسح مكانا فوق الكتب للصينية القديمة ، التى كانت تحمل الأكواب . حاول أن يرسم على شفتيه ابتسامة واضحة ، ونظر إلى وقال :

- «هل تتذكرها؟ »

اتسعت عيناى ، وقلت مستنكرا وأنا مازلت أتشبث بصورة الأم :

- «كيف تقول ذلك !» . .

وتنقّل ببصره بين صورة الأم وبينى وقال مستدركا :

- « أقصد تلك الصينية » .

هدأت قليلا ونظرت إلى الصينية . كانت ما تزال بنقوشها ، وثبات ألوانها . قال وكأنه يحاول استرجاع مشاعرنا القديمة :

- هل تتذكر زهونا بها حين رأيناها أول مرة ؟ .

قلت بلهفة :

- «أتذكر يوم فرحنا بها . . لأننا أنتجنا سلعة نظيفة .

كان فرحنا لا يعدله شىء . وتذكرنا صحيفة الحائط التى خصصنا عددها حينئذ لذلك الحدث ومعناه ، وهتافاتنا العفوية ، يوم ذهبنا نجوب أقسام الكلية ، نلقى الأشعار والأغنيات الحماسية ، نعلن استمرار المرحلة الجديدة التى كنا قد بدأناها بإنتاج الابرة . .

- «كانت مرحلة تحد لتحقيق الذات» . .

قالها بثقة واعتزاز . .

حاولت أن أتخفف من حدة التوتر الذى صارت له الغلبة أخيرا وقلت :

ـ « كانت تجربة لم تكتمل . . ومن الصعب إصدار الأحكام عليها بشكل نهائى » .

التقت نظراتنا . ووجدنا أنفسنا ننطلق فى قهقهة مفاجئة . حين استدركنا أن الشعر الأبيض قد انتشر برأسينا . وأطلت من عينيه تلك النظرة العنيدة . غير أنها سريعا ما تهاوت . واستحالت إلى وهن وحزن لا يبدو له آخر . حين عانقت عيناه الصورة المعلقة . كنت أدرك أن حضورى إليه قد شق جرحه القديم أيضا ، رغم مضى الزمن ، وتعوده على غيبتهم . . أمه وزوجه وابنه . لقد كان حزننا شديدا ومروعا وكأننا استجلبنا كل طاقتنا ، التى اكتشفنا مداها الهائل للحزن الفوار ، حين ماتت الأم . التى ما خطر لنا أن نفقدها أبدا . بعدها صار كل شىء باهتا . وبلا مذاق .

وفى محاولة للخروج من ذلك الحصار المدمى كثر إلحاحى أن يتزوج . قال فى شبه رجاء :

ـ « نتزوج معا »

قلت وأنا أنتزع مخارج الحروف :

ـ « لن يعوضنى شىء عن قسوة فقد الأم مرتين » .

ورغم أنه لم يقتنع تماما بجدوى رجائى ، تزوج بإحدى قريباته وأنجب « سعد » وكان سعيدا بتفوقه فى دراسته ورجاحة عقله . وقبل تخرجه من كلية الحقوق بعام واحد . حدثت مظاهرات ١٨ ، ١٩ يناير ، وعاد إلى بلدته محمولا فوق الأكتاف . أصرت أمه حينئذ أن ترى وجهه ، قبل أن يوارى

التراب . . وبعد إلحاح شديد رفعوا الغطاء عن الوجه . . كان مكفهرا والعينان منتفختين وحولها زرقة واضحة . شهقت أمه عاليا ، وسقطت لحظتها . ولحقت به فى نفس اليوم . .

مرت لحظة صمت ممتدة . قبل أن أفرغ من كوب الشاى . مواصلا النظر إلى الصور المعلقة . اختلست التفاتة نحوه . رأيته ينظر إلى الصور أيضا فى تأمل عميق ، كمستغرق فى صلاة . تحولت بعيق بعيدا ثم وجدته يفاجئنى بسؤال مباغت :

ـ « هل أعجبك الشاى ؟ »

قلت وأنا أخفى اضطرابى ، وأكتم مشاعرى :

ـ « الشاى ؟ »

أو ما سريعا برأسه وهو ينظر إلىّ فى تطلع . قلت وأنا استجمع رباطة جأشى ، وأتاهب للرحيل :

ـ « لقد كان مرا » . .

وألقيت بالتحية وبعض كلمات مقتضبة بوعد بلقاء آخر وخرجت أعدو .

استقبلت الشارع الترابى برحابة ، ثم وجدتنى أتوقف وأدور حولى ، وأستدرك أنى لم أجد أحدا من الناس بالشارع ، ولم أسمع حتى أصواتهم . وقبل أن أكبح شكوكى تماما ؛ وأواصل عدوى ، تناهت إلى سمعى أصوات شبابيك وأبواب كثيرة وهى تغلق فى تتابع وحذر .

سوهاج : محمد محمود عثمان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فوزى شلبى

# قصة: تحت الظلال

تنسكب الإضاءة على البلاط ، وتلقى ظلالاً مهتزة على أركان الغرفة . الوقت يمر بطيئاً ، ولا شىء يتغير داخل ليل المستشفى .

نظر « فرج » إلى النافذة ، وسحب الغطاء على وجهه ، ثم ترك ثغرة تسمح برؤية السماء التى أحالها الزجاج والمطر إلى لون داكن . وبقلق من بقلبه وجع انتقل إلى جانبه الأيسر ، أحكم الغطاء ، وأغمض عينيه . وقبيل الفجر أيقن أن مشكلة نومه لن تحل !

دهمه أنين صادر من حنجرة تتمزق أحبالها ، وانتفض ؛ وبالغريزة التفت .

كان « عبد الواحد » قد رفع الضماد عن عينه اليمنى ، وطمس الجفن بالمرهم ، ثم أحكم رباط الشاش ، ونظر بعينه اليسرى ناحية العم « جمعة » ، وفى لحظة تثاءب ، وغاب ثانية .

وكان العم على وضعه ، يتوجع وجعاً طال بعض الشىء .

تبين أن الأنين صادر من حجرة أخرى ؛ فاقشعر جسد « فرج » بخوف طفل مذعور أسلمه إلى عينين مفتوحتين لآخرهما .

انسل من مكانه ، قائماً ، متحركاً ببطء ناحية النافذة العريضة التى تتزلق عليها أمطار بداية الشتاء .

كانت أرض الشارع تلمع وقد غسلتها قطرات المطر المتلاحقة . لاحق عجوزاً يجر عربة ، يسير عدة خطوات ، ويقف بضع لحظات . رأى أعمدة النور وقد أطفئت مرة واحدة ؛ وتركت الدنيا لضوء الصبح الدانى . وتتابعت العربات الكارو ، المتلفعة بالخيش خشية المطر ، تحلقت حول المستشفى ، والوسعاية الملاصقة ؛ التى يسوِّرها السور الواطىء .

تذكر أنه مرّ مرّة ، أو مرتين ، أو عدة مرات ، بهذا السور ، ورماه بنظره عابرة ، ومن فجواته شاهد حركة غير عادية ، ومضى ــ كغيره من المارة ــ دون أن يلفت نظرة شىء .

* * *

ممرضة تدفع الباب وعيناها فى دفتر الأوامر ، قالت :

ــ خروج اليوم ياعبد الواحد .

وتنفست بارتياح لما تبين لها أنه لن يحتاج إليها .

تنهد « عبد الواحد » وتبدلت ملامحه .

وهم « فرج » بالسؤال ؛ فقالت الممرضة دون أن تلتفت :

ــ بعد ظهور الأشعة ، ونتائج التحاليل يتحدد موعد العملية .

ابتلع الصمت ، ودارت به آلاف المشاعر . جلس على حافة السرير ، وأعطى ظهره للغرفة ؛ كى لا يرى حقن العم « جمعة » : أغمض جفنيه بشدة ، وتداعت فى رأسه الخواطر وارتجف .

وارتجف أكثر ، وأكثر وهو يقترب من النافذة !

هواء الصبح الرطب يملأ الجو بنعومة خانقة ، والرجال ـ سمر الوجوه ـ يملأون الأرض الملاصقة للمستشفى ، التى يحدها السور ، يرتدون ملابس غريبة الألوان ، خفيفة ، تصل إلى الركبة ، أكمامها القصيرة تبرز منها الأذرع المفتولة ، وعيونهم مشدودة بخيوط خفية صوب الحجرة الوحيدة بالمكان .

يصدرون أصواتاً متداخلة ، مجرد همهمة ، مكتومة ، منفعلة ، ترتفع وتنخفض . تدور بينهم حركة واسعة النطاق ، تنتهى الحركة إلى طابور طويل ، متحرك ، يتم فى رهبة ، وشىء كالمقت .

برعشة وثقل تمتد الأيدى إلى كومة الجواريف والمقاطف . ترتفع الفؤوس إلى أعلى ، تهبط وترج الأرض التى لا تخلو من بقعة خضراء . وتمتلىء المقاطف بالطمى ، وتصعد إلى الأكتاف بخفه وخوف والشمس تسقط أشعتها المريضة على الأرض ؛ فتبدو مجرد لون أنيمى .

ينسجم العمل فى صمت ثقيل مرهق . الكل يمشى رافع الرأس لا يلتفت ، جامد العين لا يطرف . يفرغ الردم عند السور المقابل ، وينضم بخطى أكثر سرعة إلى طابور العودة ، صموتاً ، لا تتألق فى مقلتيه الثابتتين سوى النظرة التى تصنع خيط العنكبوت الذى بات يلتف حول الحجرة .

وتجرى بينهم كرة ، تتقافز على الأرض . يحدق كل منهم ـ إليها ـ واجف القلب ، وتتفاداها الأقدام ! يخترق السور صبى ، يجرى ناحية الكرة ، يمسكها ، ويولى ظهره عائداً . يتخطى السور . يقذف الكرة ، يترنح ، ويصطدم بمتصابية تجول بناظريها فيمن حولها ، ترمق شاباً بنظرة لا تخلو من تشجيع ، يقف الشاب بجوارها غير ناظر إليها ، يزداد اقتراباً منها ، تخطو معه خلف ستار من الأصوات ، وعوادم السيارات ، وصندوق خشبى محمول فوق أكتاف رجال أربعة . وامرأة تشد شعرها ، ويغتصب الصمت الجانب الأكبر من الطريق . ثم تزمجر السيارات ، ويستأنف الأولاد اللعب ، وتبدأ الضجة المكتومة .

تدور أفكار « فرج » فى دائرة واحدة من وهن وخمول . يحس رتابة شاحبة ، مرهقة . يشعر أن وجوده رخو ، وأن الظلام يتجمع ، ويجثم عليه .

* * *

وتوقف « عبد الواحد » بعينه الواحدة أمام سرير « فرج » . تأمله طويلاً ، ولم يشأ أن يوقظه . وأوصى زواره أن يتركوه إلى أن يستيقظ قائلاً :

ـ إنه لم ينم طوال الليل .

وانحنى ليقبّل العم « جمعة » الذى تنقبض ملامحه ، وتتقلص فى حدة . حاول أن يخفى ما بداخله ويبتسم فى وجه العم ! وفى لحظة أدار ظهره ، وبكى ! .

وكان بعض الرفاق قد فرغوا من جمع حاجات « عبد الواحد » . وصار السرير الثالث بالغرفة خالياً ، تعرى وبدت المرتبة ، والوسائد ، ممتلئة بالبقع المنداة الداكنة .

* * *

استعان « فرج » بأشلاء إرادته على خور الغيبوبة . وجد نفسه محاصراً بأشباح الأهل ، والأقارب حول سريره . أراد أن يرفع رأسه عن الوسادة ، ويلقى نظرة على العم ، إلا أن ثقلاً من الرصاص جذبه إليها .

ارتكز على ذراعه ، وحمل رأسه إلى النافذة التى أسند ظهره إليها .

وكان الألم يتشكل لوحة مقبضة على وجه العم ! وانقبض « فرج » وشعر بغصة فى حلقة حينما اصطدمت عيناه بسرير « عبد الواحد » الخالى .

ولما ردَّ على الأدعية والمجاملات خرجت الحروف من بين شفتيه متداخلة .

ونط عقرب الثوانى فى ساعة يده عدة مرات ، كل مرة بقفزة لها دوى هائل الانفجار فى صدره ، واختنق معصمه ؛ فانتزعها بعصبية . أرخت أعصابه بعض خيوطها لما تأكد أنه غفى أكثر من خمس ساعات . وكان عمال المستشفى قد أتوا بطعام الغداء ؛ فلم يكتم واحد من الزوار انفعاله .

ضحك « فرج » بمرارة ، وغمغم بصوت منهدج ينم عن هياج مكتوم . وانداحت الحكايات والمواقف ، ودخان السجائر يلوّن الغرفة بالبقع الضبابية المتحركة .

أنصت قليلاً ، ثم انسحبت روحه بالتدريج من اندماجها التام بعالمهم ، واتخذت موقفاً محايداً . تراءى له ـ للحظات ـ انه لم ير هذه الوجوه من قبل ! . . أصبحت عيناه تهيمان وراء أشياء عديدة . اعتصرته قبضة صمت قاس حالما رأى طابور الحفر وقد تحول إلى دائرة هندسية ، تلتف على بعضها ، لا يخل إطارها أو يزيد قطرها . كالنحل يصعدون ويهبطون ، من البئر وإليها ، حاملين على أكتافهم ( مقاطف ) الطمى والأتربة . ينحدرون فى طابور متلاحق على حصى الأرض حتى يصلوا بها إلى الكوم ؛ فيكونونها تلالاً تلالاً . وتستطيل خيوط النظرات ، ويتحول رداء العنكبوت إلى ستارة تتوارى خلفها

الحجرة ، وتختفى تماماً .

والمياه تنهال بشدة ، وعنف فى زخات قوية ، ثقيلة ، فوق رؤوسهم .

وفيما زواره يثرثرون يتمدد وابتسامة تعب تطوف فى رأسه ، ولا تظهر على شفتيه .

* * *

كانت الشمس قد ظهرت بين سحابتين كبيرتين . تتبع « فرج » إحداهما وهى تتمزق إلى دوائر فى حمرة داكنة تهض معرضاً وجهه للشمس . فرد ذراعه ومدَّ ساقه ، واحتوته النافذة !

رأى الفؤوس والمقاطف وقد عادت سيرتها الأولى ، وشاهد من يغتسل بماء المطر . وانزوى نفر منهم وعادوا بأربعة حوامل ، وأربع أوان ضخمة . وبدأ اثنان مهمة إجلاس الجمع فى طابورين منتظمين ، ثم جلسا بدورهما فى المؤخرة ! ولم يغير أى منهم وضعه ! جميعاً يجلسون القرفصاء ، يد كل منهم ممدودة إلى الأمام حتى ركبتيه ، اليد قابضة على الأخرى ، تختفها ، والرؤوس تنحنى فى زاوية حادة .

وكانت النظرات تغزل ـ ماتزال ـ تلك الخيوط التى تتكاثف فى غزارة فوق رداء العنكبوت ؛ ذلك الرداء الذى استحال ستارة غامقة ! .

والأصوات الصاخبة تنزلق إلى داخلهم ، وبدلاً منها تخرج أصوات غير واضحة . ويبدو أن واحداً منهم ينظر ولا يرى قدميه ، وإنما يخترق ببصره الأرض التى يجلس عليها ـ ما تحتها ، هائماً فى المجهول القابع داخل الأوانى الأربعة . ويحذر أن يصدر منه أقل نأمة ، أو يبدر من جسده أدنى اضطراب ؛ فزملاؤه أمامه يقومون بعمل كل شىء . وفى دوره ينهض لتناول طعامه ، لا يتقدم خطوة ، ولا يتأخر خطوة .

ويغمض البعض عينيه ليزدرد ما بين راحتيه ، وآخرون تطفر عيونهم بالدموع ، وقد تملكهم حزن وأسى . وتتكفىء الأوانى . تتدحرج على الأرض الطينية ، وقد تبادل الزملاء الأربعة ما بها ، ونال كل منهم نفس القدر ، بلا زيادة أو نقصان ! .

وصار وجه « فرج » عاكساً لألوان خاطفة !

* * *

ثمة تيار بارد يهب . والشمس ارتدت إلى جوف السماء ، وابتعلها السحاب .

وكانت أفواههم تلوك حديثاً معاداً . تحلقوا فى مكان صغير متفرع من الساحة الرئيسة وامتدت الأيادى وتداعبت !

افترشوا الأرض . ارتكنوا إلى حائط مهدم . وبقى بعضهم منطوياً فى زاوية على حافة البئر ، وآخرون يساند بعضهم بعضا فوق الكوم ، وقد امتصهم شىء مذهل ، محير ، ألهاهم عن أنفسهم ، وعن الزمان والمكان . ونظراتهم تنسج ـ ماتزال ـ خيوطها العنكبوتية ! .

وتطلع العم إلى « فرج » طويلاً ، ثم انطفأت نظراته . وفتح شفتيه فخرجت تلك الأصوات الغريبة ، وظلت أسنانه مطبقة بعضها على بعض ، كما ظل يصارع ألمه المتواصل بالأنين والسعال .

وبلا إرادة امتدت يد « فرج » إلى سيجارة ، وأشعلها بصعوبة .

* * *

أطل شبح عليهم ! .

أطل الشبح من الحجرة الوحيدة بالمكان .

أطل ؛ فتمزقت خيوط العنكبوت ، ثم تلاشت تماماً .

عادت الحجرة ، واستوت للناظرين لما ارتدت النظرات وغاصت فى الصدور .

وخرج الشبح .

خرج ملتفاً ببطانية ثقيلة ، ولم يبتعد عن الباب الذى يتسرب منه البخار مختلطاً بضوء الكهرباء .

وزعق الشبح .

زعق ـ فقط زعق ـ وارتد إلى حجرته . أحكم غلق الباب ؛ فهجمت خيوط العنكبوت ، واختفت الحجرة ثانية .

* * *

تفجر الصمت ، وفقدت الأرض اتزانها .

تحولت القطعة المسوّرة إلى بحيرة مضطربة ، هائجة .

دبت حركة رعب خلعت كلا منهم من مكانه ، حركة غامضة ، سريعة ، سرت فى الجميع .

تحركوا للخلف ، وتكون الطابور ثانية . وفى سرعة عجيبة انتظم العمل .

انتقلت الفؤوس والجواريف إلى الكوم العالى .

صارت التعبئة ـ هذه المرة ـ من الكوم ، والمقاطف تفرغ الطمى فى البئر ! .

أجال « فرج » نظرة طويلة فى وجوههم ، وقد خيم عليهم الصمت . شعر بتسارع نبضه كأن قلبه يوشك على الانفجار . تأمل الوجوه ، وابتلع حزنه فى مرارة ؛ فالدائرة ، تدور تنقص

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قدراً من الكوم ، وتردم جزءاً من البئر ! تنقص لتردم ، وتردم لتنقص . تهب الرياح ، تخيمهم موجة من الغبار الممرض ، وهو مذهول ، يفرك عينيه ؛ أصابعه يضغط بعضها على بعض . تتكور قبضة يده ، والعينان تبحثان عن لا شيء .

• • •

غاصت الكلمات فى الأفواة وخيم الصمت .

الصمت ، ولا شيء غير الصمت ، ماعدا الحركة الثقيلة الحافلة بالحزن ، والشيء الغامض المحير ، الذى يريض فى كل حركة . حتى حركة الأجسام وهى تستدير لتقاوم التعب والحذر ، والسعال الذى يأتى فجأة ، وقطرات الدموع التى تتساقط دون إراده ، والتى تحفر فى قلب « فرج » مجرى عميقاً لا يتوقف عن النزف .

وهزته الممرضة :

ــ قرر الطبيب إجراء العملية لك صباحاً .

وهى تدير ظهرها لتحقن العم ، أضافت :

ــ لابد أن تصوم من الآن .

ولما أغلقت الباب خلفها انفتح زجاج النافذة . دخل الهواء بارداً ، عنيفاً . اصطكت أسنانه . وبصعوبة رد ضلفة الزجاج . وراح يتطلع إلى العم ، يديه الممدودتين ، عروقه النافرة . رآه غائر العينين . تحسس معصمه وصدره ؛ فتأوه العم وتلوى . ضغط بأسنانه على شفتيه حتى أدماهما ، امتلأ فمه بالدم الذى انفجر .

هرول « فرج » إلى غرفة المراقبة .

أقبل طبيب وحكيمة وممرضة ، وفشلوا فى إيقاف الدم .

بعد قليل حملوا العم ، ومعه النزيف إلى غرفة العمليات .

ودخل ضوء الممر من زجاج البا ، وانعكس على السقف .

مرت رعشة فوق جسد « فرج » وهزته بعنف . بقى فوق سريره ، محموماً .

سكون الليل ما يزال مضمخاً بروائح اليود واليوسول .

وخارج المستشفى نبح كلب مرة ، ومرتين ، ثم سكت .

والبلدة يلفها . الضباب ، كأنها معلقة بين السماء والأرض ، وأذن « فرج » تمزقها أصوات لا تميز . وفى صدره شيء مخنوق ينتفض .

تحامل على ذراعه ، ارتكز وشيع نظره .

كانت السماء مكتنزة بالسواد الثقيل القاهر . ومصباح الشارع البعيد يمد حبلاً واهياً من ضوء يتراقص ؛ فيخلف جوا من الغربة ، والخوف .

وكان الماء راكداً ، والأرض المسّورة ( بسور الحطب الواطىء ) معتمة ، ومسطحة ، فالبئر قد ردمت ، والكوم قد تلاشى . وفناء الأرض ــ وهو خالٍ ــ يبدو أوسع مما كان ، بارداً ، ومقفراً ، ومجدوراً بمئات الحفر التى تحولت إلى برك صغيرة من الوحل .

وظل البخار يتسرب ــ مختلطاً بضوء الكهرباء ــ من الحجرة التى تمتص خيوط العنكبوت ، تلك التى تنبعث من عيون تلمع ، وتبرق فى الظلام .

ولم يسمع « فرج » سوى غطيط خفيف ، وأنين خافت مكتوم .

ولم ير سوى هرة ساكنة ، خرساء ، غارقة فى الوحشة .

طنطا : فوزى شلبى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

على عبيد

قصة

# حكاية طفلة فى العشرين

راح يتبعنى ، كُنا فى الصيف وكنت أمشى فى شارعنا فترة ما بين الظهيرة والعصر ، لم أكن أعرفه من قبل لكننى لمحته يتأملنى ، ابتسمت ، اقترب منى ، قال :

« أنت حلوة ! »

ابتسمت مرة أخرى ، ازداد منى اقتراباً التفت إليه لأرى وجهه جيداً ، كانت ملامحه جميلة وكان يبتسم :

« ما رأيك لو نذهب معاً إلى الحديقة ؟ »

قالها بتردد ، ابتسمت لأننى أحب الأشجار . .

فى الحديقة جلسنا على أحد المقاعد الخشبية وطلب منى أن أحدثه عن نفسى ، فرحت أحكى له عن قطة صغيرة كانت تحبنى ، أحببتها ، ويوماً كانت جائعة ، هربنا معاً لسطح بيتنا فى جيبى طعام ، وبينما هى تأكل الطعام الذى خبأته لها نزل المطر علينا ، وعلت فى الجو أصواتهم تنادينى ، خفت على القطة ، لم أنزل لم أتكلم حتى صعدوا السطح ، ضربونى ، ضربوا القطة حتى ماتت . .

فرحت أصنع من ملابسى المهلهلة ومن الورق قططاً صغيرة جميلة . أتحب أن تراها ؟

« لا »

« أنت مثلهم . إنهم لا يحبون قططى الجميلة »

« هل وضعت أصباغاً على وجهك ؟ »

أتعنى الظلال الزرقاء حول العينين والحمراء فوق الخدين ؟ »

« نعم »

« لا »

وقف فجعلنى أقف ، ونحن نتجول فى الحديقة سألنى : « أطالبة أنت ؟ » فتذكرت أنهم أخرجونى من المدرسة ، كنت صغيرة فى الثامنة من عمرى . كنت أحاول أن ألعب مع العيال خلسة ، لكنهم كانوا يبحثون عنى ليمنعونى من اللعب ، كانوا يضربوننى حتى يتفجر الدم من جسدى . عاد يسألنى من جديد فجعلنى أتذكر أننى كنت أبكى فى الليل وحدى دون دمية ، قلت : « لنترك الآن الحديقة »

قال : « أحب أن أراك »

ثم طلب منى أن ألقاه فى الليل ، لكننى امتنعت لأننى أخاف الليل وأحب أن أنام فيه ، الغريب أنهم فى الزمن القديم كانوا لا يسمحون لى بالنوم إلاّ بعد منتصف الليل .

قلت : « ما رأيك لو نلتقى فى الحدائق التى بمحاذاة النهر »

قال : « متى ؟ »

قلت : « غداً فى النهار »

وفى البيت رحت ألعب مع قططى الورقية حتى غلبنى النوم لحظتها تمنيت لو أن لى جدة لتحكى لى حدوتة قبل نومى . ذلك لأننى لم تكن لى جدة بالفعل ، ولم تكن لى أم تهدينى قبلة المساء . بكيت . .

فى الصباح كنت أجرى ، وكان يجرى خلفى ليلحقنى ، أحسست أنه يتعب بسرعة

قال : « لا داعى لهذه اللعبة »

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قلت : « إنها حلوة »

لكن صدره كان يعلو ويهبط بشكل مخيف ، جلسنا سوياً بين الأولاد فوق أرض الحديقة الخضراء ، رحت أضحك ، أنظر إليه وأضحك .

قال إنه لا يصدق . .

قلت : « أنا لا أكذب » وقلت : « ليتك تحكى لى حدوتة من حواديت الزمان القديم »أخرج علبة سجائره ، راح يدخن لكننى لمحت العيال يرتفعون « بالمرجيحة » عالياً بالقرب من السماء ، كنت فرحة إلى حد أننى تركته ورحت أركب معهم . . نبهنى ولد كان معى فى المرجيحة أن رجلاً ينظر إلىَّ فى غرابة

قلت : « إنه يعرفنى » ثم قلت : « إنه ينتظرنى »

كنا نطير فى الهواء ، وكنت أطير من الفرح . .

ونحن نمشى تحت الأشجار سألنى عن عمرى قلت : عشرون سنة قال مرة أخرى إنه لم يصدق .

اقتربت منه أكثر ، كان وسيماً ، وكنت فى مثل طول قامته قال إنه تزوج مرة لكنهما افترقا قبل عامهما الأول .

قلت أسأله : « هل أقمت فرحاً ؟ »

سرح . . عدت أسأله : « هل الزواج حلو ؟ »

قال وهو يبتسم : « ستكونين امرأة رائعة . بل أنت رائعة بالفعل »

ضحكت ، نظر إلىَّ فى خجل ، أدركت أن ضحكتى كانت عالية ، لم أتكلم ،

قال : « ما رأيك لو شربنا زجاجتين من الكوكاكولا ؟ »

قلت : « ما رأيك لو نشترى كرة ملونة ؟ »

قال : « لماذا ؟ »

قلت : « لنلعب بها معا تحت الأشجار »

تأملنى طويلاً كما لو كان يتفحصنى فقلت متسائلة :

« أو لم تلعب مع الأطفال يوماً ؟ »

لم يجب فعدت أسأله : « هل كانت لك دمية تحبها ؟ هل كنت طفلاً صغيراً ؟ »

قال بصوت ملىء بالدهشة :

« لم يعد أمامى وقت »

ثم تركنى ، ولما أصبح بعيداً كان أطفال الحديقة يلتفون حولى ، يدعونى للرقص . .

القاهرة : عل عيد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عبد الحكيم حيدر

# قصة: العصافير

نحن العصافير مساكين ، لا نعرف الحقد ولا غلكه نطير . ونحط على الأرض ننبش فى التراب . ترسم أقدامنا على التراب عناقيد كثيرة وخرائط مبهمة . آثار أقدامنا على التراب حنونة وهينة وتمحوها الرياح ، أى رياح . نتأمل آثار أقدامنا ــ من فوق فروع الشجر المنزوى على الترع ــ بعد هبوب الرياح ــ فلا نجد لها أثرا . . نحدق . . ونظل نحدق . ثم نطير .

قالوا عنا إننا نأكل نصف الحب من الأكياس ، وتشق ــ على قولهم ــ مناقيرنا الأكياس ، مع أن حوصلاتنا رقيقة رقيقة ، ويستطيعون أن يروا ما بها .

صحيح أن « أبو فصاد » من أبناء عمومتنا ، ولكن له ريشه الخاص . ونحس ــ وهو معنا ــ على الترعة ــ أنه يشرب الماء بالملعقة صحيح يا إلهى أننا لا نرى معه ملعقة ، ولكن هيئته ورشاقته وغطرسته فى الشرب تهيىء لنا تلك الظنون .

يشرب ــ حتى ــ بعيدا عنا . وكلما اقترب عصفور من مكانه ، نفر فى الماء ، وأخذ يحدق فى ذلك العصفور من فوق لتحت ، ثم لم جناحيه فى خُيَلاء ، ودار على رجليه النحيلتين دورة كاملة ، ورفع عنقه للوراء ، ثم اعتدل . قفز عدة قفزات . ضرب الماء عدة ضربات برأسه ، وحدق الشمس فى غطرسة ، ونفض ريشه ، ثم شتم ، وغمغم للأرض والبحر والعصافير . وبزق بعد أن أعطى مؤخرته للعصافير .

يضربنا الصغار بالحصى ، دفاعا عن سنابلهم ، وينساب الحصى من أكفهم الصغيرة الشقية ، فنزقزق ، ونطير ، ولا نحزن

نحط على أشجار العنب . يكفهر ــ منا ــ الشجر ، ثم ينتفض ــ منا ــ مرغما ، وتسقط الأوراق الجافة المتدلية ، فتدعو علينا العناقيد . وينطلق الحصى من أكف الصغار رصاصا دفاعا عن العناقيد . يصيبنا الحصى الصغير فى الرؤوس ، نتذكر أجساد صغارنا العارية ولسع الشتاء . نعاند . ونخاف . نسقط من فوق العناقيد . ننكمش فى شقوق الأرض كالضفادع مع أننا عصافير .

ينطلق الحصى من أكف الصغار مرة أخرى ، حتى تمتلىء الشقوق ، وتنطلق الصفارات وينطلق الوعيد ، فنطير وراء جدتنا ، ونزقزق بصوت مخنوق دون أن تتحرك أو تمرح الأجنحة . ولا نشتكى لأحد .

نرى حبة عنب معلقة بفم جدتنا ، فنطير جميعا وراءها ، نهلل لها ونحرسها فى الجو من كل شىء . ونحط كلنا على شجرة سنط نزقزق ، ونلتف حولها ، ننقر حبة العنب المدلاة من فمها . يُنظر علينا طرف حبل يلسعنا جميعا ، فنطير ، ويصطدم من يصطدم بالفروع ، وينغرز الشوك فى أعين الصغار ويسقط المصطدمون فى الترع ، ويسيل الدم من حوصلات من حُبسوا فى الفروع الشائكة الكثيفة . يحدق من نجا منا على الفروع العالية البعيدة فى شجرة السنط . نرى نهاية ذيل جدتنا ينزلق فى فم ثعبان غليظ ، فيصيبنا الرعب . نطير .

نقف على بعد أمتار . نحدق فى الثعبان . نرى جدتنا تنزلق فى جوف الثعبان ، وعضلات الثعبان كلها تتموج ، وصوصوات جدتنا ـ فى بطنه ـ تموت . نحدق أكثر فى الأرض التى حولنا . نرى أبو فصاد ينبش فى جوف عنبة حمراء ، كانت منذ قليل بين مناقيرنا . نحاول جاهدين أن ننبش حولنا ، لا نجد سوى القش . تُفاجئنا حصوة من نبلة خلف شجرة . نطير جميعا ، ونترك خلفنا واحدة رقدت على جنبها .

نخاف يتملكنا الذعر من الثعبان والصغار والفئران ، حتى من السمك الذى فى البحار . نطير . يخاف بعضنا بعضا أشد الخوف مع أننا لا نملك الحقد . نطير وكل منا يطير مسافات طويلة طويلة . يقع منا من يقع فى الحفر ، ومنا من يقع فى البحر ، ومن يُدفن تحت ركام الثلج ، ومن تصعقه الأسلاك الكهربائية . نطير ولا يبقى لنا سوى الطيران والشوق للرزقة والبحر والماء .

نحدق من بعيد فى بعضنا ، فتزداد خوفاً ورعبا ونواصل الطير .

تفرقنا الميادين والطرق والنبال والثعابين . نولد ياإلهى صغاراً نزقزق ، ونموت بالخوف وحيدين ، مع أننا لا نملك سوى الأجنحة .

يصير الماء ملحا . نلتقط أنفاسنا ، ونهبط . ننام على أجساد بعضنا ، ومع أول شعاع من الشمس نصحو . نقسم ـ بيننا ـ ما بقى فى مناقير بعضنا من الحب والرمل والملح وبقايا ، العنب . ننبش فى الأرض . تهلل فى وجوهنا الديوك وتصيح ، فنطير .

ونواصل أنت يابحر سد المساحة الزرقاء الممتدة أمام أعيننا ، وكل الأمواج ـ فيك ـ تنتحر . ويزداد الملح ، فنطير . ولا نرى على وجه ماء البحر الحزين سارية ولا علما ، فنشكو إليك ياإلهى . ونواصل الطيران بتعب .

المنيا : عبد الحكيم حيدر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عزيز الحاج

# قصة: الجائزة

في المطعم - المرقص كانوا قد فرغوا من زجاجة الويسكي عندما جاءتهم الخادم الشقراء بما طلبوا من طعام وزجاجة من النبيذ الفرنسي الأحمر «بوردو» .

واصل بن حمود كلامه ، وهو يرتشف قدحا من النبيذ ارتشافة ذواقة للخمر : والله يا أستاذ إياد ، روايتك الأخيرة هايلة ! فيها تجديد وعوالم مدهشة . لا تزال جميعا تقول انك الأولى بالجائزة .

فأجاب إياد بنبرة جد تنم عن زهو ومرارة : «نالها من لا يستحقونها ، وتجاوزت من يستحقون . لقد سيسوها كما تعلمون .

فعقب بن حمود :

وحياتك يا أبا رندة . . . هذا لا ينتقص من قيمتك ومكانتك ، ومع ذلك فالجائزة رمز ونيشان . أتمناها لك من صميم قلبي وسنسعى لذلك .

فابتسم إياد ابتسامة لا معنى لها ، وعب كأسه في شرود .

وسارع هلال :

غدا ستكون الحفلة حدثا حقيقا . المشوى والويسكي ، والوجوه الحسان ، ونخبه النقاد . وضحك .

فتهللت أسارير إياد ، وأشرقت عيناه المتعبتان ، وقال :

شكرا ، ألف شكر . لا أدري كيف أجازيكم . ثم نظر إلى هلال وقال : وأنت أيضا يا هلال فلتة الشعر . والله تستحق الكثير . شعرك أكبر من كل ما قيل فيه حتى الآن ، وسأبذل جهدي من أجلك . وبالمناسبة ، سأدعوكما إلى روما وأرتب لحفلة كبرى . فقال بن حمود وقد تشعشعت عيناه : هلال يستاهل . شعره عظيم ، ولكنه مثل السمك يأكلونه ويشتمونه . لو تعرف ما يعنيه من كيد حسادك ! جاءتهم ساقية شبه عارية ، وقد تدلى من مؤخرتها ريش مثير . كان هلال قد ناداها بإشارة من يده ، وطلب قنينة أخرى من النبيذ فيما حاول إياد مغازلتها بلغته الانجليزيه المكسرة . وقال بعد أن غادرتهم وهو نصف مخمور : يا للإثارة لو كانت معي أسبوعا !

ضحك الآخران ، وترنحت الكؤوس وتعانقت . . كانت أعينهم تبحلق في كل امرأة ترقص أو تمر وفي كل ساقية تخدم . وتذكر هلال فجأة أمرا فقال بصوت عال : أستاذ إياد . . أتذكر الحفلة التي أقامها لنا منذ عام مروان شكري في شقته ؟

فصفر إياد مرحا وأجاب والكلمات تخرج من فمه بسرعة وصخب :

وكيف لا أذكر تلك السمراء التي جلست في أحضان باشارة منه ! شاب ممتاز وابن حلال . وقد تدخلت لحل مشاكله المهنية . يستاهل .

فقال هلال :

أنت طيب القلب دائما . صحيح إنه دائم الشكوى ، وكفاءته محدودة ، ولكنه من محبيك ولسانه طويل .

حملاه حملا في ساعة متأخرة من الليل حتى غرفته في الفندق . كان كعادته مخمورا وابتسامته عريضة . تراءى له في أحلامه عملاق رهيبٌ لا آخر لقامته ، وقدم إليه شهادة ذهبية في إطار أزرق ، والدولارات ترقص من الجانبين . . . نادى

العملاق بصوت مجلجل وسط حشد كبير :- «إياد . . يا أستاذ إياد . تقدم» .

ولكن أحدا لم يجب نداءه .

وكرر النداء مرتين :

-أستاذ إياد ، يا أستاذ ، هذه هى المناسبة فأين أنت ؟

سمع إياد اسمه ، فركض إلى حارته البيضاء، وركبها وأخذ ينخزها بعصبية وانفعال حتى صارا بمحاذاة العملاق .

نظر هذا إليهما وصاح :

ايها الحشد الكريم . . اليكم الأستاذ العظيم إياد . ومد يديه إلى الأرض ورفعهما أمام الأنظار ، والناس يصفقون ، وصاح مرة أخرى :

اهتفوا معى : عاش الأستاذ إياد .

-عاش ، عاش !

- وعاشت حارته البيضاء :

- عاشت ، عاشت !

-وعاشت الجائزة ! عاشت عاشت !

صرخ إياد من آلام العصر والهز وتوسل بما يشبه الحشرجة . «دعنى بالله أرجوك . . لاأريد جائزة لا والله ، لا أريد» وقاوم ثم قاوم واستطاع عض اصابع العملاق .

واستفاق صاحبنا على صرخات استنكار نسائية ، فرأى نفسه بعض يد الخادمة الزنجية العجوز التى تجلب له الفطور فى كل صباح . وكانت تصيح به بذعر واشمئزاز :

«عيب ، عيب ، كن مؤدبا ياسيد فأنا أكبر من أمك» . وتذكر أنه كان قد أوصى بجلب فطوره فى الثامنة والنصف وقد نسى أن يعلق على المقبض الخارجى للباب إشاره «مشغول»وكانت الأقداح مكسرة على الأرض الملطخة بالقهوة والحليب . . . . . .

باريس : عزيز الحاج

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

# قصة | ذلك المساء

علق البقال بعرض الشارع لافتة من القماش العريض كان مكتوباً عليها « وما أدراك ما العقبة ؟ فك رقبة » وثقب القماشة فى مواضع كثيرة حتى لا يسرقها الفقراء فى الليل ويصنعوا منها الملابس الداخلية . . إنه البقال الذى أمسكته الشرطة لأنه كان يخزّن الأرز والصابون ، ليبيعه بالسعر الغالى وقت الحرب .

لونّوا زجاج البيوت بالزهرة الزرقاء وكذلك لمبات الشوارع وفوانيس الحارات ولم أستمتع كثيراً باللعب فى الليل مع أولاد الجيران وهم يصفرون ويغنون :

طفّى النور ياولية احنا عساكر دورية !

ذلك أننى كنت أبكّر فى النوم لكى أستيقظ قبل طلوع الشمس فأذهب مع أعمامى للغيط ، نربط البهائم ونطرطف لها أوراق الذرة ثم أذهب أنا لفرقة مقاومة الدودة ومعى صُرّة الخبز والجبن وخيارة مخلّلة ولا أعود إلا قبل الغروب فنحل البهائم ونرجع قبل أن يدهمنا الظلام فالوقت وقت حرب .

نادت الميكروفونات ذات صباح على تلاميذ المدارس أن يتوجهّوا إلى مدارسهم،وهناك ويأمر الشرطة ، قسّموهم على فرق المقاومة ــ فقد أوشكت الدودة أن تهلك المحصول ــ وهكذا جاء لفرقتنا أولاد الأغنياء وفرحت كثيراً لأنهم سيكفّون عن معايرتنا لسواد جلودنا ولأننا نذهب للدودة .

بعد اليوم الأول هربوا ، ولم تُجْد النصائح ولا نفع التهديد وآثروا الفصل من المدارس ــ لو شاءت الحكومة ــ على البقاء فى جهنم الحقول . . وكنت قد خمّنت أنى سوف أتغدى مع جارى وحلمتُ بما بعثت أمه مع الخادم ، لكن الخولى اللئيم جمع لفائفهم وأعطاها لحفيدته فى القفة الكبيرة وأرسلها إلى البيت

فجأة ملأت سماءنا الطائراتُ ، طائرات كالشياطين الحمراء فصرخنا

ياعزيز ياعزيز ضربه تاخد الانجليز

وجاء الملاحظ ووزع الطوفى علينا لأول مرة نراه طيباً حنوناً ولا يحمل عصا قال إن هذه طائراتنا وأمرنا أن نغنى للنسور « الله أكبر فوق كيد المعتدى » والطائرات فوق الرؤوس تحوم ونحن لها نرفع الأيدى ونحيى الأبطال ، لكن المهندس الذى جاء هو الآخر نبهنا أن نجتهد فى النقاوة لنستحق بجدارة شرف الانتماء للعابرين إلى فلسطين السليبة .

فى المساء زادت اللافتات القماشية وأعلن البعض أن خطاً حديدياً سيفتتح بين بلدنا وعاصمة الأعداء وناشد الراغبين فى الحجز أن يستزيدوا علماً من إدارة المحطة .

لم أذهب للدودة أياماً قلائل فقد انشغلنا بحصاد قمحنا ، وبالليل عاد أبى ــ وكان يسمع نشرة الأخبار فى المقهى ــ مولولاً وهو يخبط كفاً بكف ولما سأله أعمامى « لماذا تخلع الحكومة اللافتات ؟ » أجهش بالبكاء ، تحلقوا حوله وسط الجرن حزانى واجمين ، تماماً مثلما كانوا ذلك المساء الذى عثروا فيه على جدى غريقاً فى « أرض البرسيم » !

الزقازيق-أحمد والى

مسرحية

# كلنا نشد الحبل

مسرحية من فصل واحد

عبد اللطيف دربالة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

شخصات المسرحية

الجمهـــــور

« ما دام الجمهور يلعب دور البطولة على أرض الواقع . .
فلماذا لا يلعبها على أرض المسرح أيضا ؟ .
لقد آن الأوان . . لكى تولد دراما الجمهور »

( فى حديقة عامة . . تقع وسط المدينة . .
أقيم مسرح فورى فى الهواء الطلق . .
خشبة المسرح بسيطة . . .
يظهر المخرج يواجه الجمهور . . . يصفقون له . . يبدو متحمساً فى مقدمته . . . ) .

المخرج : ( ينحنى قليلاً ثم يرفع قامته ) شكراً . . شكراً لكم جميعاً . . جمهورنا العزيز مرحباً بكم فى مسرحنا الجديد . . ما ترونه اليوم ليس من تأليف مؤلف . . ولا يندرج تحت باب السير الشعبية . . لا . . لا . . اليوم لا قواعد ولا مناهج مسرحية . . ليرحم الله أرسطو . . نقول له وداعاً . . لقد أعيتنا قواعده . . لقد قلب الآية منذ البداية . . ولم يفطن له أحد . . كاتب يؤلف نصاً حسب مزاجة وخياله . . وكلنا نغرق فى اللعبة . . والجمهور المسكين يأتى كما يخرج . . متفرجاً . . هاها . . انتهى هذه اللحظة عصر الفرجة . . الجمهور هو صانع التاريخ . . وقائعه وأحداثه أنتم أبطال هذا العرض . .

( يصفقون له )

أشكركم . . أشكركم . . تدرون أن كل تجربة جديدة سرعان ما تجد من يلفظها . . فما أسهل على الانسان أن يسخر من أى شىء جديد . . قبل أن يمعن النظر ويتأمل هذا الشىء . . نحن جماعة العاصفة والفيضان . . يتهموننا بالجنون . . يستنكرون قدرتنا على اضافة الجديد واحتواء نبض الشعب . . فعلى الغارقين أن يفزعوا من هم على الشاطىء . . وعلى من دهمتهم العاصفة أن ينفثوا نارهم على كل من يسخر من محنتهم . . أطلت عليكم . . ( يصفقون له ) . . على كل حال ، هذه نبذة بسيطة عن مسرحنا

الجديد .. مسرح نبضات الحياة وعواصفها .

رجل ١ : أفهمت شيئاً ؟ ..

رجل ٢ : حتى الآن لم أفهم أى شىء ..

رجل ١ : اذن لماذا تصفق ؟ .

رجل ٢ : آه .. كلهم يصفقون ..

المخرج : ( يشرب ماء ) .. تعلمون أن الوجود اليوم .. أصبح مهزوزاً .. فقد اتزانه .. لن يعود الاستقرار والهدوء إليه إلا باشراقة العالم القديم .. عالم الفراعنة .. والصينيين .. والأشوريين .. واليمنيين .. ( يهز رأسه حزناً ) .. ليرحم الله أجدادنا العظام .. ( حزينا ) وليسامح أحفادهم الأقزام ..

سيدة ١ : أقزام ؟ .. قلت أقزام ؟ ..

المخرج : ( يبتسم ) ولماذا نخجل .. نحن أقزام فعلاً .. أليست هذه هى الحقيقة ؟ ..

سيدة ١ : قلة ذوق ! ( لم يسمعها ) .

المخرج : على كل اطمئنوا .. لقد تجاوزنا مرحلة البيات التاريخى .. نحن الآن فى مرحلة نقاهة .. مرحلة تخبط .. لا داعى للانزعاج .. اطمئنوا .. اطمئنوا ..

سيدة ٢ : شىء غريب .. شىء محير .. هل هذا مسرح ؟ ..

رجل ١ : بشر فى لم أفهم ولا كلمة !

رجل ٣ : لماذا يتحدث خارج الموضوع ؟ ..

المخرج : صبرك بالله ياأخى .. أود أن أقول لكم علينا أن نعود إلى النبع الصافى .. النبع الفياض .. ما أروعها طبيعة الانسان الفطرية ! . الشعب يجب أن يقود الأحداث .. الجمهور العظيم . لا الممثلون .. كلنا شركاء فى لعبة الليلة .

سيدة ٢ : النبع الصافى ؟ .. ها ها ها ..

رجل ١ : والبيات التاريخى ..

رجل ٣ : والنقاهة .. يبدو أننا مرضى ..

سيدة ٢ : والأغرب من كل ذلك الاستشراق من أرض الحضارات القديمة ..

( يزداد الصفير والصياح )

المخرج : ( ضائقاً ) سيداتى .. سادتى .. لا داعى لهذه الألفاظ الغريبة .. نحن بصدد حدث جاد .. اذن ما الداعى لكل هذه السخرية ؟ . الليلة نحن بصدد مشكلة عويصه ..

رجل ١ : ولماذا كل هذه الثرثرة والمقدمات التى لا جدوى منها ؟ .

سيدة ٢ : أدخل فى الموضوع وكفّ عن الرغى ..

المخرج : ( يهز رأسه ) لا اله الا الله ..

رجل ٢ : يا أستاذ .. يامحترم .. صدعت دماغنا قبل أن تبدأ ..

سيدة ٢ : الظاهر أن الموضوع انتهى ..

سيدة ١ : الأحداث أهم من السرد ..

المخرج : كل تجربة جديدة تحتاج إلى تنويه .. إلى تمهيد .. كنت أود ..

رجل : ( يقاطعه ) أود .. أود .. نحن نود أن تكف أنت عن هذا الرغى .. وليبدأ تدفق الأحداث ياأستاذ فن ..

المخرج : أرجوكم افهمونى .. الدراما التقليدية .. يجب أن يسدل الستار عليها الليلة .. نحن بصدد الدراما الشعبية .. دراما الجمهور الذى يبدأ الأحداث وينهيها ..

سيدة : اسمع أيها المخرج المجنون .. ما جئنا نسمع محاضرة منك عن تاريخ أو تطور الدراما ..

رجل : ياأستاذ يامتخرج من الأكاديمية طبقاً لمعلوماتى .. راع الأصول .. ودع الأحداث تتدفق بايقاع سريع غير ممل .. وابق أنت خلف الستار .. لا تحشر أنفك أكثر من اللازم فى الموضوع .. ألم تتعلم ذلك فى الأكاديمية ؟

( يصفق للرجل .. ينحنى لهم )

سيدة ٢ : هذا المخرج لم نسمع عنه من قبل ..

المخرج : أعطونى فرصة .. أرجوكم الهدوء ..

( يقاطعونه بالصفير والصخب )

سيدة : أين شريكه ؟ . أين المنتج ؟

( يدخل المنتج مهرولا ) .. ( يزداد الصفير والصخب )

المنتج : ماذا حدث ؟ .

سيدة ٣ : قل لنا بالله عليك .. أجئنا نرى عرضاً حيا لرجل يشنق نفسه .. أم جئنا نسمع محاضرة عن الفن من مخرجك المهووس ؟ .

المخرج : ( ثائراً ) أنا لا أسمع أبداً بخدش كرامتى ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

رجل : اسمح لنا أنت بالعرض وخلصنا . .

( يضحكون )

المنتج : أصارحكم جميعاً . . بأننا الليلة بصدد موقف . . لا مسرحية . . موقف صعب جداً . . المسألة خطيرة . .

رجل : خطيرة ؟ . .

سيدة : لابد أن يعمل من الحبة قبة . .

المنتج : هناك رجل يمر بمحنة . . رجل يود أن يشنق نفسه فعلاً . . جئنا به إلى هنا . . وجمعناكم بطريقة مسرحية . . اجتمعنا هنا لنشاركه فى محنته . . هذه هى القضية .

سيدة ١ : القضية ياأستاذ يامحترم . . أننا دفعنا خمسين جنيها ثمناً للتذكرة الواحدة لنرى فعلاً رجلاً يشنق نفسه .

المنتج : أنا لم أرفع ثمن التذكرة إلا لتزاحم الجمهور العزيز . . هناك الآلاف يقفون خلف الأسوار . . لم يتمكنوا من شراء التذاكر . .

( صياح وصفير ) .

المخرج : جمهور الفقراء . . ( يهمس لنفسه ) ليس بيده شىء . . .

( يهمس للمنتج ) ربما لو حضروا العرض . . لكانت النتائج أفضل .

المخرج : بكثير . . انى متشائم ؤ . هذا الجمهور يبدو غريباً . . موقفه غير ودى كلية . .

المنتج : صبرك بالله . . يجب ألا يفتر حماسك للعمل من أول صدمة . ؟

( يتجه المنتج صوب الجمهور ) .

أيها السادة والسيدات . . ان هذه التجربة الحية سوف تزدهر بفضلكم . . بفضل وعيكم . . أننا نفجر الليلة عمقاً جديداً فى أنفسنا . . عمق المحبة الانسانية والتضامن . . لنرجع بدراما الحياة إلى فطرة الطبيعة الانسانية غير الملوثة . . ولنحقق بذلك روعة الوجود . . لا قبحه اليومى . . كل ذلك يحدث الليلة بفضل ابن الشعب الذى نبهنا إلى ذلك البعد الضائع من وعينا وحياتنا . . بعد الاتصال والتلاحم الروحى بين البشر . . بعد تحطيم المسافات بين الانسان وأخيه الانسان . . الليلة نحن وبكم . . نقيم ثورة حقيقية ضد من يرفضون الحياة . . ولهذا السبب بالذات ضحيت بوقتى ومالى وقبلت أن أخوض هذه التجربة . . وكلى أمل فى وعيكم الانسانى . .

سيدة : ثورة جديدة . . برافو . . برافو . . صفقوا له . .

( يصفقون )

رجل : أفهمتم شيئاً ؟ ( الجمهور : لا ) اذن صفقوا له مرة أخرى ! .

( صفير وصياح ) .

المخرج : بهذه الطريقة لن نتمكن من تحريك الحدث .

رجل : حرك ياأستاذ . . حرك . . ماذا تنتظر ؟ .

المنتج : أرجوكم . . الزموا الهدوء قليلاً . . .

المخرج : الآن نحن أمام انسان بسيط . . رجل من مجتمعنا اتخذ قراراً خطيراً . . وهو شنق نفسه فى ميدان عام . .

سيدة : وهل هو موجود فعلاً . . أم أنها لعبة الثلاث ورقات ؟ . .

المخرج : ( يصرخ ) موجود . . أوفى بوعده . . اهدئى وأرجوك كفى عن مقاطعتى . .

المنتج : ( يهمس للمخرج ) لا تعطهم فرصة لتعطيلك . . أكمل . .

المخرج : ( يهز رأسه ) جئنا به أمامكم لنطرح قضيته علينا جميعاً . . لنشاركه الحل . . ربما ننجح ونثنيه عن عزمه . . أو ربما نفشل . . ربما يعود مسروراً إلى داره . . وربما رحل إلى السماء وفى رقبته حبل . .

رجل : ماذا قلت ؟ .

المخرج : أنا لا أعيد ما قلته . . قلت من البداية يجب أن تركزوا معى . . العرض حى . . . ولم يتكرر بعد ذلك أبداً . . ويحتاج إلى وعى كامل منكم . . إن تاجا قد يوضع على رؤ وسنا جميعاً الليلة . . وربما يحدث خلاف ذلك إذا فشلنا . . كل ذلك يتوقف على جدوى مناقشتنا له . . أننى أؤمن أن علاج مشاكل الجمهور ينبع من الجمهور نفسه .

سيدة ٢ : ألم يتخذ قراره من قبل ؟

سيدة ١ : انتهى الأمر ياحضرة المخرج .

المخرج : إذا ما هو دوركم أنتم ؟ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

رجل : يبدو أنها لعبة قذرة . .

سيدة : ابتزاز . . مؤكد أنه ممثل مغمور يقوم بدور هذا الرجل .

سيدة ٢ : حضرنا هنا طبقاً لاعلاناتكم التى ملأت الشوارع والميادين والصحف عن رجل من عامة الشعب يشنق نفسه فى ميدان عام .

رجل : مؤكد أنه ملعوب سخيف . . خدعنا . .

( صفير وصخب )

المخرج : ( يصرخ ) لماذا هذا الضجيج وهذه الثورة ؟ .

سيدة : أين المنتج . .

( يدخل المنتج )

المنتج : ماذا حدث ؟ .

سيدة ١ : لابد أنك سمعت كلام مخرجك النجيب .

المنتج : نعم سمعته .

المنتج : أنتم معذورون فعلاً . . كنت مثلكم تماماً . . أعلم أن المسألة ليست سهلة أبداً . . لقد أرهقت وعانيت كثيراً للتأكد من قرار هذا الرجل فى تنفيذ الإعدام . . والرجل عند وعده . . حضر . . واطمأن فور حضوره على وجود المشنقة . . هل هناك أكثر من ذلك . .

( يصفقون )

سيدة : رجل شهم . . شجاع . .

المنتج : والرجل يجلس فى الحجرة منتظراً تعليمات المخرج .

( يدول همس بين المخرج والمنتج ) .

المخرج : هذه التجربة المثيرة لن تتكرر أبداً . . يجب أن نصورها فيديو . . أنها مسمار فى نعش الدراما التقليدية . . حجر الأساس الراسخ لنظرية العاصفة والفيضان . . سأكتب كتاباً عن المسرح وانقاذ البشرية .

سيدة : كف عن التآمر علينا . .

المخرج : تآمر . . ( يبتسم ) هل هناك مخرج يتآمر على جمهوره . . على كل معذرة . . أرجو الهدوء . . ( يصفقون له . . ينحنى لهم ) أشكركم . . أشكركم . .

سيد ١ : ستبدأ ؟ .

المخرج : نعم . . الحكاية ببساطة اننى كنت أجلس فى حديقة عامة . . هى ليست بالضبط حديقة . . انها أشبه بمستنقع وسط المدينة . . حقاً بها بعض الحشائش الخضراء وما دام ليس لدينا حدائق كافية . . فهذا المستنقع هو حديقتى المفضلة .

رجل : المستنقع ؟

المخرج : نعم . . أنتم تدرون زحام القاهرة لهذا اكتسب هذا المستنقع وضعاً طيباً بالنسبة لى . . يريحنى نفسياً . .

سيدة ١ : حيوا رجل المستنقع ! . ( يصفقون . . بضحك ) .

رجل : المهم ماذا حدث فى المستنقع ؟ .

المخرج : صبرك بالله .

سيدة : ولماذا تتردد على المستنقع ياستاذ مخرج ؟ .

المخرج : آه سؤال وجيه . . كنت أتأمل . . اتأمل نفسى وبلدى . . أتأمل العالم . . أتأمل الماضى والحاضر والمستقبل . . عندئذ لدغتنى ناموسة . .

سيدة : ( تقهقه ) صفقوا للناموسة ! . صفقوا . .

المخرج : لقد لعنت هذه الناموسة القذرة بالطبع . . ولكنى فكرت فى أمرها كثيراً . . اكتشفت أن وجود الناموس مهم جداً للحياة . . بل كل الحشرات . . .

( يضحكون )

رجل : متى ينتهى هذا المخرج من هذيانه ؟

المخرج : ( يضحك ) أنا لن أستطرد أكثر من ذلك . حقاً فالقضايا الصغرى تقتل القضايا الكبرى . . لنترك الناموس والحشرات ولنتابع الأحداث مع هذا الرجل . . رأيت هذا الرجل الموجود معنا الليلة ( يشير إلى جانبه ) كان يكلم نفسه . . كان فى حالة يرثى لها . . اقتربت منه وقلت له ماذا بك ؟ فرد على فى كلمتين . . ( يضحكون ) . . قال . . قررت أن أشنق نفسى فى ميدان عام . . كلمتين فقط ! . تصورته فى البداية يمزح . أنتم أدرى بأن أهل الفن مجانين . . ( يضحكون ) مخرج عاطل مثلى . . ألقت السماء إليه بكنز . . تأكدت من عزمه الذى لا يلين . . فى هذه اللحظة انفجلت فى رأسى ألف فكرة . هذا الكنز ماذا أفعل به ؟ .

ذهبت إلى صديقى الفنان المنتج . . فاحتار فى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أمره هو الآخر .. استدعيناله طبيباً ليفحصه .. ودهشنا عندما كتب الطبيب تقريره بأن هذا الرجل سليم عقلياً .. أخذنا عليه أقراراً بأنها رغبته .. كتبه بإرادته الواعية وليس تحت أى ضغط أو ارغام .

رجل : التحفظ واجب .. وخاصة فى هذا الموقف الخطير ..

المخرج : ليس ناموسة .. غنه رجل .. أخونا فى هذا المجتمع .. ينتمى إلى قبيلتنا البشرية ..

سيدة ١ : ياأستاذ ارحمنا .. لا داعى لهذا الاطناب ..

المخرج : ( يصرخ غاضباً ) لماذا أنت مصرة على مقاطعتى .. عيب .. عيب جداً .

سيدة : ( تلفز فى اتجاهه .. يحاول الآخرون صدها ) اتركونى أتصرف معه .. ما جئنا هنا لنسمع سرده السخيف .. جئنا فقط نرى رجلاً يشنق نفسه . ورقبته معلقة فى حبل .

رجل : حقاً أين المشنقة .

سيدة : وأين الحبال ؟ .

المخرج : أرجوكم .. لا تتعجلوا الأمور .. المسألة ليست بهذه البساطة .. ربما يشوب إلى رشده .. المطلوب منكم أن تقنعوه بأن يعيد النظر فى قراره ..

رجل : يبدو أنه مجنون ..

المخرج : ( يصرخ ) فى امكانكم أن تفعلوا له الكثير . ( يصرخ ) ما بالكم أيها الناس ؟ . أنا مخرج .. أنا فنان ! . الفن ضد الجرائم أو تنفيذها .

سيدة : ( ترميه بالمفتاح ) مخادع .. كذاب .. ضيعت وقتنا .

سيدة ٢ : وسرقت فلوسنا .

المخرج : ( يضرب الأرض برجله ) إذا كنتم حقاً مغرمين برؤية مشانق عالية .. ورؤوس مدلاة فى حبال .. فلماذا لم تذهبوا إلى السجون حيث تنفذ الأحكام ؟ . هذا الرجل لم يرتكب جريمة أبداً .. لماذا لا نضع يدنا على مأساته ؟ .

؟ ( يصفرون )

( يصرخ بصوت أعلى ) لماذا تتحسسون رقابكم كل ليلة ..

( ترتفع أصواتهم .. امرأة تهتف وهم يرددون خلفها .. الشنق .

الشنق .. يكاد المخرج يجن ) ..

( يدخل المنتج غاضباً )

المنتج : ماذا حدث للجمهور ؟ .

( تهتفون .. الشنق .. الشنق )

الشنق .. الشنق .. ( يهمس للمخرج ) ليلة سوداء ! .

سيدة : انكشف الملعوب ..

رجل : حقا .. عملية خداع ونصب .. من أولها إلى آخرها ..

( الجماهير تهتف .. الشنق .. الشنق )

المنتج : ( يصرخ ) هو مصر فعلاً على الشنق .. ما دوركم أنتم ياسادة ؟ .. كنا نأمل أن تواجهوا موقفه السيىء بعاصفة رافضة له .. وأن تغمروه بفيضان حبكم ونبلكم .. أرجوكم .. لا تتسرعوا .. فتشوا أنفسكم .. فتشوا أرواحكم ..

( يصفرون .. الصخب يزداد ) ( يدخل )

رجل أعمال : فتشنا جيوبنا ودفعنا خمسين جنيها فى التذكرة .. وتجىء أنت الآن وتقول فتشوا نفوسكم وأرواحكم ؟ .

( صياح وهرج ) .

المخرج : ( يهمس للمنتج ) جمهور غريب ..

المنتج : انه الجمهور المعاصر .. الجمهور الذى بيده كل شىء ..

( صخب وعنف .. يلقون بما فى أيديهم على خشبة المسرح )

( يتقدم المنتج نحوهم )

( يتردد صوت النجارين )

المنتج : كل شىء سيتم طبقاً لما تريدون ..

( تصفيق ) .. نعم .. يبدو أنه قد حدث سوء فهم .. لكن كل شىء يمكن إصلاحه وتعود المياه إلى مجاريها .. ( يصفقون ) .. تسمعون الآن صوت النجارين ... إنهم يعملون بهمة رائعة .. أجزاء المشنقة جاهزة .. مجرد عملية تجميع .. مشنقة .. متينة ..

( يهتفون عاش المنتج .. عاش الرجل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الذى يفى بوعده !
عاش الرجل الذى يحترم كلمته ! ) .

المخرج : ما معنى هذا ؟ . .

المنتج : أسكت أنت . .

( يهتفون ) : يسقط المخرج المتردد

المنتج : وحتى يتم استكمال بناء المشنقة . . أقدم لكم الراقصة لولا باى باى .

( يصفقون ويهتفون . . لولا باى باى . . )

المخرج : ( ضائقاً ثائراً ) راقصة . . وشنق ! . كيف يتفق هذا مع ذاك بالله عليك ؟ .

المنتج : ( يسحبه بعيداً ) تعلم كيف تمتص غضب الجماهير . . دع الراقصة لهم وتعال نقنع هذا المجنون بالقرار . . الأمور لا تبشر بأى خير

المخرج : الحدث هكذا يسقط . .

المنتج : فى ستين داهية . . المهم يجب أن نخرج من هذا المطب . . لنرد لهم خمسين فى المائة مما دفعوه . . الضرائب أخذت حقها . . يجب أن ننقذ بجلدنا الليلة . .

( المخرج يمط شفتيه . . الراقصة تدخل . . وترقص رقصة مثيرة . . يصفقون لها بحرارة . .

( ينسحبان . . ويتجهان نحو غرفة الرجل فى محاولة الاقناعة بتعديل موقفه . . )

( الراقصة تنهى رقصتها بعد دقائق . . وتخرج )

( الجمهور فى حالة غليان . . صفير حاد وصخب . . )

سيدة : أين ذهباً ؟ . .

رجل : ربما فكراً فى الهرب . .

سيدة : هرب ؟ . . ( ساخرة ) ( تتجه صوب خشبة العرض ) أين أنت ياخرج الروائع ؟ . . أين أنت ياخرج آخر الزمان ؟ . اطلع وبان وإلاّ . .

( يظهر المخرج غاضباً . . يضرب كفاً بكف )

المخرج : ليلة طويلة . . ليلة سوداء . . ( يفاجأ بالسيدة )

سيدة : أين كنت ياأستاذ ؟ . .

المخرج : وما شأنك أنت . . اذهبى إلى مكانك . .

( يرتفع الصخب ) أرجوكم الهدوء . . اذهبى . . اذهبى . . أنا المسؤول عن الحدث . . . ( يصرخ ) من لا يعجبه عملنا فليتفضل يذهب إلى الشباك ويسترد ثمن تذكرته .

سيدة ١ : نعم . . نعم . . ماذا قلت ؟ .

المخرج : أنا لست هنا طرطورا . . هذه الفوضى تعوق عملى . .

(يدخل المنتج )

( يضجون . . الصخب يزداد )

المنتج : لحظة من فضلكم . . أرجوكم قدروا موقفه الصعب . . ساعوه من أجلى . . من أجل المسكين الذى يقتله القلق والتوتر . . يود أن يشنق بسرعة . . لكن بصراحة مخرجنا كان يطمح فى أن يكشف عن مكمن البطولة فى الجمهور . . فيكم أنتم . . ( يهز كتفيه ) إنه يؤمن بنظرية حديثة . . نظرية العاصفة والفيضان . . نظرية اكتشاف البعد الضائع من الجمهور . . بعد تحريك الأحداث إلى الأفضل .

( يزدد الهياج . . ابداً . . ابداً . . )

المخرج : يامهندس الديكور . . يامهندس الديكور . . ياخبير تركيب المشانق

( يدخل مهندس الديكور )

م. الديكور : نعم ياأستاذ . .

المخرج : همتك . . همتك . . خلصنا . .

م. الديكور : همتى ؟! .

المخرج : ( يصرخ ) أين المشنقة ؟ . أين المشنقة يا باشمهندس ؟

م. الديكور : شبه جاهزة . .

المخرج : خلصنا ياسيدى . . انصبها هنا . . بسرعة . .

( يصفقون )

م. الديكور : حالا . . ( يصيح ) أيها النجارون . . هاتوا الأجزاء هنا . . ركبوها فى هذه المنطقة . .

( يشير إليهم ) . .

( يدخل مجموعة من النجارين يحملون الأجزاء ) .

رجل : أين الحبال ؟ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

م. الديكور : كل شيء موجود

سيدة : حبل قوى .. متين ..

م. الديكور : طبعاً .. طبعاً ..

المخرج : اطمئنوا .. اطمئنوا ..

( يبدأ النجارون تنح اشراف مهندس الديكور فى تركيب المشنقة .. )

( يدخل المنتج ومعه الرجل لذى قرر شنق نفسه ..

يبدو يائساً محطماً .. عيناه غائرتان .. ومع ذلك رابط الجأش .. يقف أمامهم )

المنتج : هذا هو الرجل الذى قرر أن يشنق نفسه فى ميدان عام ..

( يصفقون تصفيقاً حاداً .. يهتفون .. عاش البطل ! . عاش البطل ) ..

تفضل أجلس على هذا الكرسى ..

الرجل : انصبوا المشنقة بسرعة .

المنتج : همتك يامهندس الديكور .. همتك ..

م. الديكور : حالا .. اطمئن ياسيدى .. حالا ..

( المخرج يهز رأسه حزينا )

المنتج : أيها السادة والسيدات .. لزاماً على أمامكم وأمام الله أن أعيد سؤال هذا الرجل مرة أخرى لكى أبرىء ذمتى أمام الله وأمامكم ..

سيدة : ماذا تقصد ؟ ( يشيح عنها )

المنتج : كفىً عن مقاطعتى ..

( يتجه صوب الرجل )

اسمع يا أخانا الذى يود أن يرحل إلى السماء .. ( ينظر إلى الرجل ) هل راجعت نفسك جيداً ؟ .

الرجل : نعم .. ( يومىء ) ..

المنتج : الا ترى أنك تسرعت فى هذا القرار ؟ . أمامك فرصة للتراجع .. هل تطلب مهلة مثلاً ؟ . يوما .. يومين .. وثق تماماً بأننا سننفذ رغبتك طبقاً للتعاقد الذى ت بيننا .. لك الحق ان تتراجع فى أى لحظة ..

الرجل : ( يصرخ ) لا .. لن أتراجع ..

( يصفقون له )

رجل ٢ : أيها المنتج .. أسئلتك غريبة .. فيها لف ودوران .. لماذا تثبط همته ؟ ..

المنتج : ( ضائقا ) هذا هو قرارك النهائى ؟

الرجل : نعم .

( يصفقون له .. )

( يصرخ ) أرجوك كف عن ازعاجى .. ان روحى قد سبقتنى إلى السماء .. خلصونى من جسدى بسرعة .

المخرج : ( يصرخ فى وجه الرجل ) كف عن هذا العناد .. راجع نفسك .. أنت لا تدرى ماذا سيصيبنى .. ( يصرخ أكثر ) نظريتى ستفقى مصرعها .. انه الحدث التجريبى الأول ..

( يسمع صياح حاد وهتاف يأتى من خارج المسرح : لا تشنقوه .. لا تشنقوه .. دعوه يعيش .. لا تشنقوه .. دعوه يعيش .. ابحثوا عن جذول مشكلته ) ..

( تبدو عليه علامات الانتعاش ) اين كانت هذه الأصوات ..

( يصرخ ) نعم .. نعم .. أنتم على حق ..

( تتردد الأصوات بصفة دائمة ولكن من خارج أسوار المسرح المقام فى الحديقة .. المخرج يصفق لهم بجنون .. يحدث هرج داخل المسرح من الجمهور الحاضر .. )

( يهرول عامل المسرح إلى الداخل .. متوجها إلى المنتج ) .

العامل : الحق ياسيدى .. الجمهور خارج المسرح سيحطم كل شيء .. انه غاضب وثائر ..

المنتج : ( يهز رأسه ) أصوات خارج اللعبة .. ما جدواها .. لماذا لم يدخلوا ويشاركوا فى اللعبة منذ البداية ..

العامل : إنهم فقراء .. ليس فى مقدورهم أن يدفعوا ثمن التذكرة ..

المنتج : حاول أن تصرفهم .

( ينصرف العامل )

المخرج : ( يتأمل الرجل شارداً ) الأصوات الطيبة النقية خارج اللعبة .

رجل الأعمال: ألا ترى أيها المخرج أنك أضعت وقتنا ؟ . إنك بذلك تعذبنا نحن .

المخرج : ( منتعشاً بعد سماع الأصوات الخارجية ) .. أيتها السيدات والسادة .. منذ لحظات كنت أقول لهذا الرجل راجع نفسك .. والآن أتوجه بسؤالى إليكم .. إن أملى فيكم لم يخب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أبـداً . . انـه ابن بلدنـا . . يجب أن نقف بجواره . . كنت مدركاً منذ البداية أن شيئاً عظيماً يربطنا به يربطنا جميعاً . . هذا الشيء لا يبـدوواضحـاً . . ولـكننـا نحـمله فى داخلنا . . سأقدم لكم الآن فرصة ذهبية . . فـرصة تـطلق ما فى قلوبكم الرائعة . . من خـير . . الخير التى نشـأنا عليه وتـرعـرعت عيـدانـنا . . وماء النيـل الـذى شـربناه . . وميراثنا الخالد من الحضارة . . هيا تقدموا . . واحداً واحداً . . نحوه . .

ان الأمتار القليلة الى ستخطونها تجاهه ؤ . سـوف يتساقط فيهـا ذلك الغبـار الذى عفر روحكم . . هيا . . تعالوا إلى هنا . .

الرجل : ( يهب منزعجاً ) لا اريد أن أسمع أحداً . .

المخرج : أعلم أن الزرع الذى اكتوى بنار الجفاف . . كثيراً ما ينظر إلى الماء . . عندما يصله بشيء من السخرية وربما الاحتقار . .

المنتج : يا ابنى . . تجاوزت جدتى المائة عام . . وعندما أتاها الموت راحت تجرى هنا وهناك . . تدخل حجرة . . وتخرج من حجرة . . انطلقت فى المـزارع . . لحقهـا المـوت . . ومـاتت تحت الشجرة . . لحظتها رحنا نرقص ونزغرد . . ونقـول جـدتنـا أظهـرت كـرامـة . . ولكن الحقيقةانها كانت جزعة من الموت . . ما زلت فى شبابك . أنها كانت احفزوه إلى الحياة . . ! احفزوه لكى يقاوم يأسه . .

المخرج : (يواجه الجمهور) أرجوكم

الرجل : مـا جـدوى شـد قـمـيص المـوتى ؟ . ( يصرخ ) . . لقد انتصرت على الموت . . أصبـح فى قبـضتى . . لا تجعـله يـفـلت منى . . ( يصـرخ ) . . لمـاذا تـود لى أن أهزم ؟ .

المنتج : هذه الحفلة درت علينا الكثير . . ( يهمس له ) فى مقدورنا أن ندفع لك كل ما تريد . .

المخرج : وهذا سيوفر لك عيشة كريمة . .

الرجل : ابعـد عنى أنت وهو . . تـودان أن أعـود إلى صحبة المال الذليلة ؟ .

( ييأسان . . تتـردد الأصوات الخـارجية قوية . . ومثيرة )

المخرج : الأمر متروك لكم أيها السادة . .

الرجل : دع النجارين ينتهون بسرعة . .

المخرج : اطمئن . . ( بضيق وغضب ) . . هيـا أيـها الأخوة والأخوات . . هيا يأبناء بلدنا . .

رجل : أنت مصمم . .

المخرج : ولكن أرجو كل من يحضر إلى هنا أن يغمض عينيه . . وينظر إلى أعلى . . إلى السماء . .

سيدة ١ : ألعوبة جديدة .

المخرج : هذا مهم . .

رجل ١ : ( يتقدم ) قلماً يجود هذا الزمن برجل شجـاع يقبض عـلى المـوت . . سيسجـل التـاريـخ اسمك . . أذهب الله معك . . ( يهبط ) .

تاجر : ان السفينـة التى يغرقهـا صاحبهـا أفضل من السفينة التى تحطمها الأمواج والعواصف . .

رجل : أنت تفتح طريق الشجاعة للاحتجاج على هذه الدنيا القاسية

سيدة : ثق تماماً أنك أول مسافر إلى عشـه الهادىء فى السماء بارادتك الحرة . . وبلا أجنحة . .

رجل : تـركت بصمة رائعـة أمام البشـرية . . الليلة سيحفر اسم وطنك فى كل صحف العالم . يضجون بالضحك ) .

الرجل : ( يصـرخ ) كفى ! . انهوا هـذا اللعبـة السخيفة . .

المخرج : أنت يا مهندس الديكور . . انتهيت أم لا ؟ .

م. الديكور : تقريباً . .

( المخرج يختبر المشنقة )

المخرج : يااستاذ دق مسمارا هنا . . ومسمارا هناك . . أريدها صلبة . . صلبة جداً . .

م. الديكور : حاضر . .

( مهنـدس الـديكـور يصـدر أوامـره للنجارين . . ثم يأخذ حبلاً . . ويتجه نحو ارجل . . يقيس رقبته . . )

الرجل : خمسة وأربعون سنتى . .

؟( ترتفع بعض الأصوات وتردد مقاسات مختلفة ) . .

م. الديكور : فعلاً . .

؟( يصفقـون تصفقـون تصفيقـاً حـاداً . . ويهتفون : عاش البطل )

( يتـردد صـوت الجمهـور الخـارجى . .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بقوة . . لا تشتقوه ! . لا تشتقوه ) .

المخرج : ( يهمس للمنتج ) لماذا لا تفتح الأبواب ؟ .

المنتج : عندئذ ستدب الفوضى . . أنت بذلك ستدمر مستقبلك فى السوق . . لن يعهد أحد إلىَّ إقامة أية حفلة بعد ذلك . . ثم أنها خيانة لهؤلاء . . ربما نكرههم الليلة . . لكن مصالحى مرتبطة معهم . . فى مقدورهم سحقى . . وأصبح بذلك أنا المغفل الذى حكم على نفسه بالشنق . . المسألة خطيرة . . ليست سهلة كما تعتقد . .

المخرج : آه . . لقد خاب أمل الليلة . . ( يرفع صوته ) حتى . أنت ياكبير التجار ! . كنت أعتقد أنك ستتخذ موقفاً طيباً من هذا الرجل .

كبير التجار : أنت تحقق حلمى دون أن تدرى . . لقد مللت رؤية مسرحيات الحب والرقص والغناء والطرب وغيرها . . لقد راقتنى فكرتك على الفور . . كنت شاباً بسيطاً بدأت دون الصفر . . ولكن اقتنعت بفكرة جمع المال من التجارة . . فلكى يصبح الانسان عظيماً لابد أن يقنع بفكرة ما . . أوحتى أكذوبة ما . . هكذا كل العظماء . . كانت فكرة الشنق تلوح لى من آن لآخر . . كلما أعلنوا عن شنق رجل أو امرأة بالسجن . . كانت قرائصى ترتعد . . وكل شىء فىَّ يهتز . . فور ذلك كنت لا أستطيع النوم . . كنت أيضاً أتذكر . . عملية الشنق عندما أرتدى قميصاً ياقته ضيقة . . كم مرة فكرت أن أذهب إلى السجن لرؤية رجل يشنق . . ولكنى كنت أتردد فى آخر لحظة . . أو أقف بجوار سور السجن . . كل منا عرضة لمثل هذا الموقف . . مهما كان بريئاً أمام نفسه . . أحياناً تأتى ضربات عشواء . . وقد يفاجأ أى انسان بذلك . . أنت اليوم تحقق حلماً رائعاً . . أمام كل الفرسان . . هكذا يقف الانسان قوياً أمام حبل المشنقة . . بلا خوف أو رعب . . أكمل اللعبة يابنى أكملها .

المخرج : أنا لم أفهم أى شىء . . ( يتجه نحو الرجل . . يهمس له ) فى مقدورى أن أوقف تيار الكهرباء . . وما عليك الا الهرب . حاول . . اسمع كلاملا . .

الرجل : ( يصرخ ) لا . . لا . .

المخرج : لقد استمتعنا بهذه الحلمات العطية من بعضكم . . لا تنسوا أننا دولة ديمقراطية . . ونؤمن بتعدد الأحزاب . . فأين الرأى الآخر . . الحرية متوافرة فى مجتمعنا والحمد لله . .
ألا يوجد معارضة ؟ .

سيدة : رجال السوق كلمتهم وادة . .

تاجر : لا يأتى من امضاربة إلا الخسارة . .

المخرج : غريبة . . للمرة الأخيرة ألا يوجد معارض ؟ .

الراقصة : أنا أعترض ! .
( موقفها يثير الدهشة والاستغراب )

كبير التجار : تعترضين ! .

الراقصة : نعم . . أنا لا أطيق رؤية رجل يشنق . .

المخرج : ( يصفق لها ) تعالى هنا .

الراقصة : ( تتقدم ) لماذا لم يسأله أحد عن سبب ذلك حتى الآن ؟ . لقد تابعت الموضوع بجدية .

سيدة : موضوع الرقص ؟ .

الراقصة : لا . . موضوع هذا الرجل .

سيدة : حقاً . . أنت مواطنة طيبة . . لديك قدر طيب من الوعى والثقافة .

تاجر : من الأفضل لك أن ترقصى له رقصة جميلة . . أغريه بالدنيا الفاسدة . . حطمى حلم هذا الملاك الطيب النقى . . لوثيه .

المخرج : أنا أعترض على اعتراضك لها أيها الرجل . . من حقها أن تدلى برأيها فى القضية .

الراقصة : أيها الشاب . . كم أنت وسيم . . ما كان يجب أن تكره الدنيا أبداً فى هذا العمر . . أنت فى عمر الزهور . . تراجع . .

الرجل : ابعدى عنى . .
( يضحكون )

الراقصة : فى الدنيا مباهج كثيرة . . لماذا تتعجل الرحيل قبل أن تستمتع بحياتك . .

الرجل : ( يصرخ ) قلت لك ابعدى عنى . . لقد قبضت على الموت . .

الراقصة : ( ساخرة ) قبضت على الموت قبل أن تقبض

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

على الحياة .. كيف ؟ .. كيف ؟ ..
( صامتا .. تهمس له ) تعالى معى الليلة .. مؤكد ستغير رأيك فى الصباح .. ستقبض على الحياة لأول مة ..

الراقصة : أنا أحافظ على شرفى .. ولكن إذا كان الأمر يتعلق بحياة شاب مثلك فانى سأنقذك ..

الرجل : لن أؤجل قرارى من أجلك .. زوجتى جميلة جداً .. ابتعدى ..

الراقصة : لن أيأس .. ربما كانت زوجتك جميلة .. لكنها لا تمتلك خبرتى سأريك .. سأرقص لك ..

الرجل : لا ...
( يصيحون .. ويصرخون .. ابتعدى عنه )

المخرج : ( يهمس لها ) ارقصى .. ابذلى كل جهدك .. قد تفلحين فيما فشلت فيه ..
( ترقص رقصة مثيرة .. بعد أن تنتهى تتوجهناحيته ..
تجده مغمض العينين )

الراقصة : ما رأيك ؟ . ( لا يرد عليها ) ..
( يهاجمونها .. ابتعديعنه ) .. انها أول هزيمة فى حياتى .. ( تبتعد ) .
( ترتفع أصوات الجمهور الداخلى .. المشنق .. المشنقة ) .
( أصوات الجماهير خارج المسرح بصياح قوى ومروع )
لا تشنقوه .. لا تشنقوه .. ابحثوا مشكلته .. دعوه يعيش )

العامل : ( يدخل مهرولا ) ضابط شرطة كبير ومعه الجنود .. بدأوا يفرقون الجماهير بالخارج ..

المنتج : وهذا ما توقعته ..

المخرج : ليته يفرق هذا الجهمور أيضا ..
( يدخل ضابط كبير وخلفه ضابط برتبة ملازم )

العميد : أين المنتج ؟ .. أين المنتج ؟ . اين المخرج ) .

المنتج : أنا المنتج ياسيدى .

العميد : ما معنى هذا التجهمر .. لماذا ؟ .

المنتج : انه عرض مسرحى مثير ياسيدى .. لا توجد كراسى .. التذاكر كلها نفدت ..

العميد : وما معنى هذا الصياح وهذا الهتاف ؟ . ثم أن العروض المسرحية لها أماكن مخصصة .

المنتج : تم ذلك بناء على طلب غلبظل .. حصلت على التصريح باقامة هذا العرض فى الهواء الطلق .. طبيعتنا جميلة .. لماذا لا نستغل الأماكن المفتوحة ؟ . ها هى الموافقة ..
( يخرجها من جيبه ) .

الملازم : ( يهمس للعميد ) كبار رجال المدينة كلهم هنا .. رجال أعمال .. تجار ..

العميد : كبار .. صغار .. هذا ليس مهما .. المهم هو النظام .. أى أسباب لإثارة الفوضى والتجمهر مرفوضة ..

المنتج : الفوضى فى الخارج فقط .. مسرحى منظم .. منظم جداً ..

العميد : ثم لماذا تختار هذا الاسم السخيف لمسرحيتك ؟ . اعدام مواطن من عامة الشعب .. لماذا الإعدام ؟ . هل قصص الحب . والحياة انتهت ؟ . وأنت أيها المخرج ؟ . لماذا لا تجعل لمسرحك رسالة اجتماعية أو وطنية ؟ . لعلمك ، أنا مغرم بالدراما وأقدر دورها الطيب فى المجتمع ..

المخرج : شكراسيدى العميد على مشاعرك الطيبة .. ولكن البطل أصر على ذلك ..

العميد : ( ساخرا ) أى بطل هذا .. أين هو ؟ ..

المخرج : تفضل .. تفضل .. هاه .. ( يهمس للعميد ) يود أن يشنق نفسه .

العميد : ( يضحك ) هل تعتقد أنى متفرج مغفل ؟ . ها ها ها ! .

المخرج : بشرفى يود أن ينفذ عملية الشنق فعلاً ..

العميد : شرفك ! ..

المخرج : تفضل واسأله .. ليتك تفلح فى أن تثنيه ..

العميد : ألاعيبكم يارجال المسرح لا تنتهى أبدا .. إلا أنها ممتعة ..
( يقترب من الرجل ) أنت الذى تود أن تشنق ؟ .

الرجل : ( يهز رأسه ) نعم .

العميد : ( يقهقه ) مخبول ! . كم قبضت من الحياة لكى ترفضها ؟ . مؤكد أنك لم تقبض أى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

شىء حتى الآن .. ( يقهقه ) كلنا لصوص .. تسرق بعض الأيام من هذا الكنز .. الزمن الذى لا ينتهى أبدا .. ها ها ها .. تختار لنفسك الوقت الذى تفر فيه .. لا .. لا .. المسألة أعقد من ذلك بكثير .. ( يهمس للرجل ) لابد أن تبقى فى القفص حتى يأذن لك الله .. ها ها ها .. كلنا يا ابنى فى القفص .. المفتاح مع الله .. انهض واذهب إلى دارك .. ابحث لك عن زوجة .. وخلف طفلاً يعزيك ويهون عليك الأيام .. انهض انصرف والعب اللعبة .

الرجل : اللعبة كلها قذرة .

العميد : ( يقهقه ) ولماذا تشم رائحتها وحدك ؟ . لماذا تجيد شم القذارة ؟ . انك شاب طيب .. عودك مازال أخضر . لماذا تتركه لأول عاصفه تدهمه .. قاوم ياولد .. قاوم يا عبيط ! . كن قوياً .

الرجل : دعنى .. لقد قبضت على الموت .. ولن أدعه يفر من يدى ..

العميد : الموت ؟ . وأين وجدته ؟ .

الرجل : إذا كلمت الناس وجدته يطوق ألسنتهم .. وإذا نظرت إليهم رأيته مزدهراً فى عيونهم .. وإذا دخلت مكاناً وجدته فى انتظارى .. وإذا سرت فى الشارع وجدته بجوارى .. وإذا نمت احتضننى ... وإذا فكرت جيداً وجدته داخل جمجمتى .. ( يصرخ ) لقد مللت مطاردته لى ..

العميد : ( يبدو جادا ) هل هناك ملعوب وراء ذلك ؟ .

الرجل : لا .. كنت دائماً أحارب ألا عيب الآخرين .

العميد : وماذا فى الدنيا غير لعب الآخرين .. ( يقهقه )

الرجل : لعبهم قذر .. وسخيف .. ( يصرخ ) سخيف جداً ..

العميد : هل من أجل المال ؟ .. هل تعانيأزمة مالية .

الرجل : لا .. حالتى المالية جيدة لا بأس بها .. ولكن الانسان لا يعيش بالمال وحده ..

لعميد : ( يهمس له ) هل تعانى متاعب ز ؟ ز هل ضايقتك زوجتك ؟ .

الرجل : لا .. لا .. لا ..

العميد : كلمنى بصراحة .. قد يكون بمقدورى مساعدتك .. هل خانتك ؟ .

الرجل : لا لا .. انها امرأة فاضلة طيبة القلب مثقفة ..

العميد : أحببتها ؟ . .

الرجل : نعم ..

العميد : لماذا تتركها وحدها ؟ . ( يهمس له ) .. أرجوك كن صريحاً معى ..

الرجل : لا لا ..

العميد : كان يجب أن تراجع طبيباً نفسانياً .

الرجل : الطبيب الوحيد هو الله .. أود أن أرحل النجاة هناك بجوار السرب .. اكتشفت الطريق .. ارادتى الآن قوية .. اشتقت إلى وديان السلام .. هناك كل شىء أخضر رائع .. الثمار لا تجف أبداً ..

المخرج : هذا هو حاله ياسيدى .. بذلت كل جهدى معه ..

الرجل : ابتعدوا عنى ..

العميد : كف عن ترديد هذا الخبل الذى أتى بك إلى هذا القفص هو الذى يأخذك .. لا أحد يأتى وحده .. ولا أحد يذهب وحده .. الطيران داخل القفص وحده .. حلّق داخله فقط .

الرجل : ( يصرخ ) كل الأحلام ماتت .. العفن يحاصرنى .. ( يصرخ ) .. أريد عالماً بلاجريمة .. بلا فساد .. أريد مخلوقات نظيفة تشبة الأطفال والملائكة . آه ... ان روحى قد ذبلت على الأرض .. ما قيمة جسدى ؟ .

( يواجه الضابط ) هل بمقدورك أن تحقق لى هذا العالم هنا ؟ .

الراقصة : أرجوك ياسيدى .. أنقذه .. لا تتركه أبداً هنا .

الرجل : ( يصرخ ) لن تحركنى أية قوة من هنا ..

العميد : اسمعنى يا ابنى .. اسمعنى جيدا .. عندما التحقت بكلية الشرطة كانت لى أحلام وآمال عريضة .. كنت مثلك تماماً .. أريد عالماً بلا جريمة .. بلا فوضى .. بلا تجار مخدرات .. بلا لصوص أو مخربين .. كنت أحلم أن يمضى النهار والليل على أبناء شعبى

بلا سرقة أو تخريب . . وعندما تخرجت من الكلية . . وجدت أحلامي فى جانب . . والحياة العملية فى جانب آخر . . كنت فى محنة . . مثلك تماماً أو أكثر . . تجار المخدرات لم ينتهوا بل زادوا خطراً ، والقتلة والسفاحون واللصوص يزداد عددهم . . لكن كل ذلك لم يثن عزمى أبداً . . أبذل كل طاقتى . . الخطيئة فى دم البشر . . ( ساخراً ) كل شىء يتقدم . . أتدرى منهم اللصوصوالمخلبون هذه الأيام ؟ . خريجوا كليات . . أبناء أسر محترمة . . أصحاب مواقع حساسة ونفوذ . و هل مثنى ذلك أن أيأس ؟ . لا يا ابنى لا .

المخرج : ( يصفق بجنون ) سلم لسانك ياسيدى ! . باركك الله . . شجعّه . شجعه . .

المنتج : هذا هو ما كنت أود أن أسمعه . .

( الراقصة فرحة ومسرورة . . )

المخرج : ( ينظر للجمهور ) الدنيا مازالت بخير . .

العميد : أنا لا أكلمك بصفة رسمية . . بصفتى أخا لك فى المجتمع . . كان الأسهل لى أن أرحلك إلى قسم بوليس . . أو إلى المستشفى . . حقاً اختصاصى هو مقاومة التجمهر والفوضى . . أنا أفضل الأسلوبالهادىء . . وخاصة مع رجل حساس مثلك . . راجع نفسك يا ابنى .

( يهز رأسه ) . . الطيبون فرادى . . قاوم يا ابنى . . قاوم . .

( يهرول جندى ناحية العميد ) .

الرجل : سيدى العميد . . هناك مكالمة لسيادتك . . السيد اللواء مدير الأمن يطلبك بالمحافظة حالاً . .

العميد : ( للملازم ) حل مشكلة هذا الرجلالمسكين بأسلوب هادىء . . والحق بى فى مديرية الأمن . .

الملازم : أمرك ياسيدى . . ( يتجه صوب الرجل ) .

المنتج : ( يهرول خلف العميد . . يردد ) لدى مشكلة فى مديرية الأمن . .

( يختفى ) . .

الملازم : ( للرجل ) تودا أن تطير ؟ . هه . . عندك كم عصفورة ؟ . أنا سأطير عصافيرك كلها . . هذه اللعبة يجب أن تنتهى فوراً . .

( تصعد فتاة جميلة فى حوالى العشرين إلى المسرح . . . تتجه صوب الملازم ) .

الفتاة : هالة . . ابنة تاجر الخيش . . عمارتنا الجديدة تقع فى أول الشارع بجوار منزلكم . . رأيتك أكثر من مرة . .

الملازم : لنا جارة جميلة وثرية هكذا ولا أعرفها ؟ . كم أنا مغفل ! . ( تقهقه ) اسمع أيها المنتج . ( يتلفت هنا وهناك يبحث عنه ) وأنت أيها المخرج . . ضعا حدا لهذه اللعبة السخيفة فوراً . .

الفتاة : ما رأيك . . أن نخرج من هنا ونبتعد عن المشانق ؟ . أنا من هواة الحياة . .

( يقهقهان . . ينصرفان ) .

المخرج : أيها الضابط . . أيها الضابط . . نفذ كلام العميد . . خلصنا أنت من هذا المأزق . .

( يهب الجمهور يشد المخرج للداخل )

سيدة ١ : تود أن تتلف كل شىء . .

رجل : أين شريكه . . أين المنتج .

سيدة ١ : هرب . . هرب الوغد . . خرج من العميد . .

المخرج : نفذ بجلده . . ( يواجههم بحدة . . ينظر إليه ) . . لن أتخلى عنك أبداً . . لكن أرجوك . . ساعدنى . .

الرجل : انتهى الأمر . .

( يصفقون ) . .

م. الديكور : الآن المشنقة ماهزة . .

المخرج : جاهزة ؟ .

الرجل : وأنا أيضاً جاهز . .

المخرج : أنا لن أشد الحبل . .

تاجر : أين مهندس الديكور ؟ .

المخرج : مهندس الديكور لا يشترك فى تنفيذ العمل . . انتهى دوره . .

رجل أعمال : أين المساعدون ؟ .

المخرج : كلهم فروا . . هربوا . . طاروا . . ( يصرخ فى الرجل ) لماذا لا تطير أنت الآخر ؟ .

الرجل : سأطه إلى السماء . .

( يضحكون ويهزأون بالمخرج : نفذ . . نفذ . . اشنقه )

المخرج : أنا لا أشنق بطل ؟ أبداً . . هذا العمل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لا يقوم به إلا رجل واحد فى مصر إنه عشماوى . .

( يهتفون : عشماوى . . عشماوى . . اطلبه بالتليفون ) . .

( يتجه نحو التليفون . . يطلب . . )

ادارة السجون . . أريد عشماوى . .

آه . . مريض . . يعانى حالة خطيرة متوتر . . فقد اتزانه النفسى . . جن . .

( يضع السماعة . . يقهقه ) عشماوى لن يحضر . .

كبير التجار : وما الداعى لعشماوى ؟ . نفذ أنت . . نحن نرغمك على ذلك . .

( صياح وصفير )

المخرج : لا لا . . لا يمكن . . لن أشنق بطلى . . لن أشد الحبل . .

( يهتفون فى وقت واحد : كلنا نشد الحبل . . يقفزون على خشبة المسرح )

( يتجمع المخرج صوب الرمال . . يصرخ )

أضعت أكثر من فرصة . . كم أنا مغفل ! . لن تثير أحداً . . أنت رجل جامد . . شخصية لا تنط أبداً . . لن تثير التاريخ كما زعموا . . لن تقرع لك الطبول فى السماء أو فى الأرض . . ( يشدونه بعيداً عنه . . يصرخ ) لقد هزمتنى لم تهزم نفسك فقط . .

( ابتعد . . ابتعد . . يتجهون صوب الرجل . . يدفعون به صوب المشنقة . . )

( فى هذه اللحظة . . تدخل زوجة الرجل . . ومعها شيخ وقور . . تصرخ الزوجة . . )

الزوجة : اتركوه . . اتركوه . . ( تصعد )

الشيخ : تراجع يا ابنى . . تراجع . .

سيدة ١ : ما معنى هذا . .

سيدة : ابعدى عنه . .

الزوجة : انه زوجى . .

سيدة ١ : . . ابعدى عنه . . أين كنت قبل ذلك ؟ .

الشيخ : ما هذا الذى تقدم عليه ؟ . اى شيطان خبيث انتصر عليك ؟ .

كبير التجار : ابعد أيها الشيخ . . لا تفسد الحدث .

( يصرخ المخرج )

المخرج : حاول يافضيلة الشيخ . . حاولى ياسيدتى . . نشف ريقى معه . .

الرجل : لا جدوى ابعدوا عنى . .

الزوجة : ( تبكى ) لا يا حبيبى لا . . أرجوك ابق معى . . كم أحبيتك ! .

الرجل : دعونى لحالى . . انى أسير فى اتجاه الرب . .

الشيخ : الله فى السماء . . الله فى الأرض . . فى كل مكان . . الشياطين لا يدفعون أحداً تجاه الرب . . هذا خطأ . .

الرجل : الله سيقدر ظروفى . . ظروفى الصعبة . . كل الأبواب باتت مسدودة أمامى . لم يبق أمامى غير باب الرب . . دعونى أطرقه بقوة . . باركونى . .

الشيخ : هذا كفر ذنب لا يغتفر أبداً . . أنت هكذا تخون الله . . الله سيغضب عليك . .

الرجل : أرجوك أيها الشيخ . . بارح مسيرتى . . سوس الدنيا ينخر فى عزيمتلا . . أود أن أذهب إلى الله نقياً كما خلقنى . .

الزوجة : تراجع من أجل ياحبيبى . . أنسيت حلمنا بطفل .

الرجل : الله معك . . سأتركك مؤقتاً . . مؤكد سنلتقى . .

الشيخ : لا يا ابنى لا . .

المخرج : استمر ياشيخنا استمر . . لعله يقلع عن هذه الفكرة السوداء . .

تاجر : ابعد عنه أيها الشيخ . . لا تعطله . . لا تطل عذابه . . لقد اختار طريقه بشجاعة وانتهى الأمر .

( يزداد الصفير والصياح . . ابعدوا الشيخ . . ابعدوا الشيخ )

الزوجة : ( تقترب منه ) لم تفلح بالدنيا بعد يا حبيبى . .

سيدة : ابعدى عنه . . لقد أعطانا كلمة وانتهى الأمر . .

الرجل : أرجوكم . . . صوت السماء القوى يدق أسماعى . . لا تحرمونى من هذا الاحتفال السماوى الرائع . . أسمع كل شىء . .

( ينظر للسماء )

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

الزوجة : لا يا حبيبى لا . . تعال نبن كل شىء من جديد . . مؤكد ستتخلص من هذه الحساسية مع الأيام كما قال الطبيب . . ستتعود كل شىء . . لن تف!عإذا سمعت الراديو . . أو شاهدت التليفزيون . . لن تنتابك حالة الغثيان إذا قرأت الجرائد . . لا تتأمل الناس أكثر من اللازم . . لدينا ما يقد حاجتنا . . لا داعى حتى لأن تذهب إلى العمل . . ليس من الضرورى أن تقرأ أو تسمع .ؤ روحك ستكتسبمناعة . . فى المستقبل ستتعود هذه الأمور . . سأخلف لك طفلا . .

الرجل : ( يصرخ ) لا لا . .

الشيخ : حصادك لم يحق بعد . . فلماذا تخلع جذورك من الأرض ولم تنضج غلة عودك بعد ؟ . انه همس الشياطين . . أنت فريستهم الليلة . .

الرجل : لماذا تودون طول غقامتى وسط هذا غلمستنقع ؟ .

المخرج : أرجوك . . انها تجربتى الأولى . . أنت توجه طلقة قاتلة لآمالى العريضة . . أول عمل لى يشنق البطل شنقاً فعلياً . . مصيبة . . مصيبة .

الزوجة : ياحبيبى . . العاصفة تحرق أعشاش العصافير وتهدمها . . ولكنهم يبنون أعشاشاً جديدة . . لا ييأسون أبداً . . الحياة جميلة ما جدوى الموت ؟ . ( تبكى ) . .

الرجل : فات الأوان . سفرى بدأ . . موكبى يتحرك . .

الشيخ : أنت ممسوس . . ضعيف . . لابد أن تفهم ذلح .

الرجل : لماذا تود لى أن أحب وسخ الدنيا ؟ .

الشيخ : لديك الكثير . . أودع الله فيك بذوراً كثيرة للمقاومة والتحمل . . لماذا تطمسها ؟ . لماذا تهرب من الاختبار ؟ . إذا أقدمت عليذلك فأنت من عداد الكفار ؤ . ( يصرخ فيه ) ما قيمتنا إذا لم نقاوم الفساد ونزرع الأرض بالخير والمحبة ؤ . لماذا تذهب صفر اليدين . . لمغذا تنسحب من طابور الجهاد . .

الرجل : ( يصرخ ) عندما استدعونى للقتال قاتلت ببسالة نادرة . . كان لحمى دمى فى مواجهة الحديد والنار . . اعترف الأعداء بشجاعتى . . وعندما عدت لم أجد الطريق الذى كنت أحلم به . . لم أجد نهراً يتدفق فيه عرقى ودمى . . رأيت كل شىء أمامى يسقط . . كنت فقط أتأمل فى غرفة مظلمة الرطوبة أكدت أحلامى لأمتى تلك التى أزدهرت يوماً بعد الحرب . . كنت كمن يقاتل طواحين الهواء . . وأخيراً تأملت موقفى . . فى هذه الغرفة . . وجدت جثة ممدودة . . وأفكاراً ساخرة تنفجر فى رأسى . . والعجز يقهقه بجوارى . . فلماذا أبقى ؟ .لماذا . . لماذا ؟ . ( يصرخ ) .

الزوجة : ( تبكى ) الطبيب قال لك ستتعود كل شىء مع الأيام . .

الرجل : فى الأيام الأخيرة وجدت نفسى أتحول . . أتدلون أتحول إلى ماذا ؟ ؤ ( صمت ) . . إلى دودة ! . . أنا دودة قذلة ! ( يتمرغ على الأرض ) كنت فقط أبحث عن الشقوق المظلمة لأختفى بها . . آه . . آه . . ( يتألم ) . . شكلى يتغير كل يوم . . ( يصرخ ) سأتحول إلى دودة . .

الزوجة : ( يتربت على كتفه ) خلقنا لكى نفلح الأرض . . نزرع الطيب . . ونقلع جذور الخبيث . . أنت هكذا تختار الطريق السهل . . لا يا ابنى لا . . اختر الصعب . . ان حكمة الله رائعة . . وممتدة . . لولا الفساد مغ كانت روعة النضال . . روعة الحق . . انهض وانقض غمتك . ( يبتسم ) أنت زرع طيب فى هذه الأرض . الألم يدخل فى نطاق اللعبة . . . انهض ياطفلى . . وتأمل ذلك البستانى الذى يقتلع الحشائش ويغرس الورود . . فيأتى فلا اليوم الثانى ليجد الحشائش تنمو من جديد فيقتلها . . لو أصابه اليأس لا نتهت الورود من الدنيا كلها . . ولصارت خراباً . . ( ساخراً ) كيف نزحزح الأيام ونطويها ؟ . اللعبة كبيرة جداً حاول أن تفصمها . . قاوم ضعفك . . كن طفل الأرض القوى . .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الرجل : ( حزيناً ) ليتنى رأيتك منذ زمن ! . فات الأوان . .

الشيخ : عرش الله رائع فى الأرض . . احذرك . . أنت هكذا تهدم عرش الله . .

الرجل : ما أنا إلا حشرة . . مخلوق بسيط . .

الشيخ : الحشر تشكل جزءاً فى هذا العرش . . وأنت أجمل مخ على الأرض . .

الزوجة : اسمع كلام الشيخ . .

المخرج : لعلك فهمت خطأك الآن . .

( الرجل يهز رأسه رافضاً )

( تقفز سيدة إلى خشبة المسرح . . تواجه الشيخ )

سيدة : أنت أيها الشيخ تود له أن يخون وعده . .

الشيخ : أذهبى ياامرأة . . توبى وصلى . . تخلصى من شيطانك الآثم . .

تامر : هذه اهانة . . أتهين امرأة ياشيخنا . .

( الهتاف بدوى . . ابعدوا الشيخ . . ابعدوا الشيخ )

الزوجة : ( تبكى ) لا يا شيخنا لا . . لا تترحه . . إنه تائه . .

المخرج : أرجوك شجعه . . هناك أمل .

( يتقدم كبير التجار غاضباً نحو الرجل )

كبير التجار : لحظة ياسيدى . . ( يبعد الزوجة ) يا أستاذنا الفاضل . . عندما سمحنا لك أنتصعد إلى جوار هذا الرجل الشجاع . . كنا نأمل منك أن تهدىء سريرته . . أن تشجعه ليجتاز مشواره الشاق الذى قرر أن يقطعه . . أنت هكذا تزعزع ثقته بنفسه . . تولد لديه احباطا . . حل شىء فى هذه الحياة يحتاج إلى مغامرة . . من يأتى إليها يأتى بسبب مغامرة . . ومن يخرج منصا يحتاج إلى مغامرة . . ومن لا يغامر لا يثر أبداً . . هذا الرجل مكسبه الحقيقى فى السماء . . لماذا تحول بينه وبين إتمام صفقة السماء . .

( يتجه صوب الرجل ) الشريف إذا وعد لا يتراجع . .

الزوجة : ( تصرخ ) لا . . لا . .

الشيخ : هذا هو أسلوب الشياطين . . وحججهم . .

تاجر : يافضيلة الشيخ . . واضح أنك لم تودع أى مشنوق من قبل . . خبرتك للأسف ضئيلة فى مثل هذه المواقف . كان الأجدر بك أن تلقنه حسب الأصول . .

المخرج : أى أصول تتحدث عنها أيها الرجل ؟ .

الشيخ : ماذا تود أن أقول له هه ؟ . .

كبير التجار : قل له . . يقول السلامعليكم عندما يهبط إلى القبر . . قل له أن يلقى بسلامه إلى أهل غليمين أولا . . قل له كيف يركز عندما يدلى باعترافاته وأن يتذكر خير أفعاله . . وأن ينسى السىء منها . . انصحه كيف يمسك كتابه بيمينه . . وأن يكون فطنا ولا يتهور فى كلامه . . . وأن يسوى أموره ؤ . ولكى لا يشرد أو يتخبط فى القول . . قل له . . . يجب ألا يفقد ثقته بنفسه ولا يرهبه الموقف وأنه شجاع وشريف أو فى بكل عهوده . .

تاجر : هذا هو الكلام الطيب . .

سيدة : بذلك يكون قد وصل إلى الجنة . .

سيدة : هذه هى الموعظة الحسنة . .

الزوجة : ( تبكى ) لا لا . .

المخرج : ( يضرب كفا بكف . . يهز رأسه ) . أى جمهور هذا . . مفاجأة . . مفاجأة سيئة جداً . .

الشيخ : ( يتقدم نحو الرجل . . يضع يده على رأسه . . يتمتم ببعض الآيات ) اللهم اكشف له الطريق الصحيح . . وأنر ظلمة روحه . . وابعث فى نفسه القوة والإيمان الصادق وأنر بصيرته .

( ينصرف الشيخ ) . .

( ينهض الرجل . . يهز رأسه وكأنه يفيق من كابوس رهيب )

المخرج : أفق . . لا يجب أن تغضب الله .

الزوجة : قال الشيخ أنك ستغضب الله . .

الرجل : وأنا أحب الله . فكيف أغضبه ؟. لا لا . . لن أغضب الله ( الزوجة تحتضنه ) سأكمل مشوارى . . سأناضل . . سأصلح بشاعة الدنيا . . مهما كثر الشرّ بها .

المخرج : ( يصفق بجنون ) انتصرت ! . . انتصرت ! . . التجربة نجحت . .

الزوجة : كنت واثقة أنك ستعود . .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المخرج : انتصرت . . انتصرت . .
( حالة هرج . . وصفير . . واستنكار من جانب الجمهور )

سيدة : إذاً كانت لعبة ؟ .

تاجر : هذه خيانة ! .

كبير التجار : سيحق عليكم العقاب . . أنتم لا تدرون عقاب السوق وشره . . الصفقة هكذا لم تتم . .

سيدة : كنت أشم رائحة الخيانة وقت أن دفعت نقودى . .

تاجر : لعب عيال ! . ملعوب .

رجل اعمال : للسوق أعرافها وتقاليدها .

كبير التجار : لابد أن تتم الصفقة . .

المخرج : تتم الصفقة . . هذا جنون . . الرجل تراجع . نظريتى نجحت . .

كبير التجار : أنت وغد خسيس خائن . . أنت وهو . . ابعدوا هذه السيدة . .
( كلهم فى حالة ثورة عارمة . . وغضب مروع . .
يبعدون الزوجة . . يهجمون على المخرج الذى يصرخ فى وجه الرجل ) .

المخرج
الرجل : لا . . أنا لا أهرب . . سأقاومهم . . ( يحاول الاشتباك معهم . . ولكنهم كثرة . . يدفعون بالرجل إلى المشنقة عنوة . . بينما يكتفون المخرج بالحبال . . ينفذون حكم الإعدام فى الرجل . . تتردد صرخات محمومة من المخرج . . )

( لحظة اظلام . . ينسحب الجمهور من الكراسى الأمامية . . ويتوارى فى الظلام الجانبى لا يختفى تماما . . وكأنه لم يكن موجوداً . . بينما يبدأ النور فى غزو المسرح . . )

( المخرج يردد وحده على المسرح صرخاته بقوة . . قتلتم البطل يا أوغاد ! . . ياسفلة . . قتلتم بطل ! . . قتلتم بطل ! . بطل مات . . يالها من خسة . . يالـه من جبن ! . يالـه من عار . . بطل مات مثنوقاً بيدكم . . يدكم ملوثة بدمائه . . )

( فى حالة هيستريا يلتقط خشبة طويلة ويطوح بها فى الهواء ) سأقتلكم أيها المتوحشون . . ( يضرب كراسى المتفرجين وهو مستمر فلا غضبه وحزنه . . ) أين أنتم . . أين هربتم . . سأطاردكم فى البيوت والشوارع . . فى منامكم وفى يقظتكم . .

( فجأة يدخل مدير المسرح ومعه بعض الرجال الأشداء ) .

مدير المسرح : لن أسمح لك أبداً بعرض هذا الهذيان . . لن أسمح لك أبداً أن تتحرش بالجمهور الحريم . . الجمهور المحترم . . أنت هكذا تخذش كبرياء الجمهور . .

المخرج : جمهور غبى . . جاهل . . لم يحرك الأحداث إلى الأفضل أبداً . . ( يصرخ ) الجمهور قتل بطل . . . سأقاتلهم . .
( يطوح بعصاه . . ويضرب الكراسى بشكل جنونى )

مدير المسرح : أنت مجنون . . تود أن تحطم القواعد . . اشراك الجمهور يجب أن يكون لحسابه . .

المخرج : اللعبة كلها فى يد الجمهور . . ( ينهار ) الجمهور المتوحش يحرك الأحداث . .

مدير المسرح : ( غاضبا . يشير إلى رجاله برفعه والقائه خارج المسرح )
( يحيطون به . . ويحملونه وهو يصرخ . . بطل مات !
بطل قتل ! . شنقه الجمهور المتوحش ! . .

القاهرة : عبد اللطيف دربالة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

# الزينى .. حوار إيقاعى بين التشخيص والتجريد

د . فاروق بسيونى

يتمى الفنان « زكريا الزينى » بتاجه إلى تلك المجموعة من فنانى جيل المصورين المحدثين الثالث بمصر ، التى راحت بعد امتلاك الأدوات الأكاديمية ، تبحث فيما قد بدأه « راغب عياد » مع منتصف الثلاثينيات ، وواصله « عبد الهادى الجزار » و « حامد ندا » خلال الأربعينيات والخمسينيات من اهتمام بما يسمى بالشخصية المصرية فى الفن .

تلك المجموعة التى برغم ضآلة حجمها ، بالقياس إلى حجم الجيل الثالث كله ، تشكل بتاجها ونتائجها ، المحور الأساسى الجاد للحركة الفنية بمصر الآن ، ربما لأنها قد امتلكت أدواتها بشكل إيجابى ، ولم ينبهر أفرادها بمثيرات « الموضة » الغربية المبهرة ، كما لم ينسجنوا داخل تراكيب تراثية ، أدت دورها فى زمنها فحسب ، وإنما راحوا يبحثون فى جدية ، عن صياغات ملائمة للعصر ، بعد استيعاب وهضم معطيات التراث وليس شكله الخارجى ، منطلقين من الواقع المصرى ، بظروفه الإجتماعية والسياسية ، مستوعبين أثناء البحث ، معطيات الحضارة الغربية من أشكال الفن المختلفة ، دون إنبهار بها ، ودون إسقاط لأهمية الوعى بمنجزاتها .

فالمصرية لا تعنى الرفض المتعنت لكل ما هو غربى ، لأن ذلك من شأنه إيقاف الحوار ، والإنسحاب للداخل ، وبالتالى اجترار الموروث دون إضافة له أو إثراء لملامحه ، كما بالضبط لا تعنى ، مجرد الوقوف إزاء التعبير مباشرة ، عن واقع اجتماعى أو ظروف لحظية ، معينة ، لأن ذلك من شأنه « قتل » رحابة البحث ، وإيقاف أهمية الحوار الإيجابى مع الآخر .

وهى لا تعنى أيضاً استحضار أشكال التراث كما هى ، فى تبلورها ، وتحويلها إلى « موتيفات » داخل النتاج ، لمجرد الرغبة فى تحقيق قدر مما يسمى بالأصالة .

لأن الأمر يعنى بالضرورة ، كى تتحقق الأصالة والمعاصرة معاً ، إقامة جسور من الحوار الدائم والمستمر مع أحدث ما فى العصر من نتاجات وأساليب ، بل ورؤى ، حتى وإن تناقضت معنا ، واستيعاب معطيات ذلك النتاج ليصبح « خبرة » يمتلكها الفنان ، وليس قيداً عليه ، بالضبط كما هو الحال مع أشكال التراث الفنى المختلفة ، التى لا يجب الوقوف إزاءها بشكل سلبى لأن ذلك من شأنه صنع حالة من « المسخ » ، ومحاولة إلباس شكل ، هو نتاج ونتيجة لعصر سابق بكل ملابساته وظروفه ، لعصر قائم مختلف تماما عنه .

الأمر إذن يحتاج قدراً من « الوعى » بمعطيات هذا وذاك ، وهضم بعد استيعاب تلك المعطيات ، لتمثلها بعد ذلك فى النتاج كخبرة أعلى وأكثر اتساقاً مع العالم والمحلية معاً .

وربما كان نقص « الوعى » بذلك ، بجوار إفتقاد السيطرة على الأدوات ومهارة الأداء ، هو ما يجعل العديد من فنانينا ، يلجأون إلى الإبهار والإثارة والجرى وراء التقاليع فحسب ، فيأتى إنتاجهم وتذهب ، دون دور حقيقى أو قيمة باقية ، وبالتالى فإن القليل الجاد منهم ، يبدو متميزاً ، وتحمل أعماله بجوار القيمة والتفرد ، أهمية الدور الهام فى تشكيل الملامح الحقيقية الفنية التشكيلية المصرية المعاصرة .

## □ الملامح

ونعود « للزينى » وهو واحد من المتميزين فى جيله ، لنجد أنه قد إستطاع ، من خلال إمتلاك أدواته الأدائية الأكاديمية بمهارة عالية ، ثم وعيه المستوعب لأشكال ونتاجات فنون التصوير المستحدثة فى العالم ، ومن واقع إهتمامه بالإنسان المصرى البسيط فى سلوكه وعاداته وظروف حياته ، ان يبلور لنفسه أسلوباً ، متنامياً

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

معه ، الشكل فيه قائم على أصول لغة التصوير الأدائية ، والمضمون فيه متواجد من خلال الشكل ودون طغيان عليه .

لذا جاء نتاجه في مجموعه ذا سمات مصرية ومعاصرة معاً ، متفردا في فتراته المتتالية ، برغم ما على بعضه من ملاحظات ، فهو بسيط في تركيبه دون تطرف باهر ، ودون مباشرة تقليدية في التعبير أو التناول الأدائي .

□ الروافد

وكما أن لكل ملامح متبلورة ، روافد أولية ، تمدها وتشكل لها سمات ، تميزت التجربة لدى « الزيني » « بإحتوائها » على ملامح في الشكل وفي إيقاع البناء ، لها روافد وجذور ، تمتد عبر زمن طويل ، بدءاً من وجوه الفيوم القبطية ، وحتى تناولات التجريد التعبيرية لدى العديد من فنان الغرب الحديثين ، قام بإستيعاب معطيات الشكل فيها وملامح التحوير ، إستيعاباً أقرب إلى « الهضم » والذوبان ، لتصبح تأثيراتها ، جزءاً منطقياً في نسيج التجربة لديه ، وليست مضافة إليها قسراً من الخارج .

فقد تميزت ملامح أشكاله ، بانصهار أربعة روافدرئيسية داخل تراكيبها ، أمدتها بغنى تأليفي ، دون أن تقيد حرية الإنماء والإضافة المستمرة فيها .

أول تلك الروافد تصاوير وجوه الفيوم القبطية ، ببساطة بنائها وعيونها الواسعة المحدقة في مواجهة صريحة ، وألوانها البنية ، ولمسات التصوير الحية البسيطة فيها .

بينما تشكل « عروسة المولد » الشعبية ، الرافد الثاني ، بتلخيص الملامح فيها ، وتحورها إلى خطوط واضحة صريحة تحيط بالعينين المحدقتين ، والأنف الذي يصنعه خط بسيط وبمجموعة ألوانها الزاهية ، هذا من ناحية الروافد الشكلية التراثية المصرية ، ومن ناحية أخرى يشكل نتاج كل من « كاميللي » و « برميك » المصورين المعاصرين ، بشخوصهما الساكنة ، والمشحونة بحس إنساني عال ، وبلمسات الأداء التقني ، التي تشكل سطوحاً غنية في أعماقها ، رافده الثالث ، كما تبدو تبسيطات كل من « وليم سكوت » و « بن نكلسون » التجريدية ، وتقسيماتها البنائية لأشكال الطبيعة الصامتة ، رافده الرابع . وهكذا تبدو روافد الشكل الأولى لديه ، خليطاً من التراث المصري والحداثه الغربية ، لا تبقى جميعها كما هي ، وإنما تذوب مختلطة بالتجربة ، لتتمثل بعد ذلك كجزء حميم من الشخصية الفنية ، فترتفع بمنطق التناول التأليفي للأشكال ، وتخدم المضمون ، الذي يظل دائماً على طول تجربته ، حتى في فترة الإغتراب - سنوات البعثة العلمية بإيطاليا - آتياً من رافد واحد ، هو الحياة الإجتماعية في مصر . رافد لا يتغير ، سواء أنتج أشكالاً لشخوص في موضوعات تعبيرية ، أو تحول للتجريد وصياغات الشكل الخالصة . حيث يظل دائماً المثير الأول ، هو موضوع مطروح ، مصري الملامح والمذاق .

□ التجربة

تبدو التجربة لدى الفنان « زكريا الزيني » في مجموعها ، على مدى الربع قرن الماضي ، غربية في منطق نموها وتحولها ، غير تقليدية في إتجاه حركتها . حيث من الطبيعي أو المنطقي ، أن تتحول الرؤية من التشخيص للتجريد ، أي من التعبير الواضح المتراكب العناصر ، نحو التبسيط والتلخيص . ولكن « الزيني » قد قام بثلاث رحلات متتالية مع الأشكال ، بادئاً في كل منها بالتشخيص التعبيري الساخن ، ثم متحولاً للتجريد ، وعائداً مرة ثانية إلى التشخيص وصولاً للتجريد وهكذا .

● فقد بدأ مع بداية الستينات ، وبعد الإنتهاء من فكرة الدراسة الأكاديمية ، مرتبطاً إلى حد كبير بالطبيعة ، دون تحوير ، مهتماً بتصوير مناظر وشخوص بأداء تقليدي ، أقرب إلى التسجيل لما يراه دون تدخل ، إلا بما يرتفع بالتعبير قليلاً ، كأن يهتم بإتساع العيون شيئاً ما ، أو يتخلص من بعض التفاصيل التي من شأنها شغل البصر عما تحمله الوجوه من تعبيرات هادئة بسيطة ، أو يضفي على ما يختاره من مناظر ، حساً ساكناً أقرب إلى الإيحاء المسرحي .

ولم يستمر ذلك طويلاً ، إذ سافر في منحة دراسية إلى ايطاليا ، فتغيرت المؤثرات المحيطة به ، وتغير بالتالي منهج الرؤية ، بل والتناول ، وكأنما يحاول استرداد الروح المصرية التي يفتقدها ، بصور وجوها ، تحولت إلى مسطحات بسيطة التركيب ، تحمل عيوناً أقرب إلى عيون وجوه الفيوم القبطية ، بل وملونة بنفس المجموعات اللونية الساخنة المستخدمة في تلوينها ، ولكن تأثير البيئة المحيطة يطغى ، فيترك بعد ذلك تصوير الإنسان بشكل مباشر ، ليتجه إلى تصوير مناظر متنوعة من الطبيعة ، شكلت المحور الأساسي ، الذي تبلورت من خلاله أدواته ونمت معه . فقد بدأ بتصوير منازل وقوارب من مدنية فينسيا التي عاش فيها ، ليس بهدف تسجيل ملامحها ، وإنما مستلهماً إياها كمثيرات أولية ، يعيد صياغة أشكالها ، في تراكيب بنائية ، ينتفي منها الإيهام بالبعد المنظوري التقليدي ، جاعلاً الأبنية تبدو أقرب إلى الكائنات الحية ، عيونها نوافذ وأفواهها أبواب ، تسبح في « هارمونى » من الألوان الساخنة الحمراء والصفراء ، وتشكلها لمسات عريضة متدفقة ، في إتجاهات متخالفة .

ثم إنتقل إلى تصوير شباك الصيادين المعلقة على حوامل التجفيف ، بدت كشخوص راقصة في إيقاع تجريدي ، بعد أن تحولت بشكل تدريجي إلى أشكال تجريدية خالصة ، مبتعدة فيما وصلت إليه من تلخيص ، عن الملامح الطبيعية الأولى لها . فقد أصبحت المساحات البينية الفاصلة بين حوامل الشباك الأشبه بالشخوص ، أشكالاً مسطحة ، تتداخل وتتراكب في إتباع هندسي ، قاده بعد ذلك إلى استنباط تراكيب تجريدية خالصة ، وحدتها الأولى المربع واستخراجاته المستطيلة والمثلثة ، تبدو في بنائها « ساكنة » من الخارج ، تعتمل بموحيات الحركة الداخلية ، بتوزيعات اللون وتباينه ، وقيادتها للبصر كي يتنقل عبرها في تتالٍ مستمر ، ليختتم رحلته البحثية الأولى ببناءات تجريدية مركبة من مساحات مسطحة ، لا ترتبط بمصادرها الأولى في الطبيعة ، ليعود بعد قضاء فترة دراسته

بإيطاليا ، إلى مصر بعد منتصف الستينات بقليل .

● وللتشخيص ثانية يعود ، ليس بمفهومه الاصطلاحي ، وإنما بمنطق ما أطلق عليه « التشخيصية الجديدة » ، وهو إصطلاح يعنى الإرتباط بالطبيعة وبالإنسان بشكل خاص ، ولكن دون « التقيد » بمظهره الخارجي ، وإنما مستلهماً إياه بعد تحوله إلى « حامل » للتعبير ، حتى وإن تغيرت ملامحه ، لتتوافق و« حالة التعبير » التي يقدمها .

عاد « الزيني » للتشخيص بذلك المفهوم ، بعد أن انتهت رحلته الأولى مع الشكل إلى التجريد الخالص ، وتغيرت الظروف المؤثرة الا المحيطة به بعودته من بعثته الدراسية .

ومن طفولته يستحضر من مخزون الرؤية ، عديداً من المظاهر والطقوس الشعبية المصرية ، ليبدأ صياغة أهم نتاجاته على الإطلاق ، تلك التي شكلت الملامح الأساسية لتجربته الفنية .

فقد صور العديد من صور الطقوس والعادات الشعبية ، وعلى رأسها رقصات الزار ، المشحونة بالإيقاع وبالتعبير الحاد معاً ، لم يصورها بغرض تسجيلي كما فعل « الجزار » قبل ذلك ، وإنما بدت « كمثير » موضوعي أولي ، يعطي وسائط ورموزاً ، يطرح بعد إعادة صياغتها « موضوعاً تشكيلياً » ، البناء المستحدث فيه ، وتوافق الشكل والمضمون معاً ، دون أن يجور أحدهما على الآخر ، هما البغية الأساسية . فقد عمد بشكل عام إلى طرح تكوينات وتراكيب ، تبدو في مظهرها ساكنة ، وإن حفلت بحركة داخلية عالية ، نتاجاً لتدفق اللمسات اللونية بأداء جيد ، وكذلك لتباين عديد الألوان من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، بدأ تحول الشكل الآدمي إلى رموز تتحاور بما تحمله من شحنات تعبيرية مع تقسيمات السطح الهندسية المحكمة ، أشبه بتلاقي نقيضين هما « فطرة التعبير » و « هندسة البناء » بحيث أصبح « الزار » - المثير الأولي - ذائبا - في حالة حية من التعبير الإنساني .

في تلك الفترة نراه دائما يعمد إلى تقسيم السطح إلى مساحتين متجاورتين ، متناقضتين من حيث اللون وكذا الشكل ، متوافقتين من حيث ما تطرحانه من حوار متسق بين كليتهما ، وأصبحت المرأة البدينة في حركتها وإنتشاء ملامحها ، رمزاً مجهلاً للخصوبة ، بينما تحيطها دائما قيود هندسية الشكل ، تبدو كما لو كانت تحدث « توقيفاً قسرياً » لأعلى لحظات انفعالها ، فتظل هكذا ، حاملة لقدر عال من التعبير .

ومن « الزار » كمثير أولي ، برموزه كالسمكة والديك المذبوح ، وبألوانه الساخنة ، وأوضاع شخوصه التي تحمل قدراً كبيراً من الديناميكية ، ينتقل إلى مثير جديد ، هو احتفالات الموالد الشعبية ، ليتقى منها على وجه التحديد ، « لعبة النشان » الشعبية ، مستلهماً تقسيمات سطوح الأهداف إلى مربعات ودوائر ، في تكوينات جديدة ، تمتلىء فيها سطوح اللوحات بتقسيمات مشابهة ، تتحاور بسكونها كمربعات ، وبألوانها الزاهية المتباينة ، مع شخوص تحفل وجوهها - على بساطة ملامحها - بقدر كبير من التعبير الإنساني ، يأتي عن عيونها الواسعة المحدقة الأشبه بعيون وجوه الفيوم ، حوار أيضاً بين الشكل الهندسي والتعبير الإنساني .

ومع بداية السبعينيات ، تبدأ حدة التباين في عديد الألوان في الخفوت ، وتتحول إلى تناغم بين الألوان الفاتحة ، وتهدأ حركة الشخوص ، بل وتحيطها خطوط منتظمة مربعة ومستطيلة ، تحدث « تثبيتاً » لحركتها ، بل وسجناً لها .

ومن التناقض بين نبض الشكل الإنساني ، وبروده قيوده الهندسية ، يتوالد التعبير هادئاً ، وإن امتلأ بسخرية مريرة . ويظل الإنسان يتضاءل ، والمربعات تزداد إنتظاماً ، حتى تتحول إلى نوافذ ، يطل منها بعيون محدقة مستغربة ، متبرمة بقيودها ، وإن سكنت حركته تماماً ، وتقيدت بذلك الانتظام الهندسي الذي يحيطه ، ويحد من الإيحاء بحركته ، حتى يتحول الأمر في النهاية إلى نوافذ مربعة متشابهة ومتجاورة في إنتظام فحسب ، بدت بألوانها الزاهية وخفوت درجة تواجد الشخوص خلفها . بل وتضاؤل حجومها ، هي البطل الأساسي في تركيب اللوحة .

وينتقل بعد ذلك ، وفيما يشبه البحث عن مثير جديد لإذكاء التجربة ، ليصور مناظر لعوامات راسية على النيل مليئة بالتفاصيل الهندسية المتداخلة ، والمتحولة من لوحة لأخرى إلى مساحات تجريدية ، **متشاركة الشكل** واللون معاً ، مختتماً بها رحلته الثانية ، من التشخيص للتجريد ، بعد منتصف السبعينيات بقليل .

ويتوقف بعد ذلك تقريباً ، وكأنما هي حالة من السكون الكامل ، أو الإبتعاد عن الساحة . أو هي فترة ترتيب للأوراق وبحث عن مثير جديد .

● ومع بداية الثمانينات ، يبدأ ثانية ، مستلهماً في تلك المرة ، أشكال الزهور ، محاولاً من خلال التنويع في ملامحها وألوانها ، بل ومنطق تناولها الأدائي ، إيجاد صياغة جديدة لرؤية جديدة . وإن ظل الأمر واقفاً عند حدود البحث والتجريب ، حتى منتصف الثمانينات ، حينما بدأت رحلته الثالثة ، مع التشخيص في البداية ، وصولاً بعد ذلك للتجريد الهندسي الخالص .

وكعادته تبدأ التجربة حادة التعبير ، فقد اختار في البداية « القمامة » كمثير ، بأشكالها المتناثرة غير المنظمة ، وبما يمكن أن تحمله من رموز ودلالات ، لها معان تعبيرية حادة ، ثم راح يصنع من الشكل والمعنى معاً ، موضوعاً ، طرحه في البداية هكذا ، صريحاً وقاسياً من خلال استلهام أشكال النفايات ، صورها بلمسات عنيفة منهمرة على السطح ، خشنه الملمس ، وبإيقاعات تعبيرية عالية ، يحدثها التناقض بين الانطفاء والسطوع الضوئي وكذا التباين بين اللون الزاهي والقاتم ، وبين السكون المتأتي عن التسطيح للأشكال ، والحركة التي يحدثها تراكب العناصر . هكذا بدأت التجربة ، ثم تحول التناول مع ذلك تدريجياً من لوحة لأخرى إلى غنائيات أقرب إلى التجريد ، حتى أصبح الشكل بسيطاً مسالماً ، متناثراً في هيئات مربعة ودائرية مسطحة ، ذات حسن « فانتزي » ، راقصة على السطوح بعديد الألوان الزاهية ، تبدو كما لو كانت تنتشر في أرجاء الصورة من بؤرة مركزية وهمية ، غير مرتبطة بواقع

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مرئى ، وغير حاملة لأية أغراض تعبيرية ، إلا ما يحدثه الإنتقال « النطاط » من شكل لآخر على السطح من حوار بينها كأشكال تجريدية هندسية الملامح .

وهكذا . . تبدو التجربة لديه ، تجارب ثلاثاً ، تستغرق من كل منها فترة ، تبدأ تشخيصية وتعبيرية واضحة ، لتنتهى تجريدية الشكل والإيحاء معاً .

وكأنما الفن « حالة » من القول والإستماع معاً ، يتساوى فيه الإلتزام بموضوع محدد سلفاً ، أو التحرر التجريدى فيما يشبه المغامرة .

القاهرة : د . فاروق بسيونى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

# الزينى ..
# حوار إيقاعى
# بين التشخيص والتجريد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

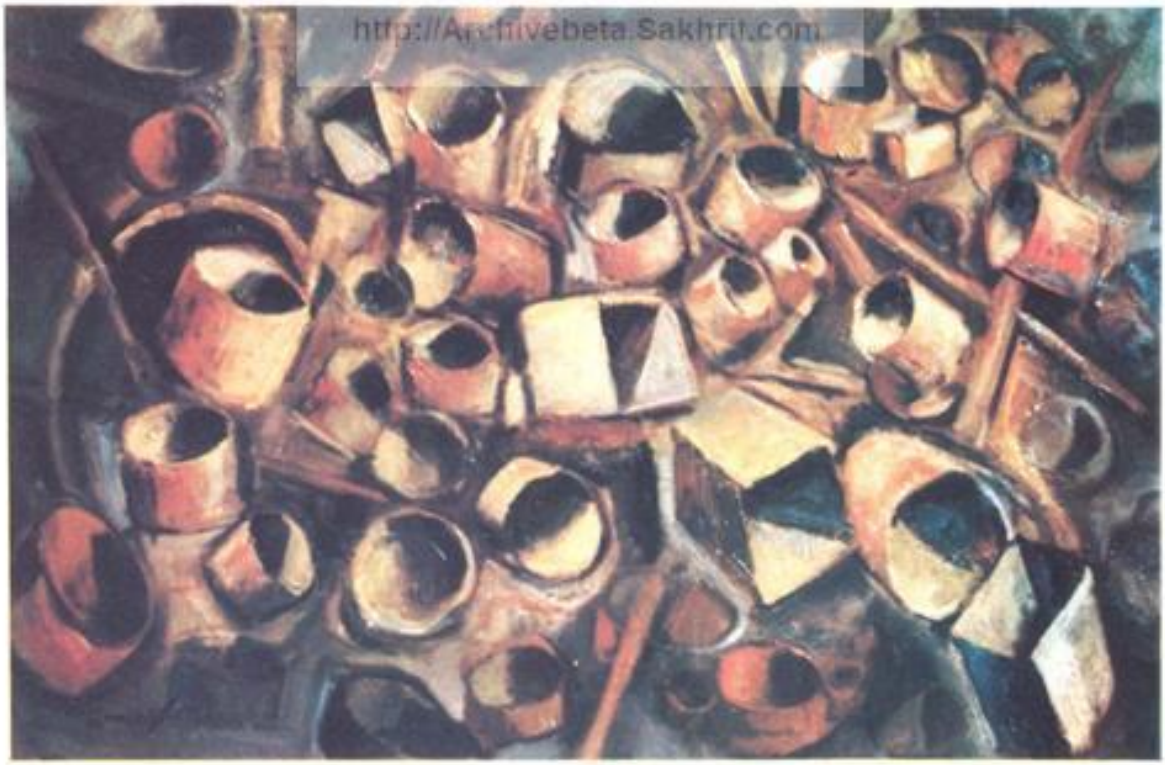

منتصف الثمانينات - قماءة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

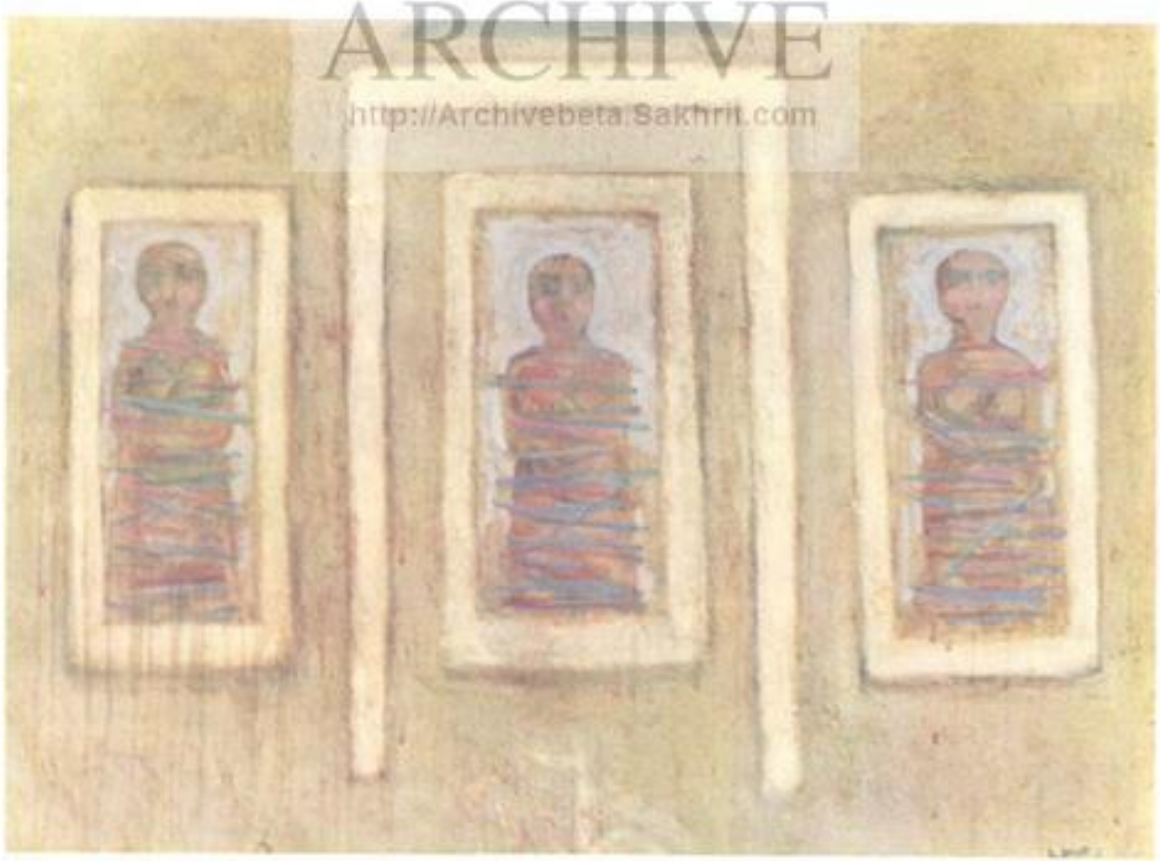

في بداية السبعينات

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

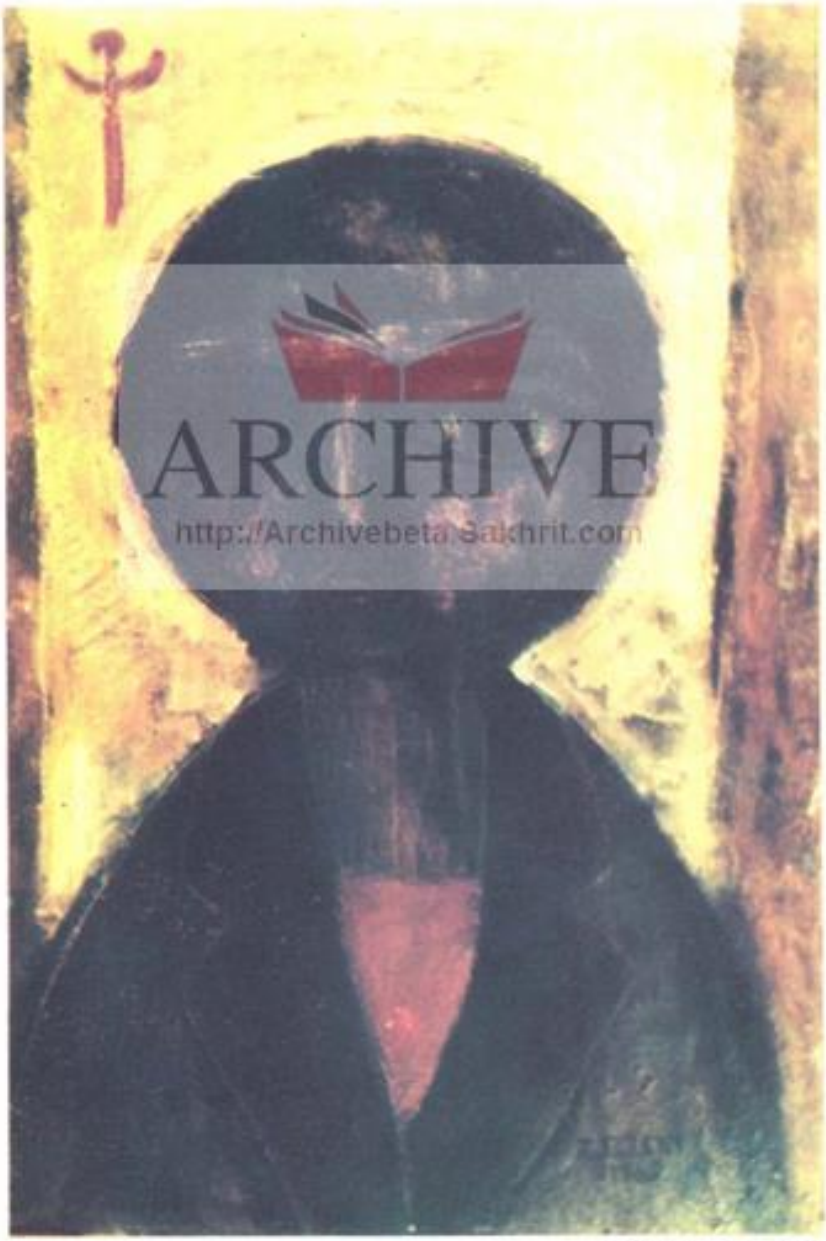
ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تأثير غير مباشر بالفن القبطي

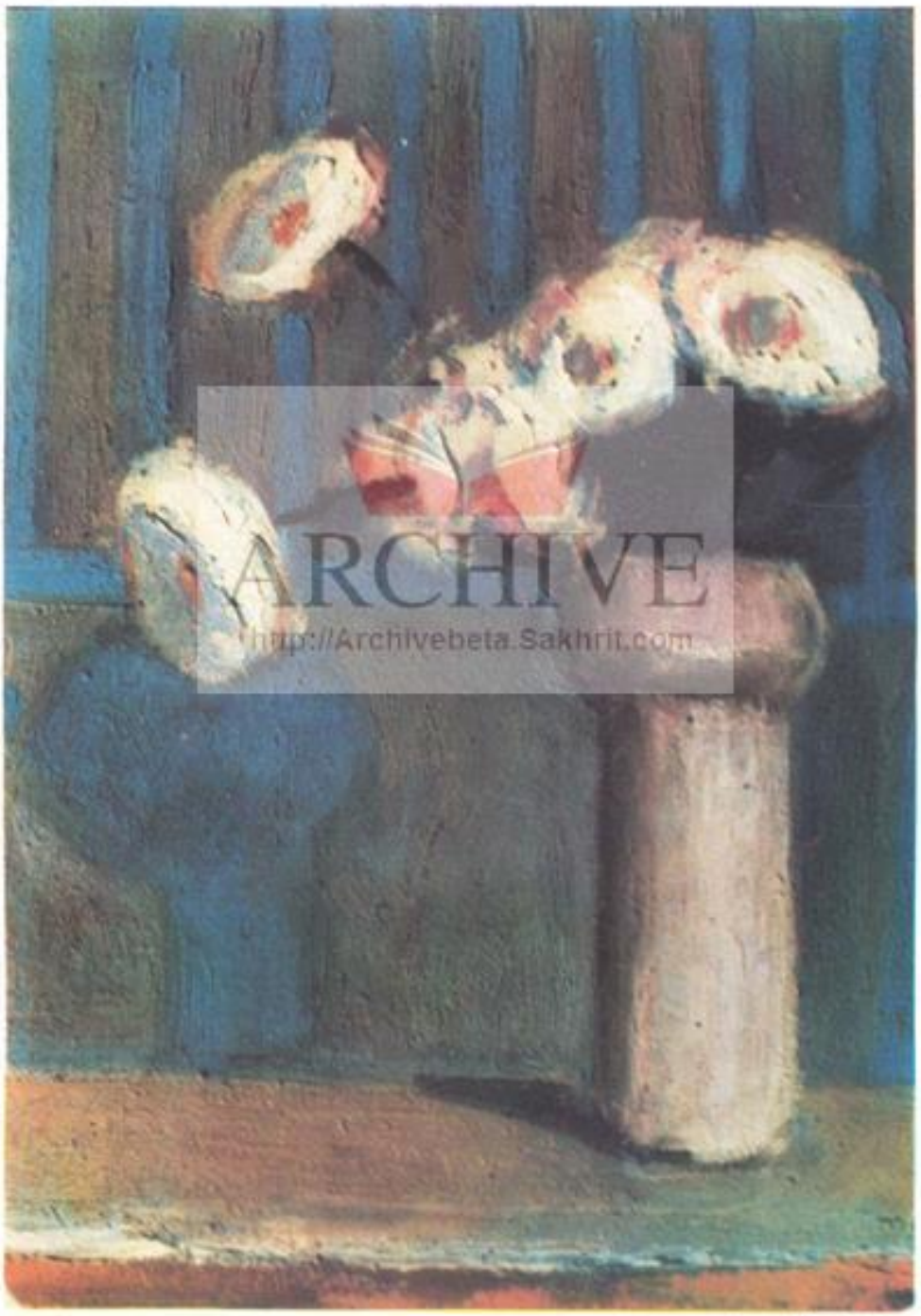

منتصف الثمانينيات - زهور

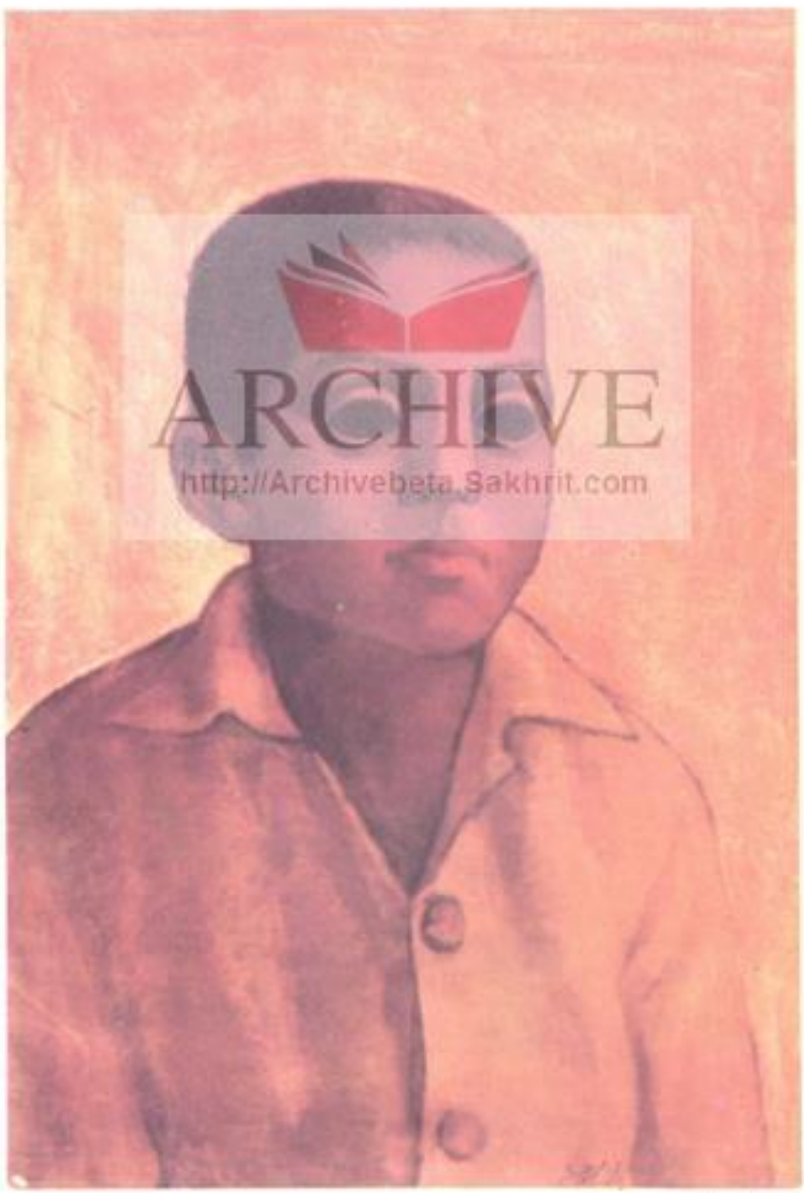

بداية الستينات
وبداية التلخيص
متأثرا بمنطق بيكاسو في تصوير الوجه الانساني

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تجريد لمنظر - ١٩٦٩

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com